

القوة الرابعة

الفريق محمد على فهمى

تاريخ الدفاع الجوى المصرى

القوة الرابعة

القوة الرابعة

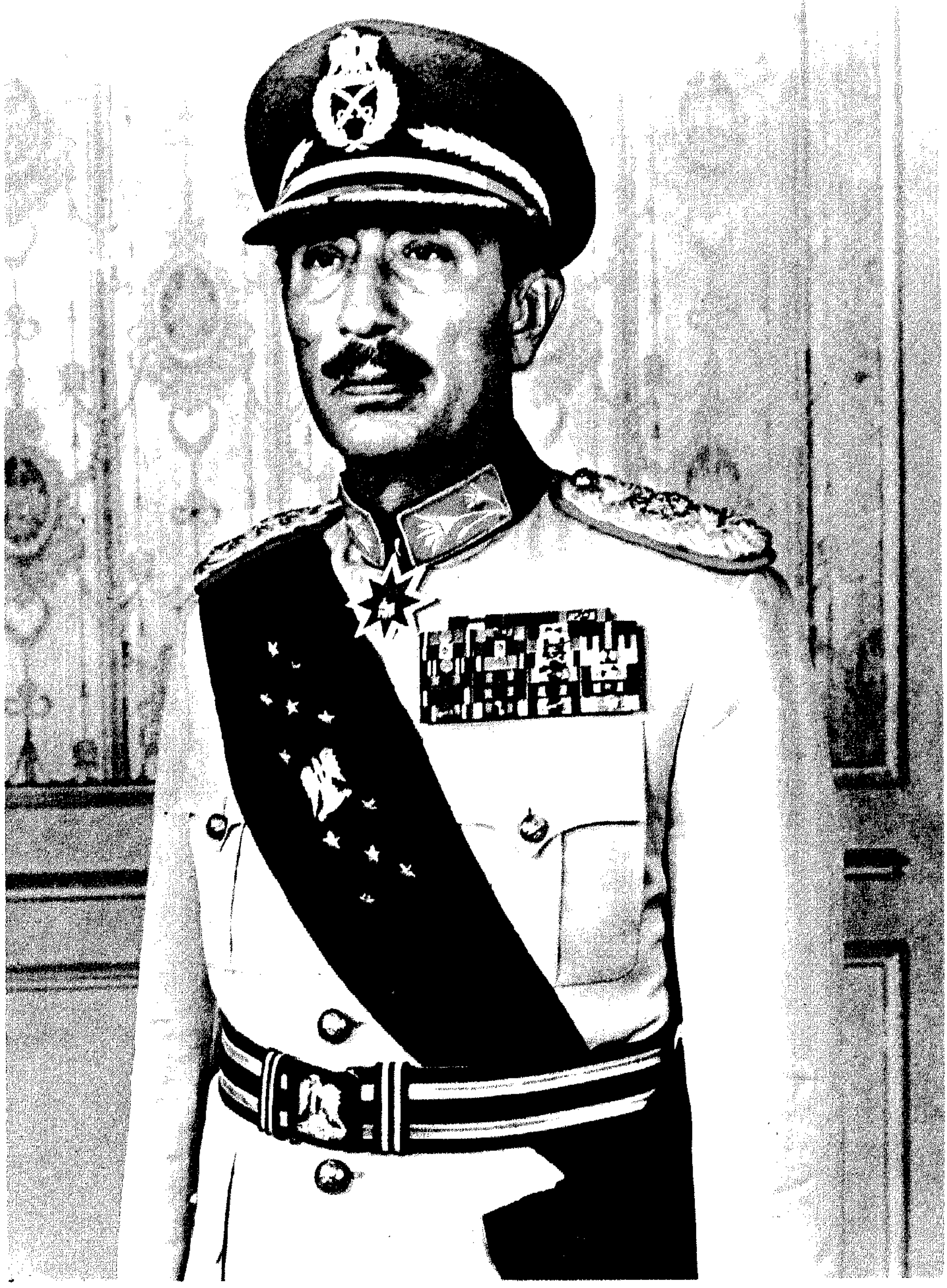
تاريخ الدفاع الجوى المصرى

تأليف

الفريق محمد على فهمى

القوة الرابعة

السيد الرئيس محمد أنور السادات



الإهـــداء

الى شـــهداء الدفاع الجوى الأبرار الذين بدمائهم قامت الأمجاد ...

الى رجال الدفاع الجـوى القـدماء الذين افنوا زهرة عمرهم ليقوم البنيان ...

الى رجال الدفاع الجوى الرابضين الآن فى مواقعهم ليل نهــار ...

الى رجــال الدفاع الجـوى الجـدد الذين بهم تتعلق الآمال .

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الشعب وعرفانا بما ادته قوات الدفاع الجوى بالجبهة فاننى أهدى لعلمها وسام الجمهورية العسكرى .

ان شعبنا سيظل مدينا لهؤلاء الرجال الذين صمدوا وضحوا فى سبيل عزة الوطن وكرامته . تحيتى لجميع مقاتلى الدفاع الجوى من الضباط والصف والجنود باسم شعبهم وباسمى تقديرا وعرفانا .

انور السادات

محتويات الكتاب



الرئيس محمد أنور السادات وإلى يساره الفريق محمد على فهمى

تمهيد ...

القوة الرابعة
تاريخ الدفاع الجوى المصرى

• • كان ذلك فى يوم ٢٣ يونيو عـام ١٩٦٩ وعلى وجـه التحديد فى الساعة الرابعـة والنصف بعـد الظهـر حينما أعلنت بصـدور القرار الجمهورى بتعيينى قائدا للدفاع الجوى .

وكان ذلك أول مولد للقوة الرابعـة فى القـوات المسـلحة المصرية بقائد وقيادة منفصلة ، قوة رابعة تقف فى شموخ بجانب القوات الثلاث البرية والبحرية والجوية .

.. خرجت يومها وأنا أحمل مسئولية حماية المجال الجوى لسماء مصر ضد أقوى قوة لدى العدو .. الذراع الطويلة التى يعربد بهـا فى المنطقة ويتفاخر ويتباهى بها .

وقد نظرت يومها الى السماء وتطلعت اليها فوجدت أنها فسيحة مترامية الأطراف متسمة الأبعاد اتساع مسئوليتى الجديدة، فقد أصبحت مسئولا عن اكتشاف وتدمير أى طائرة معادية نطير فى هذا المجال الجوى الفسيح .

.. وتزاحمت الصور والافكارفى مخيلتى ، فى سيناريو متكامل يحكى قصة كفاح طويل ومرير لم يحقق هدفه بعد .. وأصبح على كتفى وعلى سواعد رجال الدفاع الجوى .. القوة الرابعة القوة الفتية تحقيق هذا الهدف .

ثم سرح بى الفكر وطاف بى الخيال على المدرسة والمصنع والكوبرى ومنشآت الصناعة والرى والأماكن الآهلة والمكتظة بالسكان .. فكلها اهداف حيوية فى قطاع مسئوليتى الجديدة وعلى قوات الدفاع الجوى توفير الحماية لها ضد العدو الجوى وهجماته .

ولم يفتنى أن أضع على قمة هذه المسئولية توفير الحماية للتجميع الرئيسى لقواتنا البرية فى المراحل المختلفة للمعركة الهجومية .. معركة التحرير .

وسارت العجلة وسط طريق شاق ملىء بالصعاب ومارست أدق مراحل قيادتى لقوات الدفاع الجوى فى مرحلة العمل والاعداد الجدى للمعركة .. ومازلت فى هذا المجال أذكر كلمات قائدنا الأعلى الرئيس محمد أنور السادات فى احدى اللقاءات قبل المعركة :

« قواتك يامحمد وقوات حسنى هما الركيزة فى معركتنا القادمة وأنا على ثقة انكما ستخوضان معركة ناجحة مع العدو الجوى علشان ولادى تعدى وتعبر الى سيناء وتقاتل هى الأخرى معركة ناجحة باذن الله .. »

كلمات بلورت مهمتنا فى اختصار مفيد .. كلمات أعطتنا قوة دافعة وثقة فى النفس لمزيد من العمل والجهد الخلاق لتحقيق الهدف المنشود .. لتحقيق النصر فى المعركة .

واذا كان المولى عز وجل قد نصر عبده وأعز جنده فى معركة الدفاع الجوى فى حرب العاشر من رمضان فان الفضل فى ذلك يرجع أولا واخيرا بعد توفيق من الله الى صاحب القرار الشجاع الرئيس محمد أنور السادات والى شهداء الدفاع الجوى الأبرار الذين جادوا بالدماء والى الجرحى الذين أثخنتأجسادهم بالجراح وسجلوا فى سجل الشرف والفخار البطولات والأمجاد .. والى المقاتل الذى أبلى بلاء حسنا فى ساحة القتال فصمد وضحى وحقق المعجزات .. انه الماضى كتاريخ وكخلفية لقصة هذا الكفاح .. والحاضر كحقيقة عشناها وحققنا فيها الكثير من المنجزات والأمجاد فى حرب العاشر من رمضان ، والمستقبل المشرق الذى نخطط له .. انها قصة القوة الرابعة كما ترويها صفحات هذا الكتاب فى أسلوب يمكن أن يستوعبه المدنى والعسكرى على حد سواء ، سائلين المولى العون والتوفيق والسداد تحت راية زعيمنا وقائد مسيرتنا قائدنا الأعلى الرئيس المظفر محمد أنور السادات .

والعزة والمجد لمصر

فريق / محمد على فهمى
رئيس اركان حرب القوات المسلحة
وقائد قوات الدفاع الجوى فى حرب العاشر من رمضان

القسم الأول

التاريخ والخلفية

* الفصل الأول : نشأة الدفاع الجوى .
* الفصل الثانى : نشأة وتطور القوات الجوية الاسرائيلية .
* الفصل الثالث : الجولات والمعارك التى خاضها الدفاع الجوى حتى عام ١٩٦٧ .

الفصل الأول

نشأة الدفاع الجوى

- مقدمـة .
- نشأة المدفعية المضادة للطائرات .
- البداية المشرقة .
- السباق نحو القمـة .
- الدروس المستفادة من معارك الحـرب العالمية الثانية .

نشـــأة الدفـــاع الجـوى

مقـدمـــة :

ترجع نشأة قوات الدفاع الجوى الى بداية الحرب العالمية الثانية فبعد أن حصلت مصر على استقلالها المحدود عام ١٩٣٦ بدأت فى العمل على تقوية الجيش عدة وعتادا ، ولـم يكن أمامها من مورد للسلاح فى ذلك الوقت سوى المصدر التقليدى الذى تحصل منـه على الســـلاح وهـو المملكة المتحـدة .

ولقد كانت أحداث عام ١٩٣٦ أولى البوادر على ان منطقة الشرق الأوسط ستكون أحد الميادين الرئيســية للحرب العالمية الثانية ، ففى هذا العام غزت ايطاليا الحبشة واستولت عليها مما أوجـد لأول مـرة منذ حملة نابليون على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر موقفا شائكا للمملكة المتحـدة فى منطقة الشرق الأوسط .

لقد ادى احتلال ايطاليا للحبشة ومالها من سيطرة تامة على ليبيا الى احكام قبضتها على منطقة وسط البحر الأبيض المتوسط خـلال مضيق صقلية بالاضافة الى تحكمـها فى مدخـل البحـر الاحمـر من الحبشة وبذلك ظهرت كعامـل مؤثر على السـيادة البحرية للمملكة المتحدة فى كلا البحرين وبدأت من ذلك المنطلق تعمل على اضعاف النفوذ البريطانى بشتى الطرق فى منطقة الشرق الأوسط .

لقد رات مصر فى ذلك الوقت ، وفى ضوء الدور الذى ظهر للطيران فى حرب الحبشة ـ بالرغم من انه كان فى ذلك الحين مازال سـلاحا جديدا لم يكتمـل نضوجه ـ أن تعمل على انشاء قـوة محدودة من المدفعية المضادة للطائرات تمكنها من الدفاع عن مدنهـا الرئيسـية ومراكزها الاقتصادية القائمـة فى القاهرة والأسكندرية ضـد اى هجمات قد توجه ضدها بواسطة هذا السلاح الجديد الذى يسـتطيع نقل المعركة الى عمق البلاد .

* نشأة المدفعية المضادة للطائرات

بدأت مصر فى تكوين أول نواة للمدفعية المضادة للطائرات عام ١٩٣٨ ، ولجأت فى ذلك الى موردها التقليدى فى السلاح فكان أن تم انشاء أول آلاى مضاد للطائرات وتم تسليحه بأسلحة متخلفة من أسلحة الحرب العالمية الأولى وهى المدافع ٣ بوصة المضادة للطائرات ثم دعمت قوة المدفعية المضادة للطائرات بعد ذلك بآلاى آخر من نفس التسليح فأصبح الموجود منها آلايين مضادين للطائرات .

ولكن ما حقيقة هذا التسليح الذى زودت به أول نواة للمدفعية المضادة للطائرات المصرية ؟

لقد ظهر المدفع ٣ بوصة المضاد للطائرات الى حيز الوجود عام ١٩١٦ للتعامل مع الطائرات التى بدأ استخدامها فى الحرب لأول مرة ولقد كانت الطائرات بطيئة جدا فلم تتجاوز سرعتها ١٠٠كم/ساعة ، وكان عليها لكى تحقق ضرب الأغراض المحددة لها أن تلتزم بالطيران على ارتفاع منخفض حيث لايتيسر لها أى أدوات تنشين تمكنها من ضرب أهدافها من مسافات بعيدة أو ارتفاعات عالية .

هذا هو نوع التسليح الذى زودت به المدفعية المضادة للطائرات المصرية عند بدء تشكيلها ونظرا لأن هذه المدافع لا يمكنها الاشتباك

ليلا ، اذ لم يكن الرادار قد بدأ استخدامه فى النواحى العسكرية ، فلقد تم تكوين ٢ آلاى انوار كاشفة زودت هى الأخرى ببواعث انوار كاشفة قطر ٩٠ سم من مخلفات الحرب العالمية الأولى .

ومنذ ذلك العام ، عام ١٩٣٨ ، يمكن القول ان المدفعية المضادة للطائرات بشقيها المدافع والأنوار قد بدات فى الظهور الى حيز الوجود واصبحت فرعا من فروع المدفعية .

ولكن هل ماسلحت به المدفعية المضادة للطائرات المصرية من سلاح كان يعتبر تسليحا مناسبا للدور المنتظر ان تؤديه والمطلوب منها والحرب العالمية الثانية على الأبواب ؟ .

ان ماسبق أن أوضحناه من خصائص للطائرات التى صمم هذا التسليح للتعامل معها يوضح لنا من اول وهلة عدم ملاءمة هذا التسليح للدور المنتظر أن يؤديه ، فلقد ادخلت خلال الفترة بين الحربين الاولى والثانية ، العديد من التطورات على صناعة الطائرات وايقن الطرفان المتحاربان بمجرد توقيع معاهدة الصلح فى فرساى مدى اهمية الطائرة فى اى حرب مقبلة . وما ان تم فك القيود المكبلة لالمانيا بمقتضى معاهدة فرساى حتى بدات من جانبها فى التفكير الجدى فى هذا السلاح الجديد الذى كان سببا فى هزيمتها كما تخيلت . وكان هذا الاتجاه من المانيا حافزا للطرف الآخر ليقوم من ناحيته ايضا بالعمل الجاد لتطوير صناعة الطائرات . ولم يكد ينتصف العقد الثالث من القرن العشرين حتى ظهرت نوعيات جديدة من الطائرات تختلف تماما فى سرعتها وقدرتها على اصابة أغراضها عن تلك الأنواع التى صمم على أساسها المدفع ٣ بوصة ، الذى سلحت به المدفعية المضادة للطائرات المصرية والتى لم يكن امامها خيار فى غيره فلقد فرض عليها من مورد السلاح الوحيد المتيسر لها .

من ذلك نستخلص ان هذا التسليح لم يكن ندا للتعامل مع الطائرات التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية . حقيقة لقد تمكن من التعامل مع النوعيات التى استخدمت فى أوائل الحرب ، الا انه لم ينجح فى التعامل مع النوعيات المتقدمة من الطائرات التى ظهرت بعد ذلك على ضوء الخبرة المكتسبة من معارك بولندا .

لم تمهل الحرب العالمية الثانية هذا السلاح الوليد كى يقوم ويشتد عوده . فلم يكد يبدأ عام ١٩٣٩ حتى لاح شبح الحرب واصبحت متوقعة بين يوم وآخر ولكن كيف يجابه هذا السلاح الجديد المهام التى ستوكل اليه ؟ هذا السلاح الذى مازال فى حداثة تكوينه فالمدفعية المضادة للطائرات كعلم وفن تعتبر جديدة على المدرسة العسكرية المصرية وقتئذ ، وهى ليست من العلوم السهلة التى يمكن ادراكها وفهمها بسرعة . فهى تقاتل عدوا يختلف عن باقى الأسلحة الأخرى فى حجمه وفى سرعته وفى أسلوب قتاله ، عدوا يستلزم وجود العديد من الأجهزة والمعدات الحاسبة لتحديد محله المنتظر الذى يجب أن تتقابل فيه دانة المدفع مع الطائرة ، مهمة ليست سهلة وخاصة اذا علمنا أن تحديد هذا المحل المنتظر يستلزم العديد من المعادلات الرياضية يشترك فى حلها العديد من الاجهزة والمعدات الحاسبة . وجميع هذه المعدات يعمل عليها أفراد ، وأى خطأ فى عملها ولو بسيط يقود الى خطأ جسيم فى تحديد المحل المنتظر الذى تتعلق به آمال رجال المدفعية المضادة للطائرات اذ فيه ينبغى أن تتلاقى دانة المدفع مع الطائرة والا فلن تتحقق المهمة ..

لقد كانت العوامل السابقة مع قرب شبح الحرب ، وحداثة علم المدفعية المضادة للطائرات ووجود الرغبة الصادقة لدى ضباط المدفعية المضادة للطائرات — وكلهم وقتئذ من صغار الرتب — فى الوصول بسلاحهم الى اعلى مستوى سببا ودافعا للجميع للعمل الدءوب المتواصل

فى سبيل تحقيق واجبهم تجاه وطنهم والدفاع عنه ضد اى هجمات جوية تقوم بها أى دولة من دول المحور (المانيا وايطاليا) .

كل هذه العوامل والانفعالات الوجدانية ، فجرت الطاقيات وشحذت الهمم وأصبح العمل والتدريب ميدانا يتسابق فيه الجميع ليلا ونهارا فلم يلههم الليل بظلامه او الصحراء بما تفرضه من قسوة عن التدريب الشاق المتواصل لانضاج هذه الوحدات حديثة التشكيل حتى وصلت الى مستوى عال من الكفاءة القتالية قبل أن تنشب الحرب .

.. وفى غمرة هذا العمل الخلاق اندلعت الحرب العالمية الثانية فى مطلع سبتمبر ١٩٣٩ والقى عبء الدفاع عن القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس على عاتق وحدات المدفعية المضادة للطائرات المصرية .

* البداية المشرقـة

دخلت المدفعية المضادة للطائرات معارك الحرب العالمية الثـانية وهى لاتزال فى بدء نشأتها وخاضت معارك الدفاع الجوى عن المـدن الأربع الرئيسية القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس ، والتـى كانت لها أهمية خاصة من ناحية الكثافة السكانية والأمكانيات الصناعية التى كانت قائمة بها بالاضافة الى ما تؤديه كل منها من دور كبير فـى خدمـة الاقتصـاد المصرى .

ولم يكد ينتهى الربع الأول من عام ١٩٣٩ حتى بدات الوحـدات فى احتلال مواقعها سواء وحدات المدفعية المضادة للطائرات او وحدات الأنوار الكاشفة حول المدن الأربع واخذت منذ بداية الغزو الايطـالى للأراضى المصرية فى التصدى للهجمـات الجـوية الايطالية ثم الايطاليـة الألمانية فيمـا بعد .

لقد دخلت ايطاليا الحرب بجانب حليفتها المانيا وهى تمتلك سلاحا جويا وان كان كبير الحجم الا انه كان سلاحا غير متطور ، وفاعليته تكاد تكون محدودة ، بينما دخلت المانيا الحرب وهى تملك سـلاحا جويـا قويا عماده فى ذلك الوقت الطـائرات هنيـكل ١١١ ، جونكرز ٨٧ ،

جونكرز ٨٨ ، ومسرشميدت ١٠٩ ، ١١٠ . وكـانت الطائرة جونكرز ٨٧ المسماة « ستوكا » هى اقواها واخطرها ، تلك الطائرة المنقضــــة والتى كانت تنقض على أهدافها بزاوية غطس قدرها ٩٠ درجة تقريبا وذلك فى حركة بهلوانية تتم آليا ولا تســتغرق من الوقت الا ثوانــى معــــدودة .

بدات الهجمات الجوية على مصر أولا بالطــائرات الايطــــالية وذلك على الاسكندرية والقاهرة والسويس ، ونظرا لضعف نوعيــــة الطائرات كما سبق ان أوضحنا علاوة على ضعف مستوى الطيارين فلم تتمكن الطائرات الايطالية من تنفيذ اية مهام ناجحة ضد المدن المصرية الثلاث ، اللهم الا بعض أعمال التدمير المحدودة لبعض المناطق السكانية يقابلها اسقاط عدد لا باس به من الطائرات المعادية .

لقد نجم من هذا الموقف تأثر الموقف العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط لغير صالح دول المحور وخاصة فى مسرحى القتال المجـــاورين لمصر وهما مسرحا العمليات فى الصحراء الغربيـــة واريتريا فتداركت القيادة العليا لدول المحور الأمر وقررت الزج بسلاح الطيران الالمــانى فى غارات وحشية على مصر لاحداث التأثير المعنوى والمادى الذى كـــانت ترجـــوه .

وتبعا لذلك بدات الغارات المكثفة على مدن مصر الرئيســية وخاصة الاسكندرية وكانت أول غارة كبرى توجه اليها تلك التى تمت خـــلال يونيو ١٩٤١ . فقد اشتركت فى هذه الهجمة نحو ١٠٠ طائرة واستمرت نحــو ثمــانى ساعات .

لقد انزلت هذه الهجمة خسائر كبيرة بالأرواح والممتلكات ولكنها لم تصب الأغراض العسكرية التى كانت المقصودة اصـــلا بأى اضرار فلم تصب الميناء او المرافق المختلفة للمدينة .

لقد قامت المدفعية المضادة للطائرات المصرية فى هـذه الهجمـة الجوية ـ وكانت أول غارة من نوعها تتم بمثل هذا العـدد الكبير من الطائرات ـ بجهد كبير واقامت سـتارا مهلكا من النيران فى وجـه الطائرات المغيرة جعل قنابلها تتساقط بعيدا جدا عن أى أغراض . اضف الى ذلك دورها الذى ادته فى اضاءة الطائرات المغيرة مما جعلها تقـع فريسة سهلة لرجال المدفعية المضادة للطائرات فعملوا على تدميرها وكان لهم فى ذلك نصيب وافر فى هذه الليلة .

لقد كانت هذه أول هجمة جوية كبرى على مدينة مصرية وأول تجربة ناجحة يثبت فيها السلاح الجديد قدرته وامكانياته .. حقيقة أن المدافع التى كانت فى حوزتنا من أسلحة الحـرب العالمية الأولـى ونظريتها اذا قيست بالنظريات الحالية تعتبر بدائية الا ان المقاتل المصرى ذلك الرجل الذى انتصر عبر التاريخ الطويـل تمكن بذكائه وقدرتـه ومهارته ودأبه المتواصل على العمل من التغلب على هذا التخلف الموجود فى المعدات بوسائل مبتكرة فنية وتكتيكية مكنته فى النهاية من ان يسقط فى هذه الهجمة العديد من الطائرات .

لقد كان نجاحا لا يعادله نجاح لسلاح جديد .. كان نجاحـا باعثا للجميع على المضى قدما فى تدعيمه بكل الجهود والطاقات .

ومازال فى ذاكرتى حادثة قد تبدو الآن بسيطة وطريفة ، ولكنهـا وقتها سببت الكثير من الارتباك والحيرة للقيادة البريطانية .

ففى الأيام الأخيرة من شهر يونيو سنة ١٩٤٢ كان موقف الحلفاء فى الصحراء الغربية بالغ السوء ، فقواتهم تتراجع منسحبة الى العلمين بعد سقوط طبرق فى ايدى قوات المحور التى أخذت تطارد فـلول الجيش الثامن البريطانى المنسحب ولقد انعكس ذلك الموقف على قيادة البعثة العسكرية البريطانية فى الاسكندرية ، فلقد أصبحت الاسكندرية

نفسها مهدده لكل احتمال .. وفى ظل هذا الجو المشحون بالقلق والتوتر ابلغت احدى نفاط المراقبة عن انزال بحرى المانى على جزيرة نيلسون بأبى قير ، وعلى الفور تكهرب الجو واعلنت أقصى درجات الاستعداد وصدرت التعليمات بتجهيز الخطط السابق اعدادها لصد الابرار البحرى ، واخذ اعضاء البعثة العسكرية البريطانية يمدون اوراقهم ووثائقهم للحرق ، وصدرت الأوامر لمواقع المدفعية المضادة للطائرات بالانتقال الى المواقع التبادلية وأن تعطى الأسبقية لمهام الضرب البحرى والأرضى .

وانقضت تسعون دقيقة منذ وصول البلاغ الخطير كانت مشحونة بالتعليمات والأوامر والحركة المحمومة فى كل اتجاه ، وخلالها كان قد تم دفع مجموعة استطلاع الى خليج ابى قير للتحقق من الأمر وتقدير قوة الانزال البحرى المعادى ، وفوجئنا وفوجىء الجميع عندما اتضح ان ما ابلغ عنه كانزال بحرى المانى لم يكن فى الحقيقة الا مجموعة من قوارب الصيادين المصريين ..!

وبالطبع فأنا لم أقصد من سرد هذه الحادثة طرافتها ولكنى قصدت ما فيها من مغزى : فهى مثال واضح لما يطلق عليه «ضباب المعركة» « Fog of war » وهو أمر وارد فى كل حرب وفى كل العصور ، ويجب على القائد الناجح أن يضع هذا الأمر فى اعتباره دائما خاصة عندما يتعقد الموقف وتتوتر الأعصاب لتكون قراراته فى المعركة دائما قرارات صائبة وفقا لمعلومات مؤكدة .

❊ الســباق نحــو القمــة

ادى نجاح وحدات المدفعية المضادة للطائرات فى صد الهجمة الجوية المركزة لدول المحور على الاسكندرية واسقاط عدد لا بأس به من الطائرات الى العمل على تعزيز النجاح بغرض تثبيت اقدام السلاح الجديد من ناحية واثبات قدرة المصريين من ناحية أخرى على العمل على المعدات المعقدة رغم حداثتها فى أيديهم . ولقد كانت الهجمات الجوية التى لا تكاد تنقطع هى العون الاكبر على اكتساب الخبرة العملية للتعرف على نقائض المعدات والعمل على استكمالها ودراسة اسباب القصور التكتيكى فى التعامل مع العدو وايجاد الأسلوب الأمثل الذى يؤدى فى النهاية الى تدميره .

فمن خلال نتائج الهجمات الجوية والرغبة التى سيطرت على الجميع فى احراز السبق فى اسقاط أكبر عدد من الطائرات بدات المنافسة بين الجميع وذلك على مستوى الوحدات والوحدات الفرعية الصغرى واتخذ التدريب والنقاش والابتكار طريقه بسرعة بين الجميع . كأن الجميع يؤدون دورهم بلا كلل او ملل ، وبحذق وفعالية ، والجميع يعمل والجميع يفكر والكل يريد الوصول الى القمة .. كانت الوحدات الفرعية أشبه ماتكون بخلية النحل ، الكل يعمل فى صمت وفى الطريق المحدد له .

وبهذا الاسلوب مع التطبيق العملى بصورة مستمرة نتيجة لهجمات دول المحور التى لم تنقطع عن المدن المصرية ليلا ونهارا نضجت الوحدات ووصلت الى مستوى مرموق من الكفاءة القتالية وليس أدل على ذلك من نجاحها المتتالى فى تدمير الطائرات المغيرة سواء على القاهرة أو الاسكندرية او بورسعيد .

ولكن كيف تم ذلك ؟ لقد اقبل اكثرية الضباط على المعلومات الفنية والتكتيكية بشغف ونهم يستزيدون من العلم حيثما وجدوا اليه سبيلا . وليس ادل على ما بذل من جهد فى سبيل الاستزادة من العلم أن ظهر بين الضباط المصريين الكثير من المستويات العلمية المرتفعة بل قام عدد منهم باحداث تعديلات جذرية سواء فى المعدات أو فى أسلوب الاشتباك . بل ان الأمر تعدى ذلك الى ان أحد الضباط المصريين اخترع جهازا حاسبا تمت تجربته بنجاح ، الا انه لم ير النور ولم يخرج الى حيز التنفيذ للمعوقات التى كانت السمة الغالبة لاسلوب العمل فى اجهزة الدولة قبل الثورة .. وكم كان الأمر مثيرا للدهشة والاسى فى نفس الوقت عندما فوجئنا بأن الحاسب الذى تم وروده عام ١٩٥٦ مع أول صفقة للأسلحة السوفيتية بعد الثورة عبارة عن صورة طبق الأصل فى نظريته واسلوب عمله لما سبق وأن أخترعه احد ضباط المدفعية المضادة للطائرات المصريين فى الأربعينات .

حاولت مصر فى ضوء تطور التسليح الذى لازم المدفعية المضادة للطائرات والذى انبثق من خبرة الحرب العالمية الثانية ان تطور مدفعيتها المضادة للطائرات فلجأت الى موردها التقليدى فى السلاح ــ انجلترا ــ حيث استبدلت نفس العدد من البطاريات الموجودة من المدفعية المضادة للطائرات ٣ بوصة باخرى عيار ٣ر٧ بوصة بعضها ثابت والآخر متحرك. وكم كان المورد ذكيا حيث كان معظم التسليح من النوع الثابت الذى لا يستخدم الا بعد تثبيته بالارض تماما وليس من الانواع المتحركة

التى تستخدم فى أى مكان ويمكنها أن تؤدى اى مهمة ارضية او جوية تكلف بها . ولكن هذا هو حال مصدرى السلاح ، دائما لهم اهداف واستراتيجيات غير معلنة يعملون على تحقيقها .

لقد استمرت وحدات المدفعية المضادة للطائرات ـ على قلتها ـ تؤدى دورها بكفاءة فى وقاية المدن الرئيسية ويكفى أن نعلم انها تمكنت من الدفاع عن ميناء الاسكندرية ضد العديد من الهجمات الجوية التى كانت تتم يوميا تقريبا لقرب الاسكندرية من مسرح القتال فى الصحراء الغربية واستعمالها كقاعدة امداد للقوات البريطانية التى كانت تعمل بذلك المسرح . ويكفى المدفعية المضادة للطائرات المصرية فخرا أنه خلال كل هذه الغارات بل خلال الحشد الذى تم فيها أثناء التحضير لعملية غزو جزيرة صقلية والذى أدى الى ازدحام الميناء بالعديد من القطع البحرية وخاصة حاملات الطائرات وسفن النقل ان تمكنت المدفعية المضادة للطائرات من احباط وصد العديد من الهجمات التى استهدفت الميناء .

ولقد تميزت اشتباكات المدفعية المضادة للطائرات المصرية فى هذه الفترة بالاستخدام المكثف لأسلوب الضرب بالغلالة ، ويتلخص هذا الاسلوب فى انشاء ستارة كثيفة من النيران فى نقطة معينة على امتداد خط سير الطائرة قبل وصولها الى خط اسقاط القنابل ، وتوجه الى هذه النقطة نيران جميع المدافع المضادة للطائرات فى توقيت محدد يتم تعيينه وفقا لسرعة الطائرات المهاجمة والمسافة التى تم اكتشافها عليها.

ولقد احرز أسلوب الضرب بالغلالة نتائج جيدة فى ذلك الحين نظرا للسرعة المحدودة للطائرات علاوة على براعة القادة والجنود المصريين فى ادارة نيران الغلالة .

ويحضرنى فى هذا المجال قصة أحد الاشتباكات التى تمت بهذا الأسلوب ضد هجمة جوية عنيفة شنها الألمان فى صيف عام ١٩٤١ على

الأهداف الحيوية بمدينة الاسكندرية (الميناء والحوض الجاف) ، وكنت اعمل فى ذلك الوقت ضمن وحدات المدفعية المضادة للطائرات المكلفة بواجب الدفاع الجوى عن مدينة الاسكندرية .. كان ذلك فى المساء بعد الغروب بقليل ، وكنت فى طريقى الى موقع القتال بعد الانتهاء من مؤتمر التلقين اليومى عند قائد البطارية ، حيث شاهدت اشعة الانوار الكاشفة تملأ فجأة سماء المدينة وتحيلها الى نهار ،.وكان ذلك مؤشرا - نعرفه نحن رجال المدفعية المضادة للطائرات - عن وجود اهداف معادية داخل المجال الجوى . ولم يطل تفكيرى كثيرا فقد دوت الانفجارات من حولى وتصاعد الدخان الكثيف وسط الظلام ، فلم اجد بدا من أن أعرج على اقرب موقع قتال فى طريقى ، وكان ذلك الموقع فى منطقة القبارى .. انه منظر لايمكن ان انساه .. المشاعل التى اسقطتها الطائرات الالمانية لاضاءة اهدافها تملأ سماء الموقع فأحالته الى نهار كامل ، ونيران غلالة المدفعية المضادة للطائرات المنطلقة من القطع البحرية الراسية فى الميناء وخارجه تتشابك فى السماء مع نيران غلالات مواقع المدفعية المضادة التى تشتبك من البر ، مما أحال السماء الى قطعة من الجحيم تتخللها الألوان الزاهية التى ترسمها الطلقات الكاشفة .. وخلال هذا الأتون المستعر كان أزيز الطائرات المغيرة يصل الى اسماعنا والكل فى عجب .. كيف تجد هذه الطائرات طريقا آمنا وسط هذا الحشد الهائل من النيران ..! ولكن لم يطل بنا العجب الا برهة قصيرة حيث اهتزت الأرض من تحت أقدامنا وتهاوت أكياس الرمال المحيطة بنا فى نقطة الأوامر التى كنت أقف فيها مع قائد الموقع ، وتصاعد عمود كثيف من الدخان على بعد أمتار منا . انها قنبلة أخطأت هدفها وسقطت على نقطة بوليس مدنى (نقطة المفروزة) تبعد حوالى ٥٠ مترا من الموقع .. وفى السماء كانت هناك كتلة من النيران المشتعلة ، انها الطائرة المغيرة وقد أصابتها صلية من نيران الغلالة المضادة للطائرات .

وهكذا .وبفضل كثافة نيران غلالة المدفعية المضادة للطائرات طاشت جميع الهجمات الجوية ولم تتمكن طائرات المحور من أن تنال من اهدافها المقصودة .

وازاء هذا النجاح المنقطع النظير والمجهود الكبير الذى بذله ضباط المدفعية المضادة للطائرات فكرت القيادة المسئولة فى مكافأتهم وذلك بارسالهم فى بعثات تعليميه للاستزادة من فن المدفعية المضادة للطائرات .. ذلك الفن الذى دخل الحرب العالمية الثانية يحبو على قدميه وبنهايتها كان قد اشتد عوده تماما . وكان من الضرورى أن يقف ضباط المدفعية المضادة للطائرات على أحدث ماوصل اليه هذا الفن من تقدم فنى وأساليب تكتيكية وخاصة بعد ادخال الرادار واستخدامه خلال سنوات الحرب الأخيرة . وفعلا ارسلت عدة فرق تعليمية الى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات البريطانية بالشرق الأوسط حيث اثبت الضباط المصريون قدرتهم العالية بل وتفوقهم العلمى الى درجة اذهلت هيئة التدريس بالمدرسة وقد حصل بعض الضباط على أعلى درجات علمية تمنحها المدرسة .

لقد خرجت وحدات المدفعية المضادة للطائرات من الحرب العالمية الثانية وقد أرست قواعدها العلمية وتقاليدها العسكرية الشامخة التى لا تزال تعمل بها حتى اليوم . ولقد بنت وحدات المدفعية المضادة للطائرات قواعدها العلمية على الأسس التالية :

- ان التطور فى المدفعية المضادة للطائرات والذى وضح تماما فى آخر الحرب العالمية الثانية ما هو الا بداية لتطور سريع يتطلب الاستزادة الدائمة من العلم وخاصة العلوم الحديثة كالرياضيات والالكترونيات .

- ان الخبرة العلمية هى المجال المفتوح للتطوير الفنى للمعدات

والتطوير التكتيكى لأسلوب الاستخدام ، والركيزة لايجاد قاعدة لاصلاح وصيانة المعدات الفنية المعقدة .

- ان التنافس داخل الوحدات الفرعية هو الأسلوب الأمثل لخلق كوادر فنية ذات مستوى رفيع .

أما التقاليد العسكرية فقد ارستها على الأسس الآتية :

- ان الانضباط العسكرى هو الركيزة التى تضمن الاستخدام الصحيح للمعدات والمحافظة عليها سليمة كما انه الأسلوب الأمثل لتطبيق قواعد ادارة النيران بالطريقة الصحيحة .

- ان التدريب الشاق هو الأساس للاستخدام الناجح للمعدات الفنية والالكترونية وأن المقاتل هو الأساس فى نجاح القتال مع العدو .

لقد شهد جميع الذين عملوا عن قرب من وحدات المدفعية المضادة للطائرات المصرية بكفاءة هذه الوحدات ومدى ما وصلت اليه من مستوى علمى وفنى ، وكان على هذه الوحدات أن تستمر فى الطريق الذى رسمته لنفسها ، والذى رسمه لها فى ذلك الوقت قادتها الاصاغر الذى شاء القدر أن يكونوا هم أنفسهم القادة الكبار لتشكيلات الدفاع الجوى فى حرب ٦ اكتوبر المجيدة .

* الدروس المستفادة من معارك الحرب العالمية الثانية

لقد نشأت المدفعية م/ط المصرية وسط ظروف قاسية بالغة التعقيد فقد شهدت فى حداثة مولدها حربا عالمية ضارية وهى الحرب العالمية الثانية واشتركت كسلاح فعال فى جبهة من اهم جبهاتها .. الجبهة التى كانت نقطة التحول بالنسبة لبداية النصر للحلفاء .. جبهة الصحراء الغربية . وحرجت المدفعية مط من هذه الحرب مزهوة بما حققته فيها من نتائج باهرة سجلها لها التاريخ فى سجل المجد والفخار . وخرجت من وسط هذا الصراع بذخيرة من العلم والمعرفة والخبرة المكتسبة كانت عونا لها للمضى فى طريق التطوير .. طريق النصر .

وفى هذا المجال مجال الخبرات المكتسبة من الحرب العالمية الثانية لايسعنا الا أن نسجل أبرز نواحيها طالما انها كانت الركيزة والخلفية لهذا الصرح الشامخ الذى حقق لنا الكثير من الانتصارات والمكاسب فى ملحمة ٦ أكتوبر .. القوة الرابعة .. قوة الدفاع الجوى .

والعجيب فى هذه الخبرات أن اكثرها لايزال أساسا معمولا به الآن ودخل كنظريات لها احترامها فى مجال الدفاع الجوى .

فمثلا كان من تكتيكات الطيارين الألمـان المشهورة فى الحـــرب العالميـــة الثانية :

- ضرب الأهداف الصغيرة « pin point targets » بطريقـــة الغطس من الزاوية الحادة جدا وقد ثبت حتى الآن انها فعلا ادق طريقة لاصابة مثل هذه الأهداف .

- الاقتراب على الارتفاعات المنخفضة من اتجاه الشمس عند مهاجمة مواقع المدفعية المضادة للطائرات التى تعمل بالاشتباك المنظور وكان يطلق الانجليز على هجمات الألمان هذه اسم الفئران « Rats »

وقد استخدم الاسرائيليون هذا الأسلوب فى معاركهـــم ضد قوات الدفاع الجوى فى حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .

- مهاجمة الهدف من اتجاهات متعددة فى نفس الوقت بغرض اربـاك وسائل المدفعية المضـــادة للطائرات وســهولة اختراق الدفاعات المضادة للطائرات والوصول الى الهدف ومهاجمته وكان الانجليز يطلقون على هذا النوع من الهجمات الجوية اسم « Star raid » او الهجمة النجمية » وهذا الأسلوب مازال هو الأسلوب الأمثـل فى مهاجمة الدفاعات المضـــادة للطائرات والأهداف الحيوية حتى الآن .

- مهاجمة الأهداف الكبيرة ليلا بواسطة القاذفات على ضوء المشاعل « Flares » وذلك لتجنب كثافة النيران من المدفعية المضـــادة للطائرات والرشاشات التى تشتبك نهارا فقط بالمنظور وهو نفس الأسلوب الذى استخدمته اسرائيل فى معظم هجماتها الليلية .

- الاستطلاع الجوى بواسطة الطائرات التى كانت معروفة وقتئذباسم « فوك وولف » وهى طائرات سرعتها أسرع من سرعة المقاتـــلات

ويمكنها الطيران على ارتفاعات خارج مدى عمل المدفعية المضادة للطائرات وقتئذ وهى نفس الأسس الحالية التى بنت عليها روسيا طائرة الاستطلاع « فوكس بات » وامريكا الطائرة « SR-7I »

ولايمكن لمن عاصر تلك الفترة من العمليات من قدامى قـادةالدفاع الجوى الحاليين الا أن يذكر منظر تلك النقطة البيضاء المرتفعة جـداً فى السماء ولها ذيل أبيض من الدخان « الـ trail » وأسـفلها دوائر صغيرة من الدخان الأسود (انفجار طلقات المدافع مط) وكـان هذا منظرا يوميا مألوفا فى سماء الاسكندرية (وظهر كل يوم تقريبـا) .. انه منظر طائرة الاستطلاع الألمانية « فوك وولف » والمدافع المضـادة للطائرات تحاول جاهدة اصطيادها دون جدوى لطيرانها خارج مدى عمل هذه المدافـع .

ولقد تميزت هذه الحرب بالاستخدام المكثف لأسـلوب الضرب بالغلالة ، ولقد حقق هذا الأسلوب نتائج جيدة فى هذه الحـرب نظـرا للسرعة المحدودة للطائرات فى ذلك الوقت علاوة على توفـر كميـات كافية من الذخائر وعدم وجود اى قيود على استهلاكها ، وكلا الأمرين لا يتوافر حاليا فى الحروب الحديثة مما يجعل هذا الأسلوب أسـلوبا غير صالح للتطبيق فى معركة الدفاع الجوى الحديثة . وان كان هذا لا يعنى رفض النظرية نفسها ، فالغلالة فى جوهرها ما هى الا تطبيق للنظرية القائلة « ان لا شىء يعوض عدم دقة المدفعية المضادة للطائرات الا كثافة النيران الموقوتة » ، وهى نفس النظرية التى بنيت عليها حديثا المدافع المضادة للطائرات صغيرة العيار ذات معدلات النيران العالية جدا مثل المدافع ٢٣ مم الرباعية المواسير الروسية الصنع المعروفة باسم «الشيلكا» أو المدافع المضادة للطائرات متعددة المواسير الأمريكية الصنع والمعروفة باسم « الفولكان » .

الفصل الثانى

نشأة وتطور
القوات الجوية الإسرائيلية

- البدايــة .
- الهدنة الاولى .
- القوة الحاسمة .
- الفلسفة الجديدة .
(القوات الجوية الاسرائيلية من ١٩٥٦ حتى ١٩٦٧)
- غزو القطب الشمالى .
(الفترة من يونيو ١٩٦٧ الى اكتوبــر ١٩٧٣)
- الطيران المنخفض .
- اغنية ســام .
- مزيد من الحرب الالكترونية .
- طائرات بـلا طيار .

ولقــد نســال قــادة اسرائيل اليوم : اين ذهبت نظــرية الامن الاسرائيلى التى حــاولوا اقامتها بالعنف تارة والجبــروت تارة اخرى طــوال خمس وعشرين ســـنة ؟ .. لقــد انكسرت وتحطمت .

انور الســادات

نشـــاة وتطور القــوات الجوية الاسرائيلية

* البـــدايــة

بنهاية الانتداب البريطانى على فلســطين ، تم اعـــلان الدولــة الصهيونية فى الرابع عشر من مايو ١٩٤٨ .

وفى ٣١ مايو صدر الأمر بانشـــاء قــوات الدفاع الاسرائيلية ، وتتكون من الافرع الرئيسية الثلاثة وهــى القوات البرية ، والقـــوات الجوية ، والقوات البحرية واخذت القوات الجوية الاسرائيلية اســبقية واهمية اكثر من القوات البحرية واستمر هذا الوضع حتى الآن ، كما سنرى فيمــا بعــد .

ووضعت قوات الدفاع الاسرائيلى آنذاك تحت قيادة «بن جوريون» الذى استطاع أن يدعم القوات الجوية بعدد من الطيارين المتطوعين من أوروبا والولايات المتحدة وجنوب افريقيا ، وبلغ عدد الطيارين اربعين طيارا

من مقاتلى الحرب العالمية الثانية ذوى الخبرة الجيدة ، وخاصة طيارى « المسر شميت » الطائرة الألمانية الشهيرة ، وكذا طيارى « ب ــ ١٧ » الأمريكية المعروفة باسم القلاع الطائرة .

وكان لدى الدولة الجديدة عند نشوب القتال ثلاثة أسراب من الطائرات الخفيفة . كما امكن الحصول على بعض الطائرات من طراز « أوستر » وأمكن تجهيزها للعمل كقاذفات قنابل .

* الهدنة الأولى

استغل « أهارون ريميز » قائد السلاح الجوى الاسرائيلى ، فترة الهدنة فى تطوير قواته ، حيث دعم المطارات بالمساعدات الملاحية اللازمة وورش الصيانة والاصلاح التى تحقق درجة عالية من الكفاءة الفنية للطائرات والمطارات ، وكذا المعدات الاشارية اللازمة لتحقيق سيطرة مستمرة ومرنة واستخدام سريع للقوات الجوية .

كما قام بسحب الطيارين الجدد من يهود فلسطين وزيادة تدريبهم بمعرفة الطيارين القدامى المتطوعين من الدول الخارجية .

ورغم حظر السلاح الذى فرضته الأمم المتحدة على أطراف الصراع ، أمكن لاسرائيل الحصول على عدد من قاذفات القنابل الأمريكية من طراز ب ـ ١٧ (القلاع الطائرة) .

القوة الحاسمة

انتهت الجولة العربية الاسرائيلية ، وأخذت الأطراف المتصارعة فى الاستعداد لجولة ثانية .

وعبر « بن جوريون » عن سياسته الحربية بقوله « ان سيطرتنا الجوية هى وحدها التى تضمن انتصارنا أكثر من أى عامل آخر » .

وكان ذلك فى اكتوبر ١٩٥٣ . ومن هنا ومنذ ذلك الوقت المبكر بدأ اهتمام اسرائيل الشديد بانشاء قوات جوية حديثه وقادرة .

وكان « بن جوريون » فى ذلك الوقت وزيرا للدفاع ولكنه ايضا العقل المفكر والفيلسوف التنفيذى ـ اذا صح التعبير ـ للدولة القائمة على العدوان .

واعتنق تلميذه المخلص « موشى ديان » نفس المبدأ بحماس ، وقام فى عام ١٩٥٤ بجولة فى الدول الغربية للحصول على مزيد من الخبرة الفنية والمساهمة فى المساعى الرامية للحصول على الأسلحة وعاد من الولايات المتحدة مزودا بكافة المعلومات عن تدريب القوات وخاصة بالنسبة لاعداد الطيارين المقاتلين . كما أمكن عقد صفقة مع فرنسا للحصول على طائرات حديثة من طراز « مستير » النفاثة ، وكذا طائرات النقل « نورد أطلس » .

وشرع « موشى ديان » فى تطوير القوات الجوية الاسرائيلية على أسس جديدة وبطائرات حديثة ويعتبر هذا العمل من الأحداث العسكرية الهامة فى تاريخ هذا الرجل .

وفى عام ١٩٥٥ استغلت اسرائيل تدهور العلاقات السياسية بين مصر وفرنسا نتيجة لمساعدة مصر لثورة التحريرالجزائريةواستطاعت أن تعقد صفقة سلاح جديدة للحصول على المزيد من طائرات « المستير » وقاذفات فرنسية من طراز « فوتور » . واعتبارا من أبريل ١٩٥٦ بدات تتدفق الطائرات على اسرائيل من فرنسا كما امكن توقيع صفقة ثانية مع فرنسا فى نفس الشهر شملت ٧٢ طائرة نفاثة من طراز « مستير ٤ ـ أ » .

وفى يوليو ٥٦ تم توقيع اتفاق آخر للاسراع فى دفع الطائرات والأسلحة الى اسرائيل ونظرا لضخامة وسرعة تدفق الأسلحة اطلقوا على هذه الإتفاقية الاسم الرمزى « فيضان » .

القوات الجوية الاسرائيلية من ٥٦ حتى ٦٧

شكلت أحداث ونتائج العدوان الثلاثى على مصر فى عــام ١٩٥٦ نقطة تحول هامة فى بناء الجيش الاسرائيلى ، وعلى ضوء ذلك تبلورت السياسة الحــربية الاسرائيلية أســاسا فى مبدأ الاعتماد على القــدرة الذاتية وذلك لتفادى ماترتب على ربط عجلة اسرائيل بالقوى العسكرية الكبرى من محاذير مختلفة أدت الى انسحاب اسرائيل من سيناء ، كما أثارت اشمئزاز الرأى العام العالمى .

وكان مبدأ الاعتماد على القوة الذاتية يعنى أن تقوم اسرائيل ببناء قوات مسلحة قوية تتمتع بالقدرة على العمل المستقل الحاســم ضــد الدول العربية وبالتالى تحقيق استراتيجية اسرائيل الهجوميــة التى تتلخص فى المبدأ القائل بأن الهجوم هو الشــكل الرئيسى للعمليــات الحربيــة . وهذا يحتاج الى خلق قوة ضاربة للقوات المسلحة الاسرائيلية يكرس لها الجانب الأعظم من الجهد والمال .

وعقدت عدة اجتماعات فى رئاسة الأركــان العــامة حضرها « بن جــوريون » و « موشى ديان » و « دان تلــكوفسكى » قــائد القــوات الجوية و « عازر وايزمان » الذى خلف « تلــكوفسكى » فى قيــادة

القوات الجوية ، وشيمون بيريز وغيرهم . وفى هذه الاجتماعات كـــان الاتفاق تاما على ضرورة نقل المعركة بأسرع مايمكن الى أرض « العدو » واقترح أحــدهم الاعتماد على الصواريخ أرض/أرض فهى فى الواقـــع تمثل سلاحا رادعا قويا ، الا ان هــذا الاقتراح رفض من الجميع لأن تكاليفه باهظة ، ولان اسرائيل ليست فى حاجة الى سلاح بعيد المـدى فحسب ، بل هى أيضا تحتاج الى سلاح ذى قوة نيران كبيرة قــادرة على حسم الحرب وتحقيق النصر ، وهو مالا يتوفر للصـــــواريخ ارض/ارض طالما أنها مزودة فقط برءوس تقليدية وليست ذرية .

واتفق فى النهاية على التركيز على ثلاثة عناصر اســـاسية هى القوات الجوية ، والقوات المدرعة ، وقوات المظلات . الا ان القـــوات الجوية قد حظيت بالاهتمام الأكبر وللدلالة على ذلك أسوق بعض آراء القادة العسكريين فيما يلى :

قال « حاييم لاسكوف » الذى عين رئيسا للاركان بعد « مــوشى ديان » فى عام ١٩٥٨ : « نحن الآن بصدد وضع برنامج لردع الـــــدول العربية ومن الطبيعى ان هذه المهمة تتطلب قوات على درجة عاليـــة من الكفاءة القتالية ، وقوة استراتيجية هجومية ضـــــاربة ، تتميز بعنف الصدمة وسرعة الحركة والقدرة على الحسم . ولهذا فلابد من التركيز على القوات الجوية لحسم الموقف فى الجو ، وعلى القوات المدرعـــة لحسمه على الارض . كما أن التقييم الصحيح للأهمية الحاسمة للمرحلة الافتتاحية للحرب يقتضى ضرورة تحقيق السيطرة الجوية منذ بدايـــة القتال ، وكذا توفير الدعم الجوى الكبير الذى يمكن بواسطته ضـــمان النجاح السريع للقوات البرية ، اذ أن عدم تحقيق السيطرة الجوية قد يؤدى الى تحويل الحـــرب الخاطفة الى حرب استنزاف طويلـــة غـــير مضمونة العواقب » .

وقال شيمون بيريز فى عام ١٩٦٢ « ان الموضـــوع الرئيسى الذى يشغل أذهاننا وتفكيرنا حول أمن اسرائيل هو تدعيم القـوات الجويـة فان الجانب الذى سيفاجىء خصمه من الجو سوف يفوز بتفوق حاسم يحدد فى الواقع مصير الحرب منذ البداية ، والمعركة الفاصلة ستحقق بالطائرات فى الجو وبالمدرعات على الأرض » بينما حدد « عازر وايزمان » فلسفته كقائد للقوات الجوية الاسرائيلية فى عـــام ١٩٦٣ فى الآتى : « ان أفضل أساليب الدفـاع فى حالة الحرب مع العـــرب ، هو تجنب العمليات فوق أرض اسرائيل ، والعمل على تهديد دمشق ، واحتـلال الضفة الغربية ، والاندفاع بسرعة نحو قناة السويس . أما لو اكتفت اسرائيل بالدفاع عن « تل أبيب » فسيكون ذلك انتحارا جماعيا ، اذ لن يكون امامها أى مجال للعمليات الاستراتيجية البرية ، لذلك فـان العمل الاستراتيجى يجب أن يكون هو العمق الجوى . » وهكذا حـدد « وايزمان » فى عام ١٩٦٣ الاستراتيجية الأساسية لجولة يونيو ١٩٦٧ قبل بدء الحرب بأربع سنوات .

امـا عن تنظيم وتسليح القوات الجـوية الاسرائيلية فقد بدأت مناقشتها فى عام ١٩٥٦ ، وكان من الواضح ان اسرائيل لا تسـتطيع الاحتفاظ بثلاثة أنواع من الطائرات فى وقت واحد ، الأول للمعـــاونة الجوية التكتيكية ، والثـــانى للدفـــاع الجـوى ، والثـالث للقصف الاستراتيجى فى عمق العدو ، ولذلك تم استبعاد القاذفات من تنظيـم القوات الجوية ، بل أن الجنرال « ديان » كان أكثر تطرفا ورأى الاكتفاء بالمقاتلات فقط ولكنه مالبث أن اقتنع بضرورة توفير المقاتلات القاذفـــة الحديثة أيضا ، القادرة على نقل الحرب الى أرض الخصم .

وبدأ الاهتمام باختيار الطائرات المناسبة لمهـام القوات الجـوية الاسرائيلية باعتبار أن هذا الاختيار يشكل احـــد العوامـل الهامة فى تحقيق النصر ، لذلك حددت للطائرات المطلوبة مواصفات معينة وقدرات خاصة كان اهمها طول المدى والقدرة على اختراق الـدفاع الجـوى

المعادى ، والقيام بقصف الأهداف العربية بحمولة كبيرة من القنابل والصواريخ ، وأخيرا القدرة على الطيران المنخفض بسرعة عالية والافلات من أسلحة الدفاع الجوى العربية .

ومن ثم قامت اسرائيل باستعراض أسواق السلاح المتيسرة أمامها وبناء على ذلك قررت شراء طائرات « ميراج » الفرنسية واتفقت مع مصانع « داسو » المنتجة لها على اجراء بعض التعديلات اللازمة لزيادة المدى واضافة بعض المعدات الالكترونية لمعاونة الطيار فى تنفيذ مهامه القتالية بسهولة ، ووصلت طائرات « الميراج » الى اسرائيل وتم تدريب الطيارين على استخدامها .

ووضعت الخطط المناسبة لتنفيذ السياسة الجوية الاسرائيلية وتم تدقيقها وتعديلها أولا بأول بناء على معلومات دقيقة عن أهداف الهجوم وعن وسائل الدفاع الجوى العربية ، وبما يخدم خطة العمليات البرية . وتم أعداد الطيارين وتدريبهم بكافة المعلومات اللازمة .

وهكذا وبعد أحد عشر عاما من التخطيط والتدريب أصبحت القوات الجوية الاسرائيلية على الصورة التى وضعتها لها المؤسسة العسكرية الصهيونية فى عام ١٩٥٦ .

ثم كانت الجولة الثالثة فى يونيو عام ١٩٦٧ .

* غزو القطب الشمالى

الفترة من يونيو ٦٧ الى اكتوبر ٧٣ .

بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ وقف الجنرال « اسحق رابين » قائلا فى غرور : « بواسطة قواتى الجوية استطيع غزو اى مكان فى العالم حتى ولو كان القطب الشمالى » .

واخذت المجلات المختصة فى العالم تتحدث عن القوة الجوية الأسطورة والطيار الاسرائيلى الذى يحقق المعجزات وقال بعض المعلقين العسكريين أن الطيار الاسرائيلى هو اكفأ طيار فى العالم .

واستغلت اسرائيل هذا النجاح وتعاقدت مع الولايات المتحدة على صفقة جديدة من طائرات «الفانتوم» و « السكاى هوك »وكانت صفقة تلتها صفقات أخرى حتى وصل عدد الطائرات لدى اسرائيل قبل اكتوبر ٧٣ الى ٦٠٠ طائرة منها حوالى ٤٠٠ طائرة من طائرات القتال الحديثة وهى بالتحديد « الفانتوم وسكاى هوك والميراج » وبعض هذه الأخيرة تم تصنيعه فى اسرائيل واستطاعت اسرائيل أن توفر عددا من الطيارين الأكفاء سواء من سكان اسرائيل أو من اليهود الأجانب الذين أمكنهم الجمع بين جنسيتهم الأصلية والجنسية الاسرائيلية حتى أصبحت

نسبة الطيارين الى الطائرات ٣ : ٢ ، وكل من هؤلاء الطيارين كـــان قادرا على القيام بأربع طلعات يوميا . فاذا كانت حمولة الطـــائرات الفانتوم على سبيل المثال تصل الى حوالى ستة اطنان من المواد الشديدة الانفجار فاننا بعملية حسابية بسيطة (٤٠٠×٥ر١ × ٤ × ٦ تســاوى ١٤٤٠٠ طن) نجد أن تلك القوات الجوية تستطيع فى اقـــل من يومين أن تلقى حمولة من المواد الشديدة الانفجار تعادل القنبلة الذرية الأولى التى القيت على « هيروشيما » فى نهاية الحرب العالمية .

هذا من حيث عدد الطائرات وحمولتها ولكن ذلك ليس كل شىء فما زال هناك الكثير حتى تصبح القوات الجوية « الذراع الطويلـــة » لاسرائيل كما كان يطيب لهم أن يطلقوا عليها .

ويمكن أن نلخص ملامح التطور الاخرى فى الآتى :

الطيران المنخفض

كلنا نعلم أن الأرض كروية .. وكلنا نعلم ايضا أنهـا جســـم صلب يعكس الطاقـــة الكهرومغناطيسية وفى نفس الوقت فهى ــ اى الأرض ــ موصل جيد لهذه الطاقة .. ولهذه الأسباب ولعوامل اخـــرى فنية عديدة فان اكتشاف الطائرات راداريا على الارتفاعات المنخفضـــة وعلى المسافات المطلوبة مازال مشكلة علمية عالمية لم تجد حلا حتـــى الآن .

ومن هنا فقد ركزت القيادة الاسرائيلية على تدريب طياريها على الطيران على ارتفاعات منخفضة ومنخفضة جـــدا لاتزيد عن عشرات الامتـــار « Top-tree altitude » مع استخدام الهيئات الطبيعية من جبال ووديان وما الى ذلك .. بل وحتى موجات البحر وبذلك فانها تستطيع أن تتسلل الى اهدافها بسرعات كبيرة دون أن تكتشف بأجهزة

الرادار المصرية ثم تسقط حمولتها فوق الهدف وتقفل راجعة دون عقاب .. وحتى لو استطاع الدفاع الجوى المصرى أن يكتشفها فى اللحظات الأخيرة فلن يتوفر له الوقت اللازم للاشتباك ، فالمعروف أن كل سلاح او معدة يحتاج الى زمن ما لكى يستعد ولكى يقوم باجراءات الاشتباك المعقدة حتى لحظة الاطلاق ثم متابعة الطائرة لحين تدميرها .. اما أن يتواجد الدفاع الجوى فى حالة استعداد فورية دائمة فان ذلك يعنى استنزافا كاملا للبشر وللمعدات ولاتقدر عليه حتى أغنى واقوى دول العالم . وأصبح الطيران المنخفض هو الشكل الرئيسى والأوحد تقريبا للعمليات الجوية الاسرائيلية وتفوق طياروها بالفعل بمساعدة النوعيات المتطورة من الطائرات فى هذا المجال .. وبالرغم من نجاحهم فى تنفيذ الأسلوب ، الا أن الأسلوب نفسه فشل فشلا ذريعا فى حرب اكتوبر كما سوف نرى فى فصل آخر ..

* اغنية ســـــام

ولناخذ فكرة موجزة عن احدى الطائرات الاسرائيلية ولتكـــــن « الفانتوم » وهى طائرة اسرع من الصوت وتتميز بمدى كبير يحـــقق لها الوصول الى اى هدف فى عمق الدولة حتى لو اقتربت اليه عـــلى ارتفاع منخفض جدا (والمعروف ان الطيران المنخفض يزيد من استهلاك الوقود) . كما أن لها كفاءة عالية فى الطيران على الارتفاعات المنخفضـــة ولها قدرة كبيرة على المناورة بتغيير ارتفاعها أو اتجاهها أو سرعتها . والطائرة « الفانتوم » مزودة بجهاز ملاحة الكترونى يساعد الطيـــــار مساعدة كاملة فى الوصول الى هدفه ، والاهم من ذلك جهـــاز التحـــذير الموجود بالطائرة والذى ينذر الطيار عند دخوله فى المجال الـــــرادارى لدفاعنا الجوى ثم يبلغه بأن صاروخا قد أطلق من أحدى قواعدنا ثـــم يخطره بأن الصاروخ يتجه نحوه ثم يجرى بعض الحســـابات التى تشمل سرعة واتجاه الصاروخ والطائرة والخواص الايروديناميكيـــــة لكـــل منهما ثم فى اللحظة المناسبة يصدر أزيزا معينا يطلق عليـــه الطيـــــارون الاسرائيليون « اغنية سام Sam Song » وعنـــــد ذلك يقـــوم الطيار باجراء مناورة حادة يتخلص بها من الصاروخ .

هل هذا هو كل شىء ؟ الواقع اننا لم نتحدث بعد عن تســـــليح

الطائرة ومن أجهزة الاعاقة والشوشرة الالكترونية فى هذه الطائـرة .. ولنأخذ فكرة سريعة عنهما :

أما عن التسليح فهو متعدد الأشكال ، فيمكنها أن تحمل قنـابل عادية شديدة الانفجار ويمكنها ان تطلق قنابل زمنية موقوتة تنفجـر بعد زمن محدد وبذا تغلق الطريق من والى هدفها طوال فترة بقـاء هذه القنابل فى منطقة الهدف الذى قصفته .. كما تحمل أيضا أنواعا مختلفة من الصواريخ منها مثلا « الصاروخ شرايك » وهو صـاروخ موجه يطلق من الطائرة نحو أجهزة الرادار أو أى معدات الكترونيـة تشع طاقة كهرومغناطيسية فى الجو وما أكثر هذه المعدات فى الدفـاع الجوى الحديث ، والتى تعتبر فى الواقع روح الدفاع الجوى . المهم أن هذا الصاروخ «شرايك» مجهز بعنصر له حساسية خاصة نحو الطاقة الكهرومغناطيسية فتظل تجذبه نحوها وبذا فان توجيه الصاروخ مـن هـذا النوع يتم فى الواقع بواسـطة الهـدف الذى يطـلق نحـوه (جهاز الرادار مثلا) . والأكثر من ذلك أن بعض الأنواع من هذا الصاروخ مـزودة بذاكـرة الكترونيـة تحتفظ له بالمعـلومات الأخيرة عن مصادر الاشـعاع وبذا يسـتمر فى توجيـه نفسـه نحـو هدفـه حتى ولو اوقف تشغيل هذا الجهاز .

هذا هو أحد أنواع الصواريخ وهناك أنواع اخـرى مثـل الصواريخ الحرارية التى تتجه ذاتيا نحـو مصادر الحرارة اذ المعروف أن المعدات الالكترونية تحتاج الى أجهزة لتوليد الطاقة الكهربية اللازمـة لتشغيلها وهذه الأجهزة هى أحد المصادر الحرارية التى تبحث عنهـا هذه الأنواع من الصواريخ .. وليس هذا أيضا هو كل شىء ، فثمـة أنواع أخرى من الصواريخ والقنابل التى توجه تليفزيونيا حيث يزود الصاروخ أو القنبلة بكاميرا تليفزيونية تلتقط صورة الهدف ثم يقـوم حاسب الكترونى صغير بتصحيح مسار الصاروخ ليطابق الصـورة

الأولى مع الصور الملتقطة بعد ذلك حتى يصل الصاروخ أو القنبلة الى الهدف .

اما عن اجهزة الشوشرة الموجودة بالطائرة الفانتوم فيكفى ان نلخصها فى نوعين رئيسيين :

أولهما : وسائل الاعاقة والشوشرة السلبية وهى اما عواكس أو رقائق معدنية تلقى من الطائرات بكثافة كبيرة فى هيئة سحابة كبيرة تختفى خلفها الطائرة فيتعذر رؤيتها على شاشات رجال الدفاع الجوى سواء فى أجهزة الرادار او فى محطات توجيه الصواريخ أرض / جو .

ثانيهما : ما يسمى بمستودعات الاعاقة الايجابية وتقوم هذه المستودعات باشعاع طاقة كهرومغناطيسية موجهة نحو اجهزة الدفاع الجوى فتظهر على شاشاتها سحب أو خطوط بيضاء تتكون من آلاف النقاط البيضاء الساطعة ، فاذا علمنا أن الطائرة هى الاخرى تظهر على تلك الشاشات فى هيئة نقطة واحدة بيضاء مضيئة فاننا ندرك مدى صعوبة اكتشافها ولا اقول استحالة ذلك لأن رجالنا استطاعوا رغم ذلك أن يكتشفوا هذه الطائرات وأن يدمروها .

*مزيد من الحرب الالكترونيـــة

لم تكتف اسرائيل بهذا القدر الهائل من وسائل الاعاقة الالكترونية الموجودة بالطائرات .. فقامت بانشاء مركز كبير للحرب الالكترونيـة فى سيناء وبالتحـديد فى منطقة أم خشيب ، وجهزتـه بأحـــدث المعدات ، بغرض القيام بأعمال الاعاقة على معدات الدفاع الجـــوى الالكترونية على اختلاف نوعيتها وتردداتها لمنعها من اكتشاف ومتابعـة الطائرات المعادية .

كما قامت القوات الجوية الاسرائيلية بتجهيز عدد من الطـــائرات « الاستراتوكروزر » « والهليوكوبتر » بمعدات اعاقة الكترونية للعمـل كداوريات اعاقة طائرة تستطيع القيام بالتشويش الايجابى وهى خـارج مدى نيران أسلحة الدفاع الجوى .

وقبل ان نترك هذا المجـــال نذكر ايضا طائرات الاســـتطلاع الالكترونية التى كانت تقوم برحلات يومية بمحاذاة شاطىء البحـــر المتوسط وقناة السويس ذهابا وعودة لاستطلاع ترددات أجهزة الدفــاع الجوى الالكترونى وكانت هذه الرحلات تتم دائمـا من مسافات بعيدة تزيد عن ١٠٠ كيلو متر من سواحلنا .

ورغم كل ماتقدم .. ورغم كل ماكدسه العدو من معدات الحرب الالكترونية ، ورغم تخطيطه السليم لاستخدامها ، فقد كان لدينا تصميم اكيد على تدمير طائراته ؛ وشل ذراعه الطويلة .. وكنت أقول دائما للمقاتلين « **ليس هناك جهاز رادار لايمكن اعاقته ، وليست هناك اعاقة لايمكن التغلب عليها** » .

طائرات بلا طيـــار

اصبح الحصول على طيار مقاتل جيد عملا فى غاية الصـــــعوبة فليس كل فرد يصلح ليكون طيارا وانما نسبة ضئيلة من الناس تتوافر فيهم مؤهلات خاصة نفسية وذهنية وبدنية لهذا العمل . هذا من حيث اختيار الشخص الصالح للاعداد كطيار .. ثم يمر بعد ذلك بمراحـــل عديدة تتدرج من السهل الى الصعب الى الأصعب حتى يستطيع أن يقود طائرة مقاتلة حديثة ، وبعد ذلك ينتقل الى مرحلة الطيران القتالى أى أن يقود ويسيطر على طائرته فى معركة جوية بكل ماتتميز بـه هذه المعركة من سرعة وعنف وتعقيد .. لهذا فان نسبة ضئيلة من هـــؤلاء الذين يبدأون طريق الطيران القتالى الطويل هم الذين يصـــلون الى نهاية الطريق ويمكن أن يصبحوا طيارين مقاتلين يعتد بهم .. ولكـــن هذا يحتاج الى وقت طويل والى تكاليف كثيرة .. ورغم هذه الصعوبة وهذا الوقت الطويل الذى يحتاج لاعداد الطيار ، فان فقد هـذا الطيـــار قد يحدث فى لحظة اثناء المعركة وأثناء التدريب أو ما الى ذلك ..

ومن هنا فقد اتجه التطوير فى صناعة الطيران نحو انتاج الطائرات الموجهة بدون طيار .. اى أن الطائرة تجهز بمعدات خاصة يمكنها أن تســـــتقبل الأوامر من الموجــه الموجود على الأرض أو فى طائرة (التى

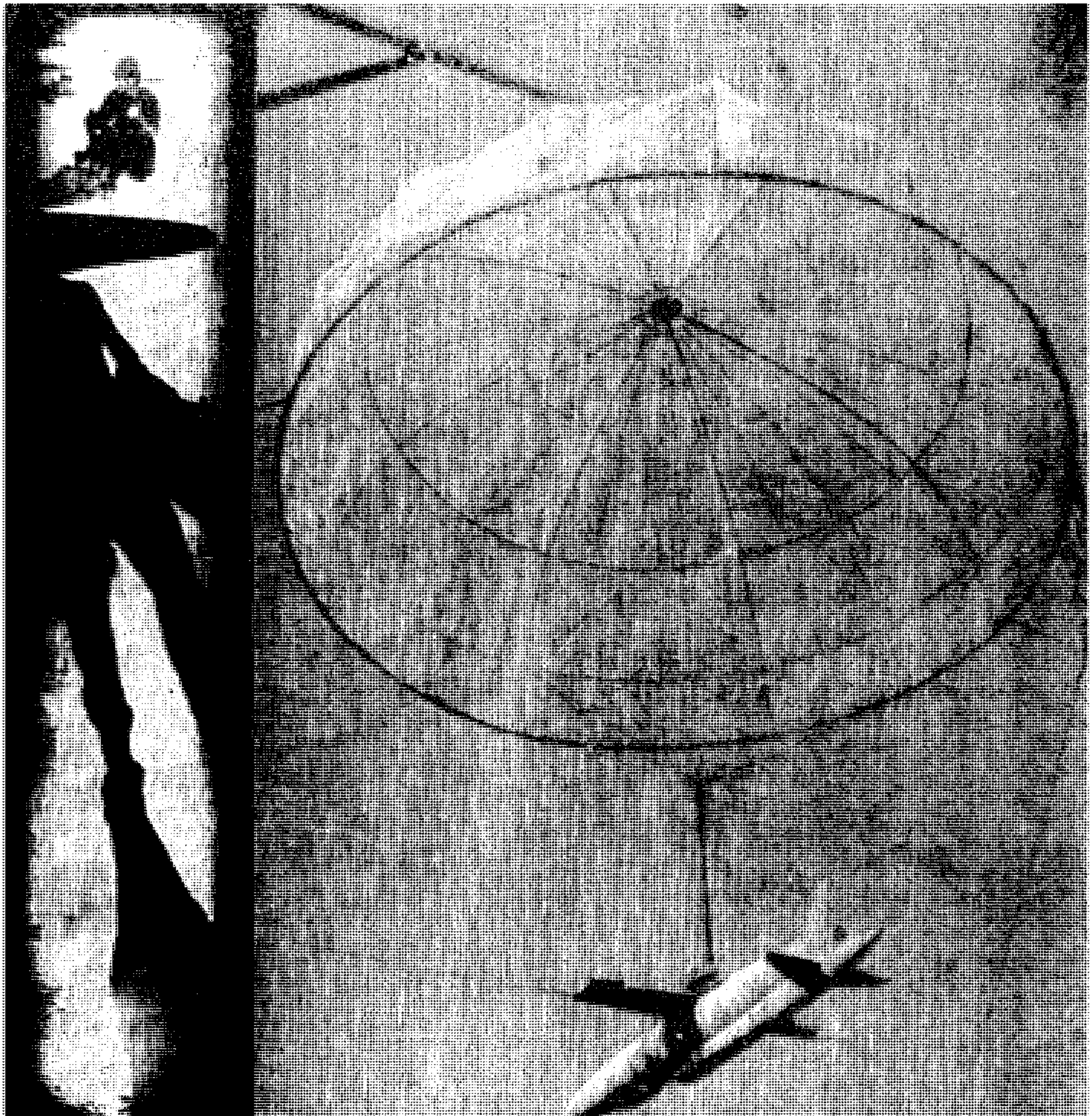
يطلق عليها الطائرة الأم) فى أمان ويستطيع بواسطة شاشة رادار وبعض الأجهزة أن يسيطر على خط سير الطائرة وسرعتها وارتفاعها واتجاهها ويصدر لها الأوامر بالمناورة عند اللزوم .. ليس هذا فقط بل أن هـذا الموجه يستطيع أيضا أن يصدر الأوامر من مكانه الى الطـائرة لمهاجمة هدف ما معاد وقصفه بالقنابل فى اللحظة المناسبة ثم اعـادة الطـائرة الى قاعدتها . وتعارف الغربيون العسكريون على تسـمية هـذا النوع من الطائرات باسم « Remotely piloted vehicles-RPVs »

ويوجد العديد من هذه الأنواع فى العالم حاليا .. وقـد استطاعت اسرائيل أن تحصل من الولايات المتحدة قبل الحرب على عـــدد مـن هذه الطائرات من نوعين مختلفين احدهما من طراز « فايربى ــ رايان » والثانى من نوع « شَكَرْ » . ويمكن اجمال خواص هـذه الطـــائرات فى الآتى :

* صغر الحجم مما يقلل الى حد كبير من احتمال رؤيتهـــا راداريا أو بصريا .
* سرعة تصل الى ٩٠٠ كم/ساعة .
* ارتفاع يتراوح ما بين ٥٠٠ م ــ ١٢ كم .
* يمكنها أن تجهز بأنواع مختلفة من القنابل .
* يمكنها أن تحمل مستودعات اعاقة الكترونية سواء ايجـــابية أو سلبية بكاميرات بغرض الاستطلاع بالصور الجوية .
* يمكن اطلاقها من قاذف على الأرض أو من طائرة اخـــرى أو مـن السفن ، كما يمكن استعادتها سالمة بسهولة .

وعلى هذا فقد خططت القوات الجوية الاسرائيلية لاســـتخدام هذه الطائرات فى الآتى :

* الاستطلاع بالتصوير على الارتفاعات المنخفضة باستخدام الطائــرات



استطاعت اسرائيل أن تحصل قبل الحرب على عـدد من الطائرات الموجهة بدون طيـار وبالرغم من كل المميزات التى تتوافر لهذه الطائرات نجح الدفاع الجوى المصرى فى اسقاطها وهاهى احداها فى معرض الغنائم تكاد تكون سليمة تماما .. !

والصورة التى على اليسار لقطة من بداية الفيلم الذى وجد بداخل هذه الطائرة والتى أسقطتها وسائل دفاعنا الجوى بعد ظهر يوم ١٣ ديسمبر ٧٣ وواضح بهاالجندى الاسرائيلى المشرف على تجهيز الطائرة فى موقع الاطلاق .

أما كيف أسقط دفاعنا الجوى الطائرة وحصل على الفيلم سليما فلها قصة لم يحن الوقت بعـد لاذاعتهـا ..

من نوع « شَكَرَ » أو على الارتفاعات العالية باستخدام الطائرات « فايربى ــ رايان » .

* الاعاقة الالكترونية بتزويدها بمعدات تداخل ــ شوشرة ايجــــابية او سلبية .
* قصف بعض اهدافنا بالقنابل .
* مشاغلة وحدات الصواريخ حيث تقترب من هذه القواعد اما بهدف لفت الأنظار بعيدا عن اتجاه الهجمة الجوية الحقيقية أو لاســـتنزاف الصواريخ والذخائر .

والطائرات الموجهة اصبح شكلها معروفا لدى المدنيين والعسكريين على السواء ، اذ تم عرض واحدة منها فى معرض الغنائم وهى الطائــرات التى نجح الدفاع الجوى المصرى فى اســــقاطها فى حــــرب العاشر من رمضـــــان .

الفصل الثالث

الجولات والمعارك التي خاضها الدفاع الجوي المصري حتى عام ١٩٦٧

- الجولة الأولى (١٩٤٨)
- الجولة الثانية (١٩٥٦)
- الجولة الثالثة (١٩٦٧)

الجـولات والمعـــارك الـتى خـاضـــها الـدفاع الجـوى المصرى حتى عـام ١٩٦٧

* الجولة الاولى ١٩٤٨

انتهت الحرب العالمية فى عام ١٩٤٥ وبدأ العالم يستمتع بنسمات السلام بعد سنوات طويلة من الحرب والدمار . ولم يخطر ببال أحـد أن هناك قتالا جديدا وشيكا فى اى منطقة من العالم . فقـــد عانت شعوب العالم قاطبة من آلام الحرب العالمية الثانية ، سواء تلك الشعوب التى اشتركت بطريق مباشر او غير مباشر فى تلك الحرب .

ولكن السلام لم يستمر طويلا ، ففى الشرق الأوسط عادت المشكلة الفلسطينية الى الظهور .. ولم تكن مشكلة جديدة فى الواقع بل ترجع الى أيام الحرب العالمية الأولى حيث استطاعت الحركة الصهيونية العالمية أن تحصل من « اللورد بلفور » وزير خارجية الامبراطورية البريطانية فى ذلك الوقت على وعد باقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين . ومنذ ذلك التاريخ والصراع دائر فى فلسطين فى شكل ثورات وطنية قام بها الفلسطينيون ضد الادارة البريطانية التى تعاظم تعاطفها مع الصهيونية حتى سمحت ليهود الشتات بالهجرة الجماعية الى فلسطين .

وما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى استغل الصهاينة كراهية العالم لألمانيا النازية فركزوا على الاضطهاد الهتلرى لليهود فى ألمانيا وضخموا من تلك الأحداث واضافوا اليها الكثير من الأساطير واظهروا للعالم بذكاء بأنه ـ أى العالم ـ مسئول عن الاضطهاد العنصرى لهذه الأقلية المشردة المسكينة !! واستطاعوا الى حد كبير أن يخدعوا العالم بهذه الأكاذيب .

واستمرت الهجرة اليهودية بأعداد كبيرة الى فلسطين ثم بدا الصراع بين الفلسطينيين واليهود المهاجرين يزداد ضراوة داخل فلسطين التى كانت تحت الانتداب البريطانى فى ذلك الوقت . وكان الحل الأسلم من وجهة النظر البريطانية هو عرض المشكلة على هيئة الأمم المتحدة التى كانت غالبيتها فى ذلك الوقت من الدول التى عانت من الحروب والاعتداءات النازية .

.. وصدر قرار التقسيم المعروف بأغلبية ضئيلة ، ورفضته الدول العربية . وأعلنت بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من فلسطين فى تاريخ انتهاء الانتداب فى الرابع عشر من مايو عام ١٩٤٨ .

واصبح واضحا أن هناك صراعا مسلحا سوف يدور فى المنطقة فقد استطاعت الصهيونية أن تهرب كمية لابأس بها من الأسلحة المختلفة بما فى ذلك بعض الطائرات والدبابات من مخلفات الحرب العالمية الثانية ، وقامت المنظمات الصهيونية المسلحة بعمليات ارهاب ومذابح ضد المواطنين الفلسطينيين،وطردت العديد منهم واستولت على أراضيهم عنوة وقررت اعلان مولد دولة اسرائيل فى فلسطين بمجرد انتهاء الانتداب البريطانى .

وعلى الطرف الآخر أعلن الملوك والرؤساء العرب أن الجيوش العربية سوف تتدخل لانقاذ الأرض العربية من أيدى الصهيونية . ولكن هذا الاعلان لم يكن يعنى شيئا بالنسبة لتدعيم هذه الجيوش بالأسلحة الحديثة أو الكافية لهذه العملية .

ومع بداية شهر مايو ١٩٤٨ صدرت الأوامر للعديد من وحدات الجيش المصرى بالتوجه الى الحدود الشرقية استعدادا للمهمة . وكان من ضمن هذه القوات عدد من وحدات المدفعية المضادة للطائرات المصرية . ودخلت المدفعية المضادة للطائرات الجولة العربية الاسرائيلية الأولى ، ولم يقتصر دورها على حماية المدن الرئيسية كما كان فى الحرب العالمية الثانية ، بل تعداه الى ماهو أكثر من ذلك ، فقد رافقت المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات وحدات المشاة لتوفر لها الوقاية ضد أى هجمات جوية تقوم بها القوات الاسرائيلية كما دفعت بعض وحدات المدفعية المضادة للطائرات المتوسطة العيار لنفس الواجب .

ونجحت المدفعية المضادة للطائرات فى تنفيذ دورها كاملا فلم يتمكن الطيران الاسرائيلى من التأثير على سير المعارك ، حتى أن طلائع القوات المصرية وصلت الى قرب « اللد » وكانت قاب قوسين أو أدنى من الوصول الى تل أبيب .

أما اسرائيل فقد كانت تعد لهذه الجولة منذ زمن بعيد ، وشمل هذا الاعداد فيما شمل تكوين قوة جوية محدودة ، من عدد من الطائرات الألمانية التى تمكنت من الحصول عليها بوسائلها الخاصة من مخلفات الحرب العالمية الثانية وتهريبها الى فلسطين تحت سمع وبصر الادارة البريطانية .

وقامت هذه الطائرات بمهاجمة القوات المصرية فى محاولة لمنعها من التقدم الا أن وحدات المدفعية المضادة للطائرات تصدت لها بقوة وتأثير فباءت هجمات الطائرات الاسرائيلية بالفشل وتكبدت خسائر كبيرة .

والواقع ان اشتراك المدفعية المضادة للطائرات المصرية فى الحرب العالمية الثانية اكسبها خبرة قتالية جيدة فالحرب تصقل الجندى الجيد وتصنع منه مقاتلا ماهرا ، لذا فقد اعتبرت مدفعيتنا من أكفأ المدفعيات المضادة للطائرات فى العالم ، وتشهد على ذلك اعمالها والبطولات التى حققتها فى جميع المعارك التى خاضتها والتى سجلتها أقلام المعلقين العسكريين فى حينه .

وازاء الخسائر التى حاقت بالطيران الاسرائيلى المحدود العدد فى ذلك الوقت ، أصبح فى امكان المدفعية المضادة للطائرات المصرية أن تقدم المعاونة للقوات البرية فى مهام أخرى عدا الحماية الجوية . ومن ثم بدأ استخدامها كمدفعية مضادة للدبابات ، أو مدفعية ميدان وخاصة فى قصف الدشم المحصنة وخزانات مياه المستعمرات الصهيونية . ولقد كان لها فى هذا المضمار دور رائع أدى الى سقوط كثير من المستعمرات فى يد القوات المصرية . وما زال الكثيرون يذكرون معركة التبة « ٨٦ » حيث تمكنت المدفعية المضادة للطائرات من احداث خسائر كبيرة بالعدو الذى حاول أكثر من مرة مهاجمة هذهالتبة واستطاع

فى احدى المرات أن يستولى على نصفها الا أن المدفعية المضادة للطائرات ردته على أعقابه بعد أن كبدته خسائر فادحة فى الأرواح جعلته يقلـــع عن التفكير فى مهاجمة هذه التبة مرة ثانية .

ولم يقتصر دور المدفعية المضادة للطائرات خلال هذه الجولة على وقاية القـوات البرية من الهجمات أو معاونتها كمدفعيـة أرضية ، بل قامت رغم عددها المحدود بالدفاع عن المدن الرئيسية مثـــل القـاهرة والاســـكندرية والســـويس والعريش وحمايـــة المرافق والمنشـئات الاقتصـــادية بها .

وقبل أن نترك الجولة يجب علينا أن نذكر ذلك المثل العـــالى للتضحية والفداء الذى ضربته احدى وحـدات المدفعيـة المضـــادة للطائرات الصغيرة بقيادة الملازم عبدالحميد أبوزيد ذلك البطـــل الـــذى افتتح أولى صفحات الفداء والتضحية وكان أول شهداء المدفعية المضادة للطائـرات .

فقد كانت وحدته التى تتكون من مدفعين فقط من عيـار ٤٠ مم تتمركز جنوب العريش عندما حاولت مجموعة من المدرعـات الاسرائيلية ان تتسلل عبر الوديان الموصلة اليها فى محاولة للالتفـــاف من خلـف القوات المصرية لتهديدها واجبارها على الانسحاب والارتداد للخلف ، ولكن الملازم ابو زيد كان لها بالمرصاد ـ وكانت وحدته هى القـــــوة الوحيدة فى طريق هذه الدبابات ـ فما ان ابلغت نقط المراقبـة عـــن اقتراب طابور الدبابات الاسرائيلية حتى ركز جهوده للسيطرة عـــلى العرفاء قادة المدافع اذ ان كلا منهم كان يتحرق شوقا لاطلاق مدفعه على هذه الدبابات ولكن اصطياد الدبابات يحتـــاج الى تكتيك خاص ، اذ يجب امساك النيران حتى تصل هذه الدبابات الى ما يطلق عليـه عسكريا اسم منطقة القتل المؤكد ، ثم يتم الاشتباك معها حسب الاسبقيات التى

تحدد لها . وعندما وصل طابور الدبابات الى المسافة المحددة أصدر القائد أوامره وفتحت نيران المدافع واشتعلت النيران فى دبابتى المقدمة ، وحاولت الدبابات التى خلفها أن تشق طريقها الى الأمام الا أن عرض الوادى لم يكن يسمح بمرور اكثر من دبابتين وقد دمرتا وسدتا الطريق هـذا فى الوقت الذى لاتسمح فيـه الأرض خـارج الوادى بمـرور الدبابات . وساد الهرج والارتباك باقى القوة المهاجمة مما اعطى الفرصة للملازم ابى زيد لتدمير المزيد من هذه الدبابات التى اضطر ما تبقـى منها الى العودة ثانيا .

واستشهد البطل أثناء تبادل النيران ، ولكنه استطاع أن يجعل العدو يدفع ثمنا غاليا مقابل استشهاده .

* الجــــولة الثانية ١٩٥٦

حاولت مصر بعد نهاية الجولة الأولى أن تزيد قواتهـا العسـكرية وتعيد تسليحهـا بمعـدات حديثة بعـد أن أوضحت التجربة أنه لا حياة للدولة الضعيفة فى هذا العالم الا أن عـدم الاستقرار السـياسى الذى كانت تمـر به البلاد أدى الى تعثر جميع المحـاولات التى بذلت لتطوير القـوات المسلحة المصرية .. واستمر الحال على هذا المنـوال حتى انبلج فجـر الثورة فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ ، حيث بدأت مصر تدخل عهدها الجديد . وأعلنت الثـورة مبادئهـا الستة المشهورة ، ومنها اقامة جيش وطنى قوى . ورأت الثورة أنه ينبغى أولا انهاء الاحتلال البريطانى واستكمال السـيادة والاسـتقلال ، وتوالت الأحداث كما هى معروفة الى أن وقعت اتفاقية الجلاء فى عام ١٩٥٤ ، ومن ثم بدأت عملية بنـاء الجيش الوطنى القوى .

وأدى هذا الاتجاه الى دخول المدفعية المضادة للطائرات الى عصر الرادار الذى استخدمته انجلترا لأول مرة فى العالم فى الحرب العالمية الثانية . وباستخدام الرادار أصبح من الممكن استخدام المدفعية المضادة للطائرات فى الاشتباك ليلا ونهارا على السواء وكـذا فى ظروف الرؤيـة الصعبة بكفاءة أكثر مما لو استخدمت الأنوار الكاشـفة لاضـاءة

الطائرات ليلا . هذا بالاضافة الى أن اكتشاف الطائرات المعادية أصبح يتم على مسافات أبعد .

وتوالت الأحداث بعد ذلك ، وفشلت محاولاتنا للحصول على السلاح من الغرب وعقدت صفقة الأسلحة الشرقية الشهيرة .. وبدأت طلائع هذه الصفقة تصل الى مصر فى أواسط عام ١٩٥٦ . وبدأ تشكيل وتدريب عدد لابأس من وحدات المدفعية الخفيفة والمتوسطة المضادة للطائرات بالمقارنة بالأعداد التى كانت متوفرة فى ذلك الوقت ، ولكنها على أى حال لم تكن كافية لتوفير الدفاع الجوى عن المدن الهامة والأهداف الحيوية ذات الأهمية العسكرية مثل الموانى والمطارات ، بالاضافة الى توفير الوقاية الجوية للقوات البرية التى تعمل فى مسرح عمليات متسع مثل سيناء . أما من حيث النوع فقد كانت الأسلحة المضادة للطائرات التى تضمنتها تلك الصفقة من تلك الأنواع التى استخدمت فى الحرب العالمية الثانية .. وقامت مصر بتاميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ وتوتر الموقف الدولى وهددت كل من انجلترا وفرنسا باستخدام القوة لاعادة سيطرتهما على القناة وانتهزت اسرائيل هذه الفرصة وتواطأت معهما للهجوم على مصر .

وبذل رجال المدفعية المضادة للطائرات جهودا خيالية لتشكيل وتدريب الوحدات الجديدة فى أسرع وقت ممكن ولوضع الخطط المناسبة للدفاع عن أهم المدن والأهداف الحيوية بمصر .

وبدأ العدوان الثلاثى .. وكان شيئا جديدا تماما بالنسبة للمدفعية المضادة للطائرات ، فالطائرات المعادية من أحدث الأنواع الانجليزية والفرنسية وأعدادها كبيرة لدرجة أن الطائرات كانت تتعقب العربات والجنود قاصفة اياهم بمدافعها الرشاشة . وكانت الغارات الجوية تستمر دون فواصل تذكر منذ أول ضوء حتى آخر ضوء وغالبا



فى عام ١٩٥٦ كانت المدفعية المضادة للطائرات المصرية أكثر الأسلحة كفاءة وسبب معظم خسائر اسرائيل فى الطائرات ..

ما تكون على الارتفاعات المنخفضة . اما الهجمات الليلية فكانت تتم على ضوء المشاعل على الارتفاعات المتوسطة .

وهكذا كان على المدفعية المضادة للطائرات المصرية التى لم يتوفر لها سوى اشهر قليلة من التدريب والاعداد أن تقاتل الطيران الحديث لثلاث دول منها اثنتان من أقوى خمس دول فى العالم .. فهل نجحت ؟

نعم نجحت نجاحا أدهش الجميع ففى سيناء وفى منطقة القناة اسقطنا العديد من الطائرات أما فى القاهرة فقد شاهد كل سكان العاصمة وربما لأول مرة - كيف كانت تصاب الطائرات الانجليزية والفرنسية وتهوى وهى مشتعلة . أما فى الاسكندرية فقد قامت المدفعية المضادة للطائرات بتوفير وقاية كاملة للمدينة وللميناء ضد الطائرات التى كانت تقلع من حاملة طائرات بريطانية على مسافة ٨٠ كم من الاسكندرية ، واسقطت منها اعدادا كبيرة فوق منطقة الاسكندرية ، بينما سقطت جميع قنابل الطائرات اما فى مياه البحر المتوسط أو فى بحيرة مريوط عدا قنبلة واحدة سقطت على احدى الكنائس .

وفى سيناء قامت المدفعية المضادة للطائرات التى كلفت بالدفاع عن القوات البرية بالحاق خسائر فادحة بالقوات الجوية الاسرائيلية ، رغم الفترة الوجيزة التى أتيحت لها لكى تقاتل فى سيناء . ففى رفح وأبى عجيلة فشلت محاولات الطيران الاسرائيلى لأيام عديدة فى معاونة قواته البرية نتيجة لعظم الخسائر التى لحقته من النيران الدقيقة للمدفعية المضادة للطائرات المصرية .

أما فى منطقة قناة السويس فقد كانت دول العدوان الثلاثى تعلم أن الكبارى التى أقيمت على القناة تمثل شريان الحياة الرئيسى الذى يصل سيناء بوادى النيل . وعلى ذلك فقد بنى العدو خطته على أساس عدم قصف هذه المعابر فى أيام القتال الأولى كى لا يحول

دون عبور وتدفق القوات المصرية الى سيناء وبذا تقع فى الفخ الـــذى اعده لها . وبمجرد أن شعر العـــدو ببدء ارتداد القوات للخلف راح يركز على قصف المعبرين الوحيدين فوق القناة . عشرات من الطـــائرات حاولت بكل أساليب القصف والهجوم المكنة دون انقطاع نهارا وليـــلا للنيل من هذين المعبرين ولكن بفضل المدفعية المضادة للطائرات ظـــلت هذه الكبارى ســليمة وتعمــل طوال القتــال .

ومن الطريف انها فى الواقع أصبحت فخــا لهذه الطائرات فقـــد كان التشكيل البرى (مشاة او مدرعات) الذى يعبر غربا يترك جــزءا من مدفعيته المضادة للطائرات لتكثيف الدفــاع عن هــذا الكوبــرى ، وبذا استطاعت هذه الدفاعات الكثيفة المضادة للطائرات أن تســـقط عددا ضخما من الطائرات المعادية .

وفى بورسعيد كانت هناك صورة أخــرى من صــور البطـــولة فقد استطاعت المدفعية المضادة للطائرات أن تصمد لعــدة أيام أمـــام الهجمات الجوية الكثيفة التى ركزها العدو ــ تمهيدا لاسقاط جنـــود المظلات ــ وأصابت العــدو بخسائر كبيرة فى موجات الهجوم هذه .

ثم اشترك رجال المدفعية المضادة للطائرات بعد ذلك فى عمليــات المقاومة الشعبية واستشهد منهم العديد من الأبطال وعلى رأسهم الشهيد الرائد / عز الدين حافظ .

وتوقف القتال وانتهت الجولة الثانية وكالعادة يبدأ تحليـــل المعارك بعــد توقف القتال . وفى هــذا المجــال ظهــر كتاب فى المملكة المتحدة بعنوان « حملة سيناء عام ١٩٥٦ » للمؤرخ والمحلل العســكرى « ادجار أوبالانس » .

وقد استقى المؤلف معلوماته من مراجع اسرائيلية وهــو لذلك ملىء بالتحيز الواضح ومع ذلك فان المؤلف لــم يستطع الا أن يمجد

المدفعيــة المضادة للطائرات المصرية بالرغم منه فى اسطر قليلة وبطريقــة غير مباشرة نورد منها ما يلى :

- فى صفحة ١٨٠ :

ان معظم خسائر اسرائيل فى الطائرات كانت بسبب نيران المدفعيــة المضادة للطائرات المصرية .

- فى صفحة ١٨٩ :

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار رجال المدفعية المضادة للطــائرات المصرية . فلقد تجلت شجاعتهم الفائقة .. وكفــاءتهم العــاليــة وبالرغم من قصر فترة التدريب التى أتيحت لهم كانت نيرانهم دقيقة بدرجة ملحوظة أدت الى اغلب خســائر الطائرات الاسرائيلية .

- وفى صفحة ٤٢ :

لقد كانت المدفعيــة المضادة للطــائرات المصرية أكثر الأســلحة كفاءة دون شــك . لقد كانت الروح المعنوية لرجالها عــالية وقــد وقفت فى ندية كاملة للطيران البريطانى ، رغم أن الفــوات البريطانية هى التى وضعت الأساس للمدفعية المضــادة للطــائرات المصرية .

- وفى صفحة ١٧٥ :

لقد كانت شجاعة وكفاءة وايجابية ودقة رجال المدفعيــة المضادة للطائرات شيئا مثيراً للدهشــة . ان المدفعيــة المضــادة للطائرات المصرية كانت تعتبر دائمــا واحدا من الأسلحة الممتازة .

وهكذا قالت أبواق الدعاية المعادية ..

هذا وقد كان من السمات البارزة للهجمة الجــوية الأولى فى عمليات العدو الجوية عام ١٩٥٦ الهجوم على القواعد الجوية ليلا عــلى ضــوء المشاعل من الارتفاعات المتوسطة مع القاء القنابل الزمنية بغرض منــع استعادة الموقف أو القيام بأى أعمــال مضــادة لتقليــل آثار الضربــة الجوية ثم استئناف الهجمة فى أول ضــوء بالضرب المؤثر لتدمير الطائرات وتعطيل الممرات .

* الجولة الثالثة ١٩٦٧

تتميز الجولة الثالثة بين العرب واسرائيل بالدور البارز المؤثر الذى لعبته القوات الجوية الاسرائيلية ويقودنا ذلك بطبيعة الحال الى التساؤل .. وأين كان الدفاع الجوى وقتها ؟ وأبادر بالرد على الفور : بانه لم يكن لدينا دفاع جوى بالمعنى العصرى المتكامل .. ولم يكن ذلك خافيا على احد .. ولقد اشرت الى ذلك تفصيلا فى محاضرة القيتها عام ١٩٦٦ بعد عودتى من بعثة دراسية فى اكاديمية « كالينين » بالاتحاد السوفيتى ، وحضرها القادة والقائد العام للقوات المسلحة وقتئذ .

ولقد ابرزت فى هذه المحاضرة أن الهجمات الجوية السائدة فى فنون الحرب الحديثة ستكون على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جدا، وشرحت التكتيكات الجوية المختلفة لمهاجمة الأهداف على هذه الارتفاعات ، وابرزت أن معدات الدفاع الجوى يجب أن تتطور لكى تقابل مثل هذا التهديد المنتظر لتكون قادرة على تدمير الطائرات المهاجمة على هذه الارتفاعات .

وهكذا يتضح أن توقيت المعركة عام ١٩٦٧ لم يكن مناسبا على الاطلاق للدفاع الجوى فقد كنا لم نزل على بداية طريق طويل شاق

فقد كنا قد حصلنا على بعض قواعد الصواريخ المضادة للطائرات ، من روسيا وارسلت البعثات الدراسية الى الاتحاد السوفيتى، ورغم الدعاية الضخمة التى صاحبت ذلك ، الا اننا كنا نعلم بأن ذلك لا يشكل الا خطوة واحدة فى طريق طويل ، فالصواريخ المضادة للطائرات بأنواعها المختلفة ما هى الا احدى الوسائل الايجابية التى تشترك فى الدفاع الجوى مع المقاتلات الاعتراضية والمدفعية المضادة للطائرات بأعيرتها المختلفة .

والصواريخ فى داخليتها تختلف هى الأخرى من حيث المدى فهناك انواع قصيرة المدى وهناك المتوسطة والبعيدة المدى ايضا . كذا بالنسبة للارتفاع فتوجد صواريخ مخصصة للتعامل مع الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة وصواريخ للارتفاعات المتوسطة واخرى للارتفاعات العالية .. ويجب أن تتكامل كل هذه الأنواع مع بعضها البعض حتى تتحقق التغطية كاملة على الارتفاعات والمسافات المختلفة بحيث تضمن وقوع الطائرة المعادية التى تحاول ان تخترق مجالنا الجوى فى منطقة نيران اى من هذه الصواريخ المضادة او المقاتلات الاعتراضية .

وهذه الوسائل الايجابية التى قلنا انها تشمل المقاتلات والصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات ما هى الا بعض من عناصر الدفاع الجوى . فيجب لكى تشتبك هذه الأسلحة بكفاءة أن يتوافر لها انذار مبكر وسيل من المعلومات المستمرة عن الهجمات الجوية المعادية حتى تتمكن من اتخاذ الاجراءات الطويلة المعقدة اللازمة لتحقيق اشتباك ناجح علما بأن هذه الاجراءات تزداد تعقيدا ويزداد بالتالى الوقت اللازم لها كلما ازداد تطور السلاح المستخدم . ولتوفير هذا الانذار المبكر والمعلومات المستمرة يجب انشاء شبكة انذار متكاملة تغطى ليس فقط المجال الجوى للجمهورية وانما تتسع لتشمل اقصى مسافة ممكنة خارج

اراضينا حتى يمكن أن نكتشف الطائرات المعادية وننذر قواتنا ونستعد لملاقاتها — عـلى طرق الاقتراب البعيدة للأهداف الحيوية — ونحـاول أيضا ان ندمرها قبل ان تخترق مجالنا الجوى .

ولتحقيق وصول المعلومات فى الوقت المناسب ولتوفير السيطـرة المناسبة على القوات يلزم توفير وسائل اتصال مستمرة مختلفة تغطى الجمهورية بالكـامل .

كما أن بناء نظام دفاع جوى حديث يحتاج الى عمليـات حصر ودراسة للأهداف الحيوية بالدولة وتحديد اسبقياتها وحساب الأنواع والأعداد المختلفة من الأسلحة اللازمة للدفاع عنها .

وبعد توفير المعدات على ضوء ما سبق شرحه يتم تدريب القـادة والأطقم المختلفة للعمل على هذه المعدات والأسلحة وتجهيز المواقـع وبناء التحصينات اللازمة ..

وباختصار فان الدراسة كانت تسير فى سبيل بناء نظام دفاع جوى متكامل — تنظيما وتسليحا وتدريبا — قادرا على تنفيذ مهام العمليـات بالكفاءة المطلوبة .

.. وقبل أن ترى هذه الدراسات النور تحرك العـدو بتخطيط مسبق فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وضرب ضربته الجوية مستغلا نواحى القصور فى نظام الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية وقتئذ .

فلقد اقتربت الطائرات المعادية على ارتفاعات منخفضـة مستغلة الثغرات الموجودة فى الحقل الرادارى والذى كان لا يزال فى دور التكوين .

أما قواعد الصواريخ المضادة للطائرات فعـلاوة عـلى عـددها المحدود ، فلم تكن مصممة للاشتباك ضـد الطيران المنخفض وجميـع هجمات العدو الجوى كانت على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جدا .

وهكذا لم يواجه الطيران المعادى الا المدفعية المضادة للطائرات التى كانت هى الأخرى على قلتها من الأنواع التى كانت مستخدمة فى الحرب العالمية الثانية ولا تصلح للتعامل بكفاءة مع الطائرات الحديثة ذات السرعة العالية ومعدلات التغير الكبيرة . هذا ورغما عن ذلك فقد تمكنت هذه المدفعيات من اسقاط بعض من الطائرات المعادية الا ان ذلك فى الواقع لا يخفف من نتيجة الحرب بأى حال من الأحوال ورغم النتيجة المؤلمة لحرب عام ١٩٦٧ فان اليأس لم يتطرق أبدا الى قلوبنا فتاريخ الحرب بالنسبة لكثير من الدول لم يبدأ بالانتصارات ولكن بدأ بالفشل والهزائم .

وحرب ١٩٦٧ لم تكن بالنسبة لنا الا جولة فى حربنا ضد اسرائيل وكان علينا أن نستوعب دروسها القاسية كى نخطط لجولة قادمة ناجحة ..

الدروس المستفادة :

وكان من أبرز الدورس المستفادة التى خرجنا بها من نكسة ١٩٦٧ :

ـ ان نظام الدفاع الجوى نظام متكامل بعناصره المختلفة من رادار وانذار ومقاتلات ومدفعية وصواريخ مضادة للطائرات بمختلف انواعها وحرب الكترونية ويجب أن تخضع جميعها لقائد واحد .

ـ يجب أن يكون نظام الدفاع الجوى قادرا على مقابلة ثلاثة أنواع من التهديدات :

* الهجمة الجوية المتعددة الاتجاهات
« Multi directional attacks »

* الهجوم الجوى على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جدا .

* التداخل والشوشرة بجميع أنواعها .

- ضرورة تواجد حقل رادارى مستمر يكفل التغطية المستمرة على الارتفاعات المختلفة وبدون ثغرات وخاصة على الارتفاعات المنخفضة وقادر على تامين اعمال قتال المقاتلات والصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات مع توفير الانذار المبكر للقوات المسلحة ولجميع الأجهزة المدنية للدولة .

- توفير الدفاع الجوى المتكامل بعناصره المختلفة لجميع الأهداف الحيوية حسب اهميتها مع مراعاة « الكم والنوع » لهذه العناصر على ضوء اهمية الهدف وطبيعة أعمال القتال المنتظرة للعدو الجوى .

- اهمية الأعمال الهندسية والاخفاء والتمويه والخداع فى صمود نظام الدفاع الجوى فى المعركة .

« Survivability of air defense means »

- اهمية وجود نظام قيادة وسيطرة كفء مستمر يضمن القيادة المركزية واللامركزية مع وجود نظام تعاون يضمن التنسيق التام المستمر لأعمال قتال عناصر الدفاع الجوى فى المعركة .

- اهمية وجود نظام للصيانة والاصلاح قادر على سرعة استعادة الموقف ميدانيا اثناء المعركة .

- مهما كان السلاح قادرا على تنفيذ المهمة فلن يمكنه ذلك الا بوجود الفرد الذى يمكنه استخدام هذه المعدة بكفاءة تامة ليلا ونهارا وتحت ظروف المعركة البالغة التعقيد .

- ان الضربات الجوية المفاجئة لها تاثير حاسم على الحرب ككل وسيحاول كل طرف فى اى جولة ان يمتلك زمام المبادرة بتوجيه الضربة الأولى . ومن الطبيعى أن يكون الاجراء الرئيسى لتقليل تاثير هذه الضربة هو أن تكون وسائل الدفاع الجوى الأرضية والمقاتلات

الاعتراضية على أعلى درجة من الإستعداد القتالى ، وهو الأمر الذى يتعذر عمليا تحقيقه بصفة دائمة ، فتشغيل معدات الدفاع الجوى بصفة مستمرة يعنى سرعة استهلاكها ، كما لايمكن لدولة أيا كانت امكانياتها الاحتفاظ بمقاتلاتها الاعتراضية فى وضع المظلة بصفة دائمة . والخلاصة أننا أمام محاولة صعبة ، فلا يمكن المخاطرة بتلقى ضربة جوية دون استعداد كامل ، وفى نفس الوقت يتعذر عمليا الاحتفاظ بوسائل الدفاع الجوى الأرضية والمقاتلات فى أعلى درجة استعداد بصفة مستمرة .

وأوضح للقراء أن السطور السابقة ليست حصيلة التجربة الأليمة التى خضناها فى يونيو ١٩٦٧ ولكنها تلخيص أمين لبداية نقاش طويل دار بينى وبين أحد الأساتذة فى أكاديمية الدفاع الجوى بكالينين بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٥ ورغم أن هذه المناقشة تمت قبل يونيو ١٩٦٧ الا أننى وجدت أنه من المناسب أن أسجلها فى هذا الجزء من الكتاب والخاص بالدروس المستفادة من جولة يونيو ١٩٦٧ ..

استمع الأستاذ فى هدوء لكل ما قلته وأدهشنى أنه لم يختلف معى فى أى من النقاط التى ذكرتها ولكنه اختلف معى فى النتيجة ، فقد كان رأيه أنه لاتوجد معادلة صعبة ، لأنه ليس مطلوبا من وسائل الدفاع الجوى أن تكون فى أعلى درجات الاستعداد بصفة دائمة ولكن ذلك مطلوب فقط فى الوقت الذى ينتظر أن يقوم العدو فيه بتوجيه ضربة جوية مركزة .. وعندما أبديت دهشتى قائلا « وكيف لى أن أعرف بهذا التوقيت ؟ » أجابنى : « ان ذلك من أولى مهام أجهزة الاستطلاع الاستراتيجى والمخابرات » واستطرد قائلا : « ان القيام بضربة جوية مركزة ليس بالأمر الهين أو البسيط ، وهو أمر يحتاج لعديد من الاجراءات والتحركات ، ومهما حاولنا أن نجريها فى سرية وكتمان ، قد ننجح فى خداع البسطاء ولكن لايمكن أن تخفى هذه التحضيرات

والاجراءات على الخبراء » وواصل الأستاذ حديثه قائلا : « ولابد أن لكم عملاء داخل اسرائيل أو على الأقل فلابد أن لكم اتصالات وثيقة مع دول صديقة لها ملحقين عسكريين فى اسرائيل يمدونكم بالمعلومات المطلوبة » وانهى الأستاذ حديثه قائلا « أما اذا كنتم لا تملكون الوسائل التى تحصلون بها على المعلومات عن تحضيرات عدوكم لضربة جوية مفاجئة فنصيحتى لكم الا تدخلوا الحرب .. » .

القسم الثانى

حرب الاستنزاف

ان الامة العربية لم تمت .. بل ان النكسـة
والهزيمة والالم والمرارة تجدد من حيويتها ،
وتبعث فيها دمـا جديدا واندفاعة اكبر .

انور السـادات

الفصل الرابع

القوة الرابعة

- على الطريق الصحيح .
- معركة العدو هى أول الطــريق الــى هزيمته .
- القــادة والقيادات .
- تطوير المعـــدة واسـلوب الاستخدام وقواعد الرمى .
- التدريب .
- شبكة الانذار .

القوة الرابعــة

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة »

صدق الله العظيم

* على الطريق الصحيح

بقدر ما كانت النكسة فى يونيو ١٩٦٧ مؤلمة . . بقدر ما كـان للدروس المستفادة منها فضل كبير فى تطوير الدفاع الجوى المصرى ، فقد تعلمنا من هذه التجربة الأليمة الكثير من الدروس العمليـــة .. دروس الحــرب .

لقد اتسمت هذه الحرب بالدور البارز الذى لعبته القوات الجوية الاسرائيلية وكان هذا الدور هو التطبيق العملى للاســـتراتيجية التى تعتنقها عدونا . وكان علينا ونحن نعيد بناء القوات المسلحة بعد النكسة أن نمتلك القوة والوسيلة التى يمكننا بها مواجهة هذه الاستراتيجية .

وكان القرار بانشاء قوات الدفاع الجوى المصرى كقوة مستقلة قائمة بذاتها لتصبح القوة الرابعة ضمن القوات المسلحة المصرية التى تشمل القوات البرية والبحرية والجوية ..

وقبل هذا القرار كانت وسائل الدفاع الجوى تعتبر جزءا من سلاح المدفعية وتحت القيادة للعمليات للقوات الجوية .. وهو الأسلوب المعمول به فى اغلب دول العالم .. ولكن رأينا كان ينحصر فى أنه طالما ان وسائل الهجوم الجوى مركزة فى يد قائد واحد ولها خطة موحدة ، تشترك فيها جميع اسلحة ومعدات الهجوم الجوى المختلفة ، فمن المنطقى والطبيعى أن نركز جميع الأسلحة والمعدات المضادة لها ، والمكلفة بصد هذا الهجوم فى يد قائد واحد ضمانا للتنسيق وتوحيدا للمسئولية وتحقيقا للنجاح .

أما عن باقى دول العالم فان ظروفها تختلف اقتصاديا وسياسيا وكثير منها توقفت خبرة القتال الفعلية لديها عند نهاية الحرب الثانية عام ١٩٤٥ ، وما أكثر التطورات التى حدثت منذ ذلك التاريخ فى استراتيجية الحرب وفن القتال واسلحته خصوصا بالنسبة لأسلحة الهجوم والدفاع الجوى .. حيث ظهرت الطائرات النفاثة وفاقت سرعتها سرعة الصوت بمراحل .. وظهرت الصواريخ التى تطلقها الطائرات والتى يطلق عليها صواريخ جو/سطح .. واصبحت الصواريخ الأرضية التى تطلق ضد الطائرات هى العمود الفقرى لأى قوات دفاع جوى .. وانتشر الرادار الذى ظهر ابان تلك الفترة (٣٩ — ١٩٤٥) ولعب دورا كبيرا فيها .. واصبحت الأجهزة الأليكترونية المعقدة كالملح فى الطعام لا يخلو منها موقع او معدة او سلاح .. واصبحت الأليكترونيات هى ابجدية مقاتل الدفاع الجوى .

وينبغى فى هذا المجال ان اسجل للتاريخ ان القرار بانشاء قوات الدفاع الجوى كفرع رئيسى مستقل ضمن أفرع القوات المسلحة

جاء متأخرا كثيرا مما اضاع على القـوات المسلحة المصرية سـنوات غالية لا يمكن تعويضها ، فلقد تضمن تقرير البعثة الذى رفعته الـى القيادة العامة للقوات المسلحة عام ١٩٦٥ عقب عودتى من دراستى فـى اكاديمية الدفاع الجوى بكالينين بالاتحاد السوفيتى مقترحات محدودة لانشاء قـوات الدفاع الجوى كقوة مستقلة وارفقت بالتقرير هيكـلا تنظيميا كاملا مقترحا لقيادة وقوات الدفاع الجوى ، ولم تر هـذه المقترحات النـور الا بعد النكسة بحوالى عامين عندما تشكلت قوات الدفاع الجوى كفرع رئيسى مستقل فى يونيو ١٩٦٩ .

وفى ٢٣ يونيو ١٩٦٩ تعينت قائدا لقوات الدفاع الجـوى .. اول قائد للقوة الرابعة .. وسط موقف بالغ الصعوبة بالنسبة لهـذه القوات التى كانت تواجه اقوى وافضل اسلحة العدو .. قـواته الجوية ، ذراعه الطويلة والعصا الغليظة التى يعربد بها فى المنطقة .. هذا فى الوقت الذى كانت فيه قواتنا الجوية ما زالت فى مرحلة اعادة التنظيم والتسليح عقب ما تكبدته من خسائر فى نكسة ١٩٦٧ .

وفى أول لقاء مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عقب تعيينى مباشرة قال لى فى سياق حديثه وتوجيهاته انى اشفق عليـك يا محمد من المسئولية .. كمـا أن زملائى من القادة فى اجهزة القيـادة العامة للقوات المسلحة كانوا يتندرون فيما بينهم عقب تعيينى قائدا للقـوات « بأننى سحبت الشايب ! » (١) .

ولقد كنت فعلا اشعر بضخامة المسئولية التى اتحملها فى احرج وأدق الظروف التى تمر بها مصرنا ولكن ايمانى كان شديدا بأننى بعـون الله سأوفق فى تحقيق الكثير كما أن ثقتى كانت كبيرة وكبيرة جـدا

---

(١) لعبة الكارت الشعبية المعروفة بلعبة «الشايب» .

فى الرجال الذين أقودهم فأنا اعرف معدنهم ونشـــأت منهم وبينهم وعايشتهم منذ بداية ميلاد المدفعية المضادة للطائرات فى مصر فهم بحق خير اجناد الأرض .. أقولها لا تحيزا وانما احقاقا للحق لأن أمجادهم التى سجلوها فى كل ما خاضوه من معارك كانت تشهد لهم بذلك ..

ولكن كان هناك شيء واحد يقلقنى .. فنحن بلد لا يصـــنع السلاح الذى تتطلبه معركة الدفاع الجوى .. السلاح بالكم والنــوع القادر على تحقيق مهامنا القتالية بنجاح .. وكنت أشعر أن تشرشـل كان محقا عندما حاقت بالحلفاء الهزائم فى مطلع الحرب العالميـــة الثانية ومن اقواله المشهورة فى هذا المجال ، « أعطونى السلاح اعطـكم النصر » (١) ، « لقد كنا نستعد للحرب الماضية ! » (٢) .

ولكننى كنت مع ذلك متفائلا لأننى كنت أرى أنه لا تعوزنا العزيمة أو تنقصنا العقول أو الرجـــال لتهيئـة كل أسـباب النجـــاح لمعركة الدفاع الجوى اذا ما توافر لها السلاح . وكان واضحـا لـى أن قيادتنا السياسية تركز مجهودها الرئيسى لتوفير السلاح وتبـــذل قصارى جهدها للتغلب على ما يصادفها من مصاعب جمة فى هذا المجال وقد كانت كثيرة ومتعددة ..

ولذا كان على كرجل عسكرى أن أركز جهـدى ــ وبحصـــيلة خبرتى الطويلة .. خبرة ثلاثين عاما فى مجال تخصصى ــ لاعادة تنظيم القوات وتدبير الكوادر وتدريب الأفراد والارتفاع بمستواهم التعبـوى والتكتيكى والفنى لاجادة استخدام مافى أيديهم من أسلحة مع تكوين

---

(١) لأن الحلفاء دخلوا الحرب العالمية الثانية وكان ينقصهم الكثير من السلاح وخاصة الدبابات والطائرات .

(٢) قالها تشرشل « تهكما على نوعية السلاح الذى كان مع الحلفاء فى بدء الحرب العالمية الثانية وكان لايناسب طبيعة ومتطلبات المعركة وقتئذ » .

قاعدة تكنولوجية عريضة جاهزة وقادرة على استيعاب الجديد من أسلحة الدفاع الجوى الحديثة فى أسرع وقت ممكن لأننى كنت أعلم أن عامـــل الوقت هام وحيوى بالنسبة لمعركتنا القادمة مع العدو .

حددت المهمة لقوات الدفاع الجـوى وكانت تتلخص فى خمـس كلمات هى « حرمان العدو من تفوقه الجوى » ورغم بساطـــة الكلمات التى تعبر عن المهمة فان ما وراء هذه الكلمات كان عملا شاقا ولكنه لم يكن مضنيا لأننا كنا دائمى الايمان فى النصر .. لقد كانت المهمـة تعنى قهر العدو فى أقوى ما لديه .. كانت تعنى شل ذراع اسرائيل القوية .. أو بعبارة أكثر وضوحا حرمان القوات الجوية من حرية العمــل ومن التأثيرعلى أعمال قتال قواتنا المسـلحة وحماية المجال الجـوى للجمهورية ضد القوات التى قالوا انهم بواسطتها قادرون على غزو أى مكان فى العالم حتى ولو كان فى القطب الشمالى ! .. تلك القـــوات التى توافر لها الوقت والسلاح والأفراد .. الخ ، وقال عنها « ديان » فى يوم من الأيام انها يمكنها أن تحسم المعركة لأمريكا فى فيتنام ان هى طلبت مســاعدتها .

ولم تمض بضعة أشهر على قرار تشكيل قوات الدفـــاع الجوى حتى بدأنا حرب الاستنزاف .. ثم بدأت اغارات الطيران الاسرائيلى على جبهة القناة ثم على القاهرة وبعض الأهداف الحيوية فى العمـــق المصرى .. ومرت بنا ظروف صعبة ولكنها أبدا لم تكن حالكة .. وكان الجميع يذكرون قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لـعلكم تفلحــــون » .

والصبر لايكون الا على مكـــروه ولايمكن أن يكـــون الصـــبر على الانتصارات ، ولو كانت الحرب كلها انتصارات لهانت ، والواقــع

اننا تعلمنا دروسا كثيرة من حرب الاستنزاف . وان كنا فى الواقع قد دفعنا دماء ذكية وجهدا وعرقا من اجل ذلك . ولكننا أيضا اسرعنا فى بناء دفاعنا الجوى . وبدأ العدو يشعر بذلك فاصبح يختار أكفأ طياريه فى عملياته ضدنا ،ووصلنافى أوائل عام ١٩٧٠ الى مستوى الندية معه ، ثم تفوقنا عليه فى شهر يوليو من نفس العام فى تلك الفترة الشهيرة التى سميت باسبوع تساقط الفانتوم . وتباكت اسرائيل واعلن «ايبان» فى الكنيسست وقتئذ أن السلاح الجوى الاسرائيلى بدأ يتآكل مما أثار حفيظة « ديان » ضده لقوله هذا .

ثم قدمت مبادرة « روجرز » بناء على الحاح اسرائيل على الولايات المتحدة لايقاف مذبحة الطائرات الاسرائيلية بواسطة الدفاع الجوى المصرى .

ولكن كيف تحقق ذلك ؟ ..

بالتأكيد لم يحن الوقت لاماطة اللثام عن كل ما فعلناه ، وحسبنا الآن أن نمر سريعا ببعض ملامح بناء قوات الدفاع الجوى .

❋ معرفــة العــدو هى اول الطــريق الــى هزيمته

كان هــذا هو أحد مبادئنا الهامة التى حافظنا عليها منذ البداية . ولذلك كان علينا أن ندرس القوات الجوية الاسرائيلية دراسة تفصيلية، وأن نتابع هذه الدراسة باستمرار ، لمعرفة مايطرأ عليها من تطور نوعا وكما .. حتى أصبح عدونا كتابا مفتوحا مقروءا أمام أعيننا ، وكــانت هذه هى الخطوة المنطقية الأولى لنحدد ما يجب علينا عمله .

وتبين لنا من هذه الدراسة ما ذكرناه ببعض التفصــيل فى فصل سابق ، ونلخصه فى الآتى :

١ ــ العدو لديه طائرات حديثة وباعداد كبيرة .

٢ ــ التخطيط لعمليات السلاح الجوى الاسرائيلى وضع بأساليب متطورة .

٣ ــ الطيارون مدربون جيدا على استخدام طائراتهم .

٤ ــ اسرائيل تركز على استخدام الطيران المنخفض تجنبا للكشف الرادارى بواسطة دفاعناالجــوى ولحرماننا من زمن الانذار اللازم للاشتباك الناجح ضــدهذه الطائرات .

٥ ــ اسرائيل لديها أسلحة حرب الكترونية حديثة .

٦ ـ القوات الجوية الاسرائيلية مجهزة بأحدث أسلحة الخمـــد المضادة للدفاع الجوى (جو/أرض) من صواريخ موجهة وقنابل ومــا الــى ذلك .

وكان لزاما علينا أن نتخذ الاجراءات المضادة الكفيلة بمواجهة هذا العـــدو .

* القــادة والقيــادات

الواقع أن الحرب هى صراع بين العقـــول بالدرجـــة الأولى . والقيادة بالنسبة للقوات هى بمثابة العقل بالنسبة للانسان . فاذا صح العقل فان تصرفات الانسان تكون دائما سليمة وآراؤه صائبة .

لذلك فاننا لم نأل جهدا فى اختيار القادة الأكفاء وانشاء القيادات الصالحة مدعمة بضباط ذوى افق متفتح وتفكير مرن ، يتحاون بثقافة عسكرية عميقة ، وعلى درجة كبيرة من الثقافة العامة ، وكان هذا أحد العوامل الهامة فى تحقيق ما وصلت اليه قوات الدفاع الجوى من نجاح فى هذه المدة القصيرة وسط تلك الظروف القاسية .

ثم بدأنا نخطط للتغلب على نقاط القوة لدى العـدو الجوى ..

* تطوير المعدة واسلوب الاستخدام وقواعد الرمى

اذا لم نكن قادرين على صنع السلاح فهل نستطيع أن ندخل عليه بعض التعديلات لنزيد من كفاءته القتالية .. ؟

طرحنا هذا السؤال على مهندسينا وبينا لهم أهداف التعديلات التى يريدها المقاتل واثبتت الدراسات أن اغلب هـــذه التعديلات يمكن

تنفيذها فى مصر وبالامكانيات المتوفرة ، ولم نتوان عن ذلك ، وبسرعة بدأ مهندسونا فى وضع التصميمات اللازمة . وكان اختبار نجاحهم يحتاج الى قتال فعلى ، وافدنا من حرب الاستنزاف فى ذلك الوقت . ولما ثبت نجاح تلك التجارب قمنا بتعميم هذا التطوير .

هذا عن السلاح وماذا عن أسلوب استخدامه ؟ يحضرنا هنا قول « ليدل هارت » عندما كان يتحدث عن معارك أوروبا الخاسرة أمام الزحف النازى فى أوائل الحرب العالمية الثانية .. « ان المشكلة لم تكن كائنة فى نوع السلاح وانما فى طريقة استخدامه » . وهو قول صحيح بلا شك ، لذا ركزنا جهودنا للبحث عن افضل واحدث اساليب الاستخدام القتالى لمعداتنا حتى نحقق بها أكبر قدر من الخسائر فى العدو وبأقل خسائر من جانبنا . واخذنا نطور من أساليبنا يوما بعد يوم فى ثبات وثقة بالدراسة والتحليل السليم لنشاط القتال اليومى والأسبوعى والشهرى .. وهكذا .

والواقع أن الدفاع الجوى يتميز عن باقى القوات الأخرى فى أنه تقريبا فى حالة قتال دائمة .. لأن عليه أن يحمى المجال الجوى للجمهورية أربعا وعشرين ساعة يوميا دون تفرقة بين قتال مسلح أو قتال دبلوماسى ـ اذا جاز التعبير .

والعدو هو الآخر يريد أن يعرف دائما ما يحدث على الجانب الآخر .. وأسهل وأسرع وسيلة لذلك هى الاستطلاع الجوى بالطائرات .. وهذا يجب أن يتم يوميا وعلينا نحن رجال الدفاع الجوى أن نمنعه من ذلك ، وقد اسقطنا فعلا فى فترات وقف القتال المختلفة عددا من طائرات الفانتوم المجهزة خصيصا لواجب الاستطلاع الجوى ، والتى غالبا ما يخصص لقيادتها أكفأ طيارى القوات الجوية الاسرائيلية .

وقد ساعدتنا هذه الظروف الى حد كبير فى اختيار انسب الأساليب لاستخدام أسلحتنا فنيا ، وتكتيكيا ، وتعبويا .

* التدريب

العرق يوفر الدم

مثل عسكرى شهير تؤكده الحروب دائما . ولكن الأسلحة الحديثة معقدة وصعبة الاستخدام وتحتاج الى انسان ذى دراسة تخصصية عالية والمعركة تعقدت هى الاخرى واشترك فيها العديد من الأسلحة . تتميز معركة الدفاع الجوى على وجه الخصوص بسرعة تغير المواقف لأنها تتعامل مع أهداف قد تزيد سرعتها عن سرعة الصوت . وعلينا مع ذلك أن نعد المقاتل من البداية الى أن يصل الى مرحلة اجادة استخدام سلاحه ومعداته المتطورة . ولكن اين الوقت اللازم لكل هذا ومعركة الدفاع الجوى مستمرة منذ ١٩٦٧ ، والقتال يدور ليلا ونهارا ضد الطائرات المعادية .. والمعركة تطلب المزيد من السلاح والجنود والضباط المدربين .

لهذا لم يكن العرق وحده كافيا لتوفير الدم .. وانما البطولة . تلك الكلمة التى تحوى فى داخلها معانى الشجاعة والصمود ، والصبر الايجابى والعمل المستمر الدءوب والاصرار على النجاح والايمان .

((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون))

وبدانا التدريب على أسس جديدة بعد أن اعدنا دراسة المناهج المختلفة وأساليب التدريب . وكانت المعركة الدائرة تضغط علينا لاختصار الوقت الى أقل زمن ممكن ، واستفدنا نحن أيضا من مواقف التدريب الحقيقية ــ التى هيأتها المعركة لنا ــ للاسراع فى رفع مستوى الأفراد .

ومنذ عام ٧٠ واسرائيل دائمة الدهشة مما يحدث فى مصر ولكنها لا تعرف طبيعة الانسان المصرى وربما تناست أن حضارة مصر من أقدم

حضارات العالم . أما عن المقاتل المصرى فيكفيه فخرا قـــول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا فتح الله عليكم بمصر ، فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فان فيها خير اجناد الارض . قال ابو بكر ولم يارسول الله ؟ قال : لانهم وازواجهم فى رباط الى يوم القيامة »

وكنت أقول للمقاتلين :

« ان السلاح والفرد شيئان متلازمان ، يجب ان يكون كلاهما معدا اعدادا كاملا من جميع النواحى للمعركة .. ولقـد اثبتت ولسوف تثبت الأسلحة الحديثة فى ايديكم قدرة عالية فى المعركة .. تلك المعركة التى سيركز فيهـا العدو اقـوى واحدث اسلحته معززة بالتكنولوجيا والخبرة العلمية .. انى اعتبر معركة الدفاع الجوى معادلة صعبة ، وعليكم ايجاد الحلول السليمة لها . فالأسلحة ذات تكنولوجيا معقدة ، وسريعة التطور ، حتى تتمشى مع تكتيكات واسلحة العدو ، ويجب علينا ان نستوعب هذه الأسلحة ونحسن استخدامها بالسرعة التى تحقق مفاجاة العدو وبالتالى احراز النصر فى المعركة » .

وعلى هذا يمكن أن نرجع نجاحنا فى التدريب الى الأسباب الآتية :

* تنظيم عملية التدريب .. والتنظيم يوفر الوقت والجهد ، ويضـــع كل شىء فى مكانه الصحيح .
* دراسة وتطوير مستمرين لأساليب ومناهج التدريب .
* المقاتل المصرى الذى يملك امكانيات هائلة قد لاتبدو عـلى السـطح ولكنها تظهر بوضوح فى المواقف الصعبة .

وقد استجاب الجندى بسرعة للتدريب واصبح سيدا للسلاح بحيث امكنه استغلال جميع امكانياته وقدراته تحت الظروف الجوية المعقدة للهجمات الجوية الكثيفة ، وتحت أعمال الاعاقة والشوشرة المعادية بجميع انواعها .

* شبكة الانذار

ان شبكة الانذار هى سمع وبصر الدفاع الجوى . ولكى نغطى مجالنا الجوى ، علينا أن نمد اشعة راداراتنا الى مسافات بعيدة خارج الدولة لاكتشاف اى طائرة معادية تقترب من أراضينا ونحذر الدفاع المدنى عنها ، كما نحذر قواتنا وقواعد الصواريخ ومواقع المدفعية ، ونؤمن لها فى نفس الوقت تيار المعلومات المتدفق اللازم لكل منها حتى تقاتل بكفاءة .

وهذا يتطلب اعدادا كبيرا ومتنوعا من وسائل الانذار واستخدامها فى تنسيق وتعاون كاملين ، وتعزيزها بشبكة من نقط المراقبة بالنظرة وتجهيزها بشبكة مواصلات مرنة ومستمرة وتوفير الصمود لها حتى لا يستطيع العدو أن يدمر اى جزء منها أو يعميها بأسلحة حربه الألكترونية .

ونجحنا فى ذلك فلم تفلت منا طائرة واحدة دون انذار متناسب ومعلومات كافية لكى يشتبك السلاح المخصص بكفاءة .

الفصل الخامس

أضواء على دور الدفاع الجوى في حرب الاستنزاف

- قوات الدفاع الجـوى تحمى وتدعـم صمود جيش وشعب مصر .
- اسرائيل تحاول نقل الصراع الى عمـق مصر وقوات الدفاع الجوى ترده الـى جبهة القنـــاة .
- حائط الصواريخ .
- الدفاع الجـوى المصرى وراء ســعى اسرائيل لوقف اطلاق النار .

عاهدت الله وعاهدتكم على ان جيلنـا لن يسـلم اعلامـه الى جيل سوف يجيء بعده منكسـة او ذليلة وانمـا سوف نسلم اعلامنا مرتفعة هاماتها عزيزة صـواريها . . وقـد تكون مخضبة بالدماء .. ولكننا ظللنا نحتفظ برؤوسنا عالية فى السماء ، وقت ان كانت جباهنا تنزف الدم والألم والمرارة .

انور السادات

اضواء
على دور الدفاع الجوى فى حرب الاستنزاف

* قوات الدفاع الجوى تحمى وتدعم صمود جيش وشعب مصر

لم يدر بخلد أحد وقت صدور القرار بانشاء قوات الدفاع الجوى أن هذه القوة الجديدة التى شاء القدر أن يتم انشاؤها فى أصعب الظروف واقساها .. ستتمكن خلال شهورقليلة من الوقوف بجدارة فى مواجهة اقوى ما تملك اسرائيل وتفخر به وهو قواتها الجوية .

وبقدر ما كان الصراع مرهقا وعنيفا .. فقد كان مفيدا وحافزا على الاسراع فى التطوير والبناء ودافعا للاجادة والاتقان ، ومجالا

خصبا للتفانى والتضحية والفداء . فلقد رفضنا نحن رجال الدفاع الجوى المصرى ان نعيش فى كابوس واحلام الماضى أو ننظر للخلف وقررنا أن ننظر للأمام .. الى المستقبل متسلحين بعبر الماضى ودروس الحاضر وكنا دائما نردد فيما بيننا« أن ساعة النصر سوف تغسل كل مرارة الفشل »

لقد تميز الصراع بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجوى المصرية بالتغيير والتصاعد المستمر من كلا الجانبين ، وينبغى قبل أن نستعرض مراحل تطور هذا الصراع أن نلقى الضوء على الخلفية التى دار هذا الصراع فى ظلها .

ففى سبتمبر ١٩٦٨اعلنت مصر عن سياستها الحربية الجديدة التى عرفت باسم ((**الدفاع الوقائى**)) ، واعلنت مصر أنها لن تسمح لاسرائيل ان تحول خطوط المواجهة الى خطوط للبقاء تقوم بتحصينها وحشد القوات فيها وتثبيت اقدامها فوقها .. وهكذا بدات مزايا الاحتفاظ بالخطوط الممتدة تتحول - تحت وطاة ضربات المدفعية المصرية - الى عبء مرهق للعدو اخذ يتزايد بمقدار تزايد النشاط المسلح على جبهة القتال .

ومع استمرار تصاعد العمليات العسكرية وتزايد حجم الخسائر فى القوات الاسرائيلية ، ادركت اسرائيل أن مصر وأن كانت قد خسرت معركة عسكرية فى يونيو ١٩٦٧ ، الا انها لم تفقد الارادة والتصميم على القتال ، وايقنت اسرائيل أن القتال سيستمر ما لم تقهر هذه الارادة عن طريق الردع الجسيم ، فكان قرار اسرائيل باستخدام قواتها الجوية أو كما يسمونها الذراع الطويلة لجيش الدفاع الاسرائيلى التى تتميز بخفة الحركة والقدرة العالية على توجيه وتركيز الضربات الىجميع الأهداف التى يقع الاختيار عليها أيا كان موقعها على امتداد رقعة الأرض المصرية .

وقد بدأ واضحا وقتها أن العدو يهدف من عملياته الجوية التي تركزت على جبهة القناة وساحل خليج السويس الى تحقيق الأهداف التالية :

ـ تدمير وسائل وعناصر الدفاع الجوى بجبهة قناة السويس للحصول على السيطرة الجوية بغرض منع أى تحضيرات من جانبنا للهجوم وتحرير سيناء .

ـ اعاقة اعادة بناء قواتنا المسلحة وتدريبها واحباط تطلعات القوات المصرية فى عبور القناة وحرمانها من المناورة .

ـ ضمان السيطرة الجوية وعدم التدخل من وسائل الدفاع الجوى فى حالة قيام العدو بأى عمليات هجومية خاطفة على قواتنا .

ـ تنعيم دفاعاتنا وفتح ثغرة فيها تسمح لطائراته بالوصول الى الأهداف الحيوية بالعمق .

ـ التأثير على صمود القوات المسلحة والجبهة الداخلية واضعاف حماسها بالنسبة لحل المشكلة عسكريا .

ـ القيام بعمليات غير ذات قيمة من الناحية العسكرية لاستغلالها فى الدعاية داخل وخارج اسرائيل .

ولقد مرت عمليات العدو الجوية بمراحل متتالية يمكن تقسيمها على الوجه التالى :

اولا ـ مرحلة الجس « Probing » (من يوليو ١٩٦٨ حتى ١٩ يوليو ١٩٦٩)

وفى هذه المرحلة قام العدو بجس قدرتنا الدفاعية ضد أعماله الجوية لتحديد أسلوب وحجم ونوعيات وقدرات أسلحة الدفاع الجوى المصرية القائمة بالدفاع عن الأهداف المختلفة ، وكذا لتحديد مدى ونوع

وحجم الأعمال الايجابية التى قد تواجهها قواته الجوية عند قيامها بأى عمليات هجومية . وكانت ابرز الأعمال التى قامت بها القوات الجوية الاسرائيلية لتحقيق هذه الأهداف هى :

ـ اعمال الاستطلاع الجوى :

وقد اخذت اعمال الاستطلاع الجوى فى هذه المرحلة الأشكال التالية :

*** استطلاع تعبوى :**

على الارتفاعات المختلفة شمل الجبهة بالكامل وساحل البحر الأحمر بعمق حتى ٥٠ ــ ٧٠ كم ، وشمل كذلك استطلاع بعض القواعد الجوية والمطارات بغرض الحصول على المعلومات المطلوبة عن تمركز ونظام الدفاع للقوات البرية وعن تجميع وتشكيل قتال عناصر الدفاع الجوى المخصصة للدفاع عن هذه القوات او عن الأهداف ذات الأهمية الحيوية .

*** استطلاع الكترونى :**

باستخدام الطائرات المجهزة لذلك وكان هذا النوع من الاستطلاع يتم فى منطقة البحر الأبيض المتوسط بطلعات تطير بموازاة الساحل على عمق ٥٠ ــ ٧٠ كم داخل البحر وتغطى المواجهة من بورسعيد الى مطروح ، علاوة على طلعات اخرى فى منطقة وسط سيناء من المليز الى جنوب سيناء ، وكان الغرض من هذا النوع من الاستطلاع هوتحديد أماكن محطات الاستطلاع اللاسلكى والرادارى المصرية وتوقيتات عملها وتردداتها تمهيدا للاجراءات المضادة لها ، سواء لمهاجمتها وتدميرها أو للشوشرة عليها وافقادها لفاعليتها .

* **استطلاع طبيعة الأرض :**

ومسرح العمليات وطرق الاقتراب الى الأهداف الحيوية فى العمق تمهيدا لعمليات الاغارة عليها بقوات الكوماندوز او لقصفها من الجو .

* **استطلاع مستمر يومى :**

بواسطة الطائرات البطيئة من الجانب الشرقى للقناة بفرض وضع قواتنا بالجبهة « تحت الميكروسكوب » بصفة دائمة للحصول على المعلومات التفصيلية عن تحركاتها وأوضاعها وتجهيزاتها الهندسية وجميع أوجه نشاطها القتالى والتدريبى .

ـ الدخول مع المقاتلات المصرية فى معارك جوية مدبرة فى مناطق تحقق له التفوق من ناحيتى الكشف الرادارى ومدى عمل الطائرات بفرض احداث اكبر خسائر ممكنة فى مقاتلاتنا وافقاد الطيارين المصريين الثقة فى انفسهم وفى معداتهم ، وتضخيم اسطورة القوات الجوية الاسرائيلية التى لاتقهر ، وبذا يمكن تنحية الطيران المصرى عن سماء المعركة فى المرحلة التالية .

ـ الاغارة بواسطة الطائرات الهليكوبتر وقوات الكوماندوز المحمولة جوا على بعض الأهداف المدنية بوادى النيل (قناطر وكوبرى نجع حمادى ـ قناطر اسنا ـ محطة محولات الضغط العالى بنجع حمادى ـ معسكرات أسيوط) ، وقد تمت جميع هذه الاغارات فى الليالى القمرية وتنوعت فى اسلوب الهجوم مابين زرع الألغام والعبوات الناسفة أو القصف بالهاونات والصواريخ أرض/أرض .

ـ مهاجمة موقعى الرادار المصريين بالأردن فى ٢٢ أبريل ١٩٦٩ ، وهى المواقع التى تم انشاؤها عقب النكسة لتحقيق انذار مبكر عن اى هجوم اسرائيلى مباغت . ويعتبر الهجوم على موقعى الرادار بالأردن أول عملية جوية مباشرة ضد قوات مسلحة مصرية بعد عمليات ١٩٦٧ ،وفضلا

عن الأهداف السياسية الظاهرة لهذا الهجوم فقد كان العدو يهدف الى اختبار وتجربة اسلوب مهاجمة هدف منعزل مدافع عنه بامكانيات محددة من عناصر الدفاع الجوى الايجابية .

ـ فتح العدو الجوى الاسرائيلى فى شهر يونيو ١٩٦٩ ميدانا جديدا للصراع هو ميدان الحرب الالكترونية فمنذ ذلك الوقت صاحبت جميع اعماله الجوية اعمال الاعاقة الالكترونية والشوشرة ضد محطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ ، وان كانت قد اقتصرت فى ذلك الحين على بعض الأنواع فقط من محطات الرادار .

ثانيا : مرحلة الاستنزاف المضاد (من يوليو ١٩٦٩ حتى يناير ١٩٧٠)

اعتمدت القوات الجوية الاسرائيلية فى تنفيذ اعمال قتالها خلال تلك المرحلة على المعلومات التى توفرت لديها خلال مرحلة الاستطلاع والجس ، وقد بدأت اسرائيل هذه المرحلة بعد ما استكملت تحسين وتجهيز مطارات سيناء ، واتمت تدريب طياريها على الطائرات « سكاى هوك » التى لعبت الدور الرئيسى فى هذه المرحلة . وتميزت هذه المرحلة بتوجيه الضربات الجوية ضد قواتنا المسلحة بعمق ١٥ ـ ٢٠ كم غرب القناة وساحل البحر الأحمر مركزة المجهود الرئيسى ضد قواعد الصواريخ المضادة للطائرات بالجبهة ومواقع الرادار بالنسق الأول بمنطقة القناة وساحل البحر الأحمر .

ولقد تمثل تنفيذ الطيران الاسرائيلى للاستنزاف المضاد فى الأعمال الآتية :

ـ مهاجمة قواعد الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات بمنطقة القناة والتى كانت قد كبدت العدو خسائر مستمرة فى طائراته المروحية والعمودية التى كانت تقوم بالأستطلاع من الجانب الشرقى للقناة

أو تقوم بتصحيح نيران مدفعية الميدان ، ولقد تم الهجوم على قواعد الصواريخ المضادة للطائرات فى منطقة القناة على ثلاث فترات : الأولى خلال شهر يوليو ١٩٦٩ والثانية خلال شهر سبتمبر ١٩٦٩ والثالثة خلال شهر ديسمبر ١٩٦٩ . ولجأ العدو فى جميع هذه الهجمات الى البدء بمهاجمة قواعد الصواريخ على الأجناب ثم مهاجمة القواعد فى منتصف التشكيل .

ـ مهاجمة مواقع رادار الانذار بمنطقة الجبهة وخليج السويس بغرض فتح ثغرات فى مجال الكشف الرادارى تمكنه من الاختراق دون اكتشافه فى الوقت المناسب .

ـ قصف القوات البرية بمنطقة القناة مع التركيز على وحدات مدفعية الميدان والمدرعات أساسا ، مع استمرار أعمال القصف ليلا بغرض عرقلة أعمال استعادة الموقف وارهاق وازعاج القوات .

ـ القيام بعمليات ابرار جوى أو معاونة عمليات الابرار البحرى ذات الطابع الدعائى التى حاول العدو القيام بها خلال هذه الفترة فى مناطق الجزيرة الخضراء والزعفرانة ورأس غارب .

ـ القيام باختراق حاجز الصوت فوق القاهرة بغرض إحداث تأثير معنوى سياسى .

ـ استمرار أعمال الاستطلاع الجوى بشتى صوره السابق ذكرها ، علاوة على القيام بطلعات استطلاع خاصة للأهداف التى سيتم مهاجمتها وذلك قبل الهجوم بحوالى ٣ ـ ٦ ساعات بغرض الحصول على آخر معلومات عن تفاصيل وأوضاع الأهداف والدفاعات وأى تغييرات قد تكون طرأت عليها ليمكن تأكيد خطة الهجوم وتلقين الطيارين عن أفضل طرق ووسائل مهاجمة الهدف . وكذلك فقد اشتمل النشاط الاستطلاعى للعدو الجوى على أعمال استطلاع نتائج القصف

وكان ذلك يتم اما بواسطة طائرات مشتركة فى نفس الهجمة أو بواسطة طائرات الحماية أو عن طريق تنفيذ طلعات استطلاع خاصة لهذا الفرض بعد الهجوم بفترة قصيرة لتأكيد نتائج الهجمة ولتحديد مدى الحاجة الى تكرار الهجوم .

ثالثا ـ مرحلة الضغط العسكرى والتصعيد (من يناير الى مارس ١٩٧٠)

مع وصول الجزء الأول من صفقة طائرات الفانتوم واتمام تدريب الطيارين عليها بدأ العدو فى الاختراق العميق مستفيدا بنتائج المراحل السابقة ، حيث قام بعمليات قصف جوى على الأهداف العسكرية غير المدافع عنها « Soft skin objectives » المحيطة بالعاصمة بفرض جس قوة وسائل الدفاع الجوى فى العمق توطئة للانتقال الى مرحلة « تليين» أو اضعاف وسائل الدفاع الجوى فى العمق Softening Air Defence Means لاكتساب حرية العمل فى المرحلة التالية والأخيرة وهى مرحلة التصعيد الشامل أو مرحلة الجولة الأخيرة والتى يمكن أن تضع حدا لحرب الأيام الستة ، التى كانت تعتبر من وجهة النظر العسكرية مستمرة حتى ذلك الحين .

وهنا ينبغى أن نتوقف قليلا فلقد كان عام ١٩٧٠ منعطفا هاما فى مسيرة الصراع الرهيب بين قوات الدفاع الجوى المصرى والقوات الجوية الاسرائيلية . فقد كان عام ١٩٧٠ بحق بداية مرحلة خالدة فى تاريخ الدفاع الجوى المصرى . لذلك نستأذن القارىء فى وقفة قصيرة ننتهى فيها من تلخيص أبرز اساليب وتكتيكات القوات الجوية الاسرائيلية من يوليو ١٩٦٨ وحتى يناير ١٩٧٠ ثم نعود مرة اخرى الى الصراع الرهيب خلال عام ١٩٧٠ .

فلقد تباينت أساليب وتكتيكات العدو الجوى خلال الفترة من يوليو ١٩٦٨ وحتى يناير ١٩٧٠ تبعا لاختلاف أهداف الهجوم وطبقا

للتطور فى تسليحه والتطور المقابل فى أساليب واجراءات الدفاع الجوى المصرى ، ويمكن بصفة عامة حصر السمات الرئيسية لأساليب وتكتيكات العدو الجوى خلال هذه الفترة على الوجه التالى :

ــ لجأ العدو الى أسلوب الاقتراب على ارتفاع منخفض فى جميع عملياته الجوية تجنبا للكشف الرادارى تحقيقا للمفاجأة ، مع الحرص على الاقتراب من اتجاه الشمس بالنسبة للأهداف المدافع عنها بوسائل دفاع جوى تعتمد على التنشين البصرى .

ــ حرص العدو فى معظم عملياته الجوية على اتمام عملية القصف من خارج مدى عمل وسائل الدفاع الجوى . وعند مهاجمة مواقع الصواريخ المضادة للطائرات كان يتبع أسلوب الهجوم الغاطس فى أغلب الأحيان بأن يقترب الى الهدف على الارتفاع المنخفض ثم يرتفع فجأة مع زمن تعرض قليل ثم يقوم بالقصف من الغطس باعتباره أدق وسيلة ــ وهو اسلوب المانى معروف منذ الحرب العالمية الثانية ــ ثم الابتعاد على ارتفاع منخفض جدا مع الالتفاف الى اتجاه الشرق لضمان سقوط الطيار ، فيما لو تمت اصابة الطائرة ، فى الأرض المحتلة وذلك لحرصه المستمر على حياة الطيار الذى هو أهم بكثير من الطائرة نفسها .

ــ لجأ العدو عند مهاجمة الأهداف ذات الأهمية الى تشكيل القوة المكلفة بالمهمة فى مجموعات أربع :

* مجموعة المشاغلة : وهى تطير على الحدود الخارجية لمناطق نيران وسائل الدفاع الجوى لجذب نيرانها وتشتيت جهودها .

* المجموعة الضاربة : وهى المجموعة الرئيسية التى تقوم بالقصف .

* مجموعة الحماية : وهى الطائرات المكلفة بالتصدى لمقاتلاتنا فى حالة اشتراكها فى صد الهجمة .

* مجموعة الانقاذ : وتتكـون مـن عـدد من طائـرات الهليوكوبتر لالتقاط الطيارين الذين يتمكنون من القفز بالمظلة عند اصـابة طائراتهم .

وكانت تصاحب اعمال هـذه القوات باستمرار أعمال الاعاقـة والشوشرة الرادارية ضد وسائل الدفاع الجوى وذلك من مصدر اعاقة ارضى أو محمول جوا أو من كليهما معا حسب اهمية وطبيعة الهجمـة والهدف الذى يتم مهاجمته .

اتبع العدو عـدة أساليب وتكتيكات للتغلب على وسائل الدفـاع الجوى وتقليل خسائره منها ، فلجأ الى أسلوب الهجوم المتعـدد الاتجاهات « Multi directional attacks » وهو نفس الاسلوب الالمانى الذى كان يطلق عليه الانجليز أبان الحرب العالمية الثانية اسم « Star raid أو « الهجمة النجمية » وذلك بغرض تشتيت نيران وسائل الدفـاع الجوى وارباكها ، كما حرص العدو دائما فى جميع هجماته على تقليل زمن التعرض فوق الهدف وأثناء تواجده فى مناطق النيران الى أقل زمن ممكن تجنبا للاصابة . كذلك اتبع العدو أسلوب التخلص من المعركـة على الارتفاع المنخفض مع المناورة بالاتجاه والارتفاع والسرعة بعد القـاء الحمولة لتصعيب عملية الاشتباك به بواسطة وسائل الدفاع الجـوى .

ومن الطبيعى ان يتساءل القارىء .. ترى ماذا فعلت قوات الدفاع الجوى المصرى ازاء هذه الأساليب والتكتيكات ؟ .. وليسمح لنـا القارىء أن نغفل ذكر تفاصيل الاجراءات التى اتخذتها قوات الدفـاع الجوى فى هذا المجال ، ويكفى أن نقـول أنه منـذ أن بدأ الصراع تشكلت فى قيادة قـوات الدفاع الجوى مجموعة عمليات خاصـة مـن نخبة مختارة من الضباط أطلق عليها « مجموعة التحليل » كانت مهمتها رصد وتجميع كل المعلومات عن العدو الجوى واعمال قتاله وتحليل الأساليب والتكتيكات التى يتبعها فى كل هجمة والخـروج بالدروس

المستفادة والاجراءات المضادة الواجب اتخاذها . ولقد مكننا هذا الأسلوب من استنباط الأعمال المضادة وحققنا نجاحات كثيرة تشهد بها أعداد الطائرات المعادية التى تم تدميرها خلال هذه الفترة ، وفى هذا المجال سنتعرض لموقعتين حققت فيهما قوات الدفاع الجوى نصرا ساحقا على العدو :

الموقعة الأولى : كانت على أرض الأردن الشقيق عندما هاجم العدو الجوى موقعى رادار مصريين يقتصر الدفاع الجوى عنهما على عدد محدود من الرشاشات المضادة للطائرات ، ولقد تجلت فى هذه الموقعة بسالة وشجاعة المقاتل المصرى ، فقد أمكن لمقاتلى الدفاع الجوى الأبطال بامكانياتهم المحدودة فى هذين الموقعين ان يسقطوا للعدو الجوى فى الموقعة ثلاث طائرات كانت احداها طائرة قائد السرب المهاجم الذى قتل محترقا داخل حطام طائرته التى هوت داخل احد هذه المواقع .

اما الموقعة الثانية ، فقد تجلت فيها قدرة المخطط المصرى على الايقاع بعدوه الذى اشتهر عنه الدهاء والخبث .. وكان ذلك يوم ١٩ سبتمبر ٦٩ عندما اتخذت قرارا بالمناورة باحدى قواعد الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات من موقع قتالها الرئيسى فى منطقة السويس الى موقع تبادلى آخر بعيد على اثر استطلاع جوى قام به العدو عصر ١٨ سبتمبر ، وتم فى نفس الوقت احتلال موقع القتال الرئيسى بمعدات هيكلية مع حشد كميات هائلة من المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات حول الموقع لحمايته ، وفى صباح يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٩ كانت جميع الاجراءات قد تمت على الوجه الأكمل ولم يكن ممكنا لأى شخص حتى ولو سمح له بالتجول حول الموقع أن يكتشف ما اذا كانت هذه القاعدة حقيقية أم هيكلية وفعلا وقع العدو فى الفخ عندما اتى كما توقعنا ليهاجم الموقع بعنف وضراوة ولكنه خسر فى ذلك الهجوم ثلاث طائرات حقيقية فى مقابل تدميره لبعض الهياكل الخشبية ..

* اسرائيل تحاول نقل الصراع الى عمق مصر ، وقوات الدفاع الجوى ترده الى جبهة القناة

نعود الآن لاستئناف استعراضنا لمراحل حرب الاستنزاف من حيث توقفنا عند بداية عام ١٩٧٠ وكالعادة سنلقى نظرة سريعة على الخلفية التى دار فى ظلها الصراع عام ١٩٧٠ معتمدين فى ذلك على ما نشر بالمصادر الاسرائيلية والأجنبية .. فها هى مجلة جويش اوبزرفر البريطانية تعلق فى عددها الصادر فى ٢٣ اغسطس ١٩٦٩ على سير الأعمال العسكرية على الجبهة المصرية بقولها « تؤكد العمليات الجوية التى بدأت فى يوليو ١٩٦٩ أن مصر تخوض غمار حرب استنزاف ضد السلاح الجوى الاسرائيلى . وأن استمرار الصدام الجوى مع استمرار الغارات الجوية الاسرائيلية على الجبهة المصرية وتصدى وسائل الدفاع الجوى المصرى لها انما يعنى أنه من الممكن القضاء على التفوق الجوى الاسرائيلى فى المدى الطويل ، بفرض ان اسرائيل لن تستطيع تعويض خسائرها » .

ولقد كان لتزايد خسائر اسرائيل على جبهة السويس تاثير بالغ على مستوى الثقة الاسرائيلية بالنفس فضلا عن التاثير المادى المباشر .. وتصور صحيفة التايمز البريطانية الموقف داخل اسرائيل فى هذه الفترة قائلة ، « لقد اصبح الواقع مفهوما تماما وهو بعيد جدا

عن تلك الأيام التى كانت مليئة بالزهو عقب حرب الأيام الستة مباشرة حينما قال « ديان » ببساطة انه ينتظر اتصالا تليفونيا لعقد الصلح ولكن هذا الصلح لن يتم الآن » .

هكذا كانت الحال فى نهاية عام ١٩٦٩ .. وكالعادة لجات اسرائيل الى قواتها الجوية التى مازالت تعتبرها الذراع القوية لاسرائيل والدرع الذى يمكن ان ترتفع الثقة وراءه من جديد .. لذلك قررت اسرائيل زيادة الاعتماد على هذه القوات واضافة أبعاد جديدة لمدى واسلوب عملها خاصة بعد وصول باكورة صفقة طائرات الفانتوم .. وكان من الضرورى أن تكون هذه الأبعاد الجديدة أكثر فاعلية وأعمق اثرا وقادرة على تحقيق نتائج استراتيجية حاسمة ، وعلى هذا الأساس قررت اسرائيل مد غاراتها الجوية الى عمق الأرض المصرية وحتى مشارف القاهرة بهدف استراتيجى وسياسى واضح ، هو شل القدرة العسكرية المصرية تماما وتهديد الجبهة الداخلية تهديدا مباشرا . ولقد حدد «موشى ديان» وزير الدفاع الاسرائيلى فى ذلك الوقت سياسة « غارات العمق » وابعادها المعنوية والسياسية والعسكرية فى حديث أدلى به فى نهاية يناير ١٩٧٠ كالآتى :

« ـ ليس هناك خطر يمكن ان يوقف اسرائيل عن التوغل الى داخل مصر طالما كان بوسعها ذلك والى ابعد عمق تستطيع ، فالدفاع عن عمق اسرائيل يكون فى سماء القاهرة .

ـ ان الأهداف السياسية من غارات العمق هى المحافظة على معنويات الشعب فى اسرائيل وتقويض الزعامة السياسية والعسكرية فى مصر .

ـ اما الأهداف العسكرية فهى منع مصر من بدء حرب شاملة اخرى وتمكين القوات الاسرائيلية من الصمود على طول جبهة القناة »

وفى ٧ يناير ١٩٧٠ بدا الهجوم الجوى الاسرائيلى فى عمق الأراضى المصرية بغارات جوية على مناطق التل الكبير وانشاص ودهشور واستمر بعد ذلك ضد الأهداف العسكرية والمدنية فى مناطق مختلفة من وادى النيل وشمال الدلتا . وفى شهر فبراير عام ١٩٧٠ قصف جوا احد المصانع المدنية فى « منطقة ابو زعبل » شرق القاهرة كما ضرب فى شهر أبريل من نفس العام مدرسة للأطفال فى « منطقة بحر البقر » شرق الدلتا وتسبب الحادثان فى وقوع خسائر كبيرة فى الأرواح بين المدنيين .

وقد اتسمت الغارات الجوية الاسرائيلية فى عمق الأراضى المصرية بسمات خاصة نلخصها فيما يلى :

ـ اختيار أهداف عسكرية تقع عادة بالقرب من العاصمة أو على مشارفها .

ـ تطعيم سلسلة الغارات الجوية بعدد آخر من الغارات ضد اهداف مدنية أو عسكرية بالقرب من التجمعات السكنية .

ـ اقتراب الطائرات الى أهدافها على ارتفاع منخفض مع استغلال طبيعة الارض لتجنب الكشف الرادارى واقتصار الطائرات المهاجمة على طائرتى فانتوم فى كل مرة مع اتباع أسلوب الهجوم الخاطف الذى لا يستغرق اكثر من ثوان قليلة فوق الهدف بما يضمن عدم التعرض لوسائل الدفاع الجوى لتحقيق أكبر قدر من النتائج المادية والأعباء المعنوية بأقل قدر من التضحيات .

ولم تتوان مصر عن اتخاذ الخطوات السريعة الكفيلة باحباط هذا العدوان الاسرائيلى وجعله عملا باهظا لاتتحمله اسرائيل طويلا ..

وتقدمت قيادة قوات الدفاع الجوى المصرى الى القيادة السياسية بخطة طموحة لتطوير شبكة الدفاع الجوى المصرى وتدعيمها بانواع

حديثة من الأسلحة والمعدات الالكترونية والصواريخ المضادة للطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة ..

وكان من نتيجة الجهود التى بذلتها القيادة السياسية ان تزايد الدعم السوفيتى لمصر خاصة فى مجال الدفاع الجوى .

وواصل رجال الدفاع الجوى المصرى العمل ليلا ونهارا لاستيعاب الأسلحة الجديدة ووضع خطط الدفاع الجوى عن مختلف الأهداف الحيوية بالدولة ، فتم فى فترة قياسية استطلاع وتحديد المواقع على الطبيعة ، وتابع رجال الدفاع الجوى انشاء المواقع الحصينة على اتساع رقعة الدولة من اسوان الى الاسكندرية ومن بورسعيد الى مطروح وكرست الدولة امكانياتها المادية والهندسية لبناء هذه المواقع فى أقصر وقت .. وسارت أعمال تجهيز الطرق واقامة المواصلات السلكية واللاسلكية جنبا الى جنب مع عملية انشاء المواقع ومراكز القيادة .. واخذت خطط الدفاع الجوى عن مختلف الأهداف الحيوية تتكامل واحدة وراء الأخرى .

ولقد احدث تطوير الدفاع الجوى المصرى أثرا معنويا سيئا فى اسرائيل فقد خلق شعورا بأن استراتيجية الردع الاسرائيلى قد فقدت جدواها ، فقد كانت هذه الاستراتيجية قائمة اساسا على العامل النفسى بنقل اخطار الحرب الى عمق الأراضى المصرية لخلق شعور بالعجز بين المصريين .

وبالفعل أدركت اسرائيل النتائج الهائلة التى ستترتب على نجاح مصر فى تدعيم دفاعها الجوى واعتبرت ذلك من وجهة نظرها اختلالا فى موازين القوى العسكرية فى المنطقة ، ولقد ترك ذلك آثاره المباشرة العميقة على استراتيجية الحرب الجوية التى خططت لها اسرائيل وحددت أهدافها العسكرية والسياسية النهائية . ويمكن القول بأن التحرك العسكرى والسياسى المصرى قد اضعف من امل اسرائيل فى تحقيق

هذه الأهداف فبعد أن أصبح من الضرورى اعادة النظر فى الاستراتيجية الاسرائيلية وادخال تعديلات جذرية عليها . وقد مهد قادة اسرائيل لهذا التغيير أو التراجع وتوقفوا عن لهجة التهديد المستمر باختراق سماء مصر المفتوحة ورجع موشى ديان عن تحديه بالتوغل داخل مصر الى أبعد واعمق ماتستطيع اسرائيل وراح يدلى بتصريحات جديدة كانت جميعها تدور حول النقاط التالية :

* ان تزويد مصر بالصواريخ الحديثة سيجعل الأمور صعبة أمام اسرائيل بعد أن نقدت حريتها فى اختيار الأهداف التى تقوم بالاغارة عليها فى عمق الأراضى المصرية .

* ان المناطق الداخلية فى مصر لاتعتبر مناطق حيوية لأمن اسرائيل ولا ترغب القوات الجوية الاسرائيلية فى العمل ضدها .

* ان اسرائيل ستحاول منع وضع الصواريخ الجديدة فى مناطق تعتبر حيوية بالنسبة لمركزها العسكرى فى قناة السويس .

وحول النقطة الأخيرة تركز كل اهتمام قادة اسرائيل .. وها هى تصريحاتهم تعكس بوضوح مدى الجزع الذى أصابهم من احتمال نجاح مصر فى تعزيز الدفاع الجوى فى منطقة قناة السويس .. فها هو « حاييم بارليف » يصرح فى تصريح له نشرته التايمز الأمريكية فى ٢٩ مارس ١٩٧٠ ، « على المرء الا يقع فى تصور أن صواريخ سام دفاعية انها قد أقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية . أن مجرد اقامة هذه الصواريخ سيخلق فى مصر شعورا بالحرية لفعل ماتريد . لذلك لايصح ان نتخيل ان هذه الصواريخ دفاعية . وها هو « موشى ديان » يحدد فى وضوح فى ٥ أبريل ١٩٧٠ المهام الاستراتيجية لاسرائيل قائلا : « ان هدفنا هو التمسك بخطوط وقف اطلاق النار ، الى أن يتم استبدالها بحدود سلام ، ولهذا يتطلب الأمر ضرورة القيام بعمليات داخل الأجواء المصرية

وقد تم تخطيط النشاط الجوى الاسرائيلى لضمان تحكم اسرائيل فى خطوط وقف اطلاق النار واستمرار قبضتنا على جبهة القناة طالما ان الحرب ماضية فى طريقها .. آمل ان يكون هذا التمييز واضحا .. التمييز بين القاهرة والاسكندرية وأسوان وبين قناة السويس »

وهكذا تحددت مهام القوات الجوية الاسرائيلية ضد جبهة قناة السويس على الوجه التالى :

* تدمير المواقع العسكرية المصرية تدميرا منظما وشاملا مع اعطاء اسبقية خاصة لمصادر النيران الأساسية كمرابض مدفعية الميدان .

* منع اقامة قواعد جديدة للصواريخ المضادة للطائرات المصرية فى منطقة القناة وضرب كل المحاولات التى تهدف الى تحقيق ذلك .

* عزل بعض المناطق الهامة فى الجبهة المصرية وشل أى تحركات تهدف الى ادخال قوات أو حشدها فى المنطقة ، وذلك بواسطة ضرب الطرق وقطع طرق المواصلات الحيوية وخاصة الكبارى الرئيسية وترع المياه العذبة .

* حائط الصواريخ

وقبلت قوات الدفاع الجوى المصرى التحدى لتسطر فى تاريخها اروع الصفحات وتضع فى عام ١٩٧٠ اللبنة الأولى فى صرح الانتصار العظيم للجيش المصرى فى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .

وهكذا دار الصراع رهيبا بين ارادتين .. العدو يركز كل مجهود سلاحه الجوى لمنعنا من انشاء التحصينات والمواقع تمهيدا لادخال الصواريخ المضادة للطائرات فى منطقة قناة السويس .. ونحن فى مقابل ذلك نحشد كل مانملك من اسلحة المدفعية المضادة للطائرات حول مواقع العمل لتوفير الحماية لها .. ولكن ورغم التضحيات الخارقة التى تحملها رجال المدفعية المضادة للطائرات كان العدو ينجح فى معظم الأحيان فى هدم ما أمكن تشييده .. ولم نيأس وزادنا ذلك تصميما واخذت اجهزة التخطيط فى قوات الدفاع الجوى تبحث عن مخرج .. ولم يكن الوقت الذى استغرقته محاولاتنا لبناء مواقع الصواريخ ضائعا ، فبينما كان المهندسون يحاولون بتضحيات بطولية انشاء المواقع ، كان رجال الصواريخ فى عمل مستمر لتحسين أداء معداتهم واستيعاب الاسلحة الجديدة وتطوير أساليب التدريب .

وتبلور الفكر فى قيادة قوات الدفاع الجوى فى وجهتى نظر . وجهة النظر الأولى ترى القفز بحائط الصواريخ المضادة للطائرات دفعة

واحدة للأمام واحتلال مواقع ميدانية متقدمة دون تحصينات وقبول الخسائر المتوقعة لحين اتمام انشاء التحصينات تحت حماية هذه القواعد بينما ترى وجهة النظر الاخرى أن يتم الوصول بحائط الصواريخ الى منطقة القناة على وثبات أو ما أطلق عليه حينئذ « أسلوب الزحف البطىء » وذلك بأن يتم انشاء تحصينات كل نطاق واحتلاله تحت حماية النطاق الخلفى له وهكذا . وكان لكل وجهة نظر مزاياها وعيوبها .. وجرى نقاش شامل لكل من وجهتى النظر واشترك فى هذا النقاش كل القادة على أعلى المستويات واستقر الرأى والمفاضلة على الأخذ بوجهة النظر الثانية .. الزحف البطىء .. وفعلا تم انشاء مواقع النطاق الأول شرقى القاهرة وتم احتلالها دون أى رد فعل من العدو ، واستغلالا للنجاح قررنا انشاء ثلاثة نطاقات جديدة تمتد الى منتصف المسافة بين القاهرة وجبهة القناة ، ووضعت لذلك خطة دقيقة وطموحة فعلى مدى ليلتين فقط كان علينا أن نقوم بعديد من الأعمال .. فقد كان علينا أن نقيم التحصينات الميدانية اللازمة لعدد ٢٤ قاعدة صواريخ ، وتجهيز مراكز القيادة والسيطرة والمواقع بوسائل الاتصال اللازمة وتمهيد الطرق والمدقات ، وتحريك قواعد الصواريخ واحتلالها لمواقعها ومعها وسائل الدفاع المضاد للطائرات المباشر عنها ووسائل الانذار اللازمة . كما شملت خطة الاحتلال دفع مجموعات من مهندسى الالكترونيات لضبط واختبار وتجهيز هذا العدد الكبير من المعدات وكان من الضرورى أن تتم معظم هذه الأعمال بنجاح تام فى تناسق كامل وبدقة مثالية وفى التوقيت المحدد كسمفونية لا نشاز فيها ..

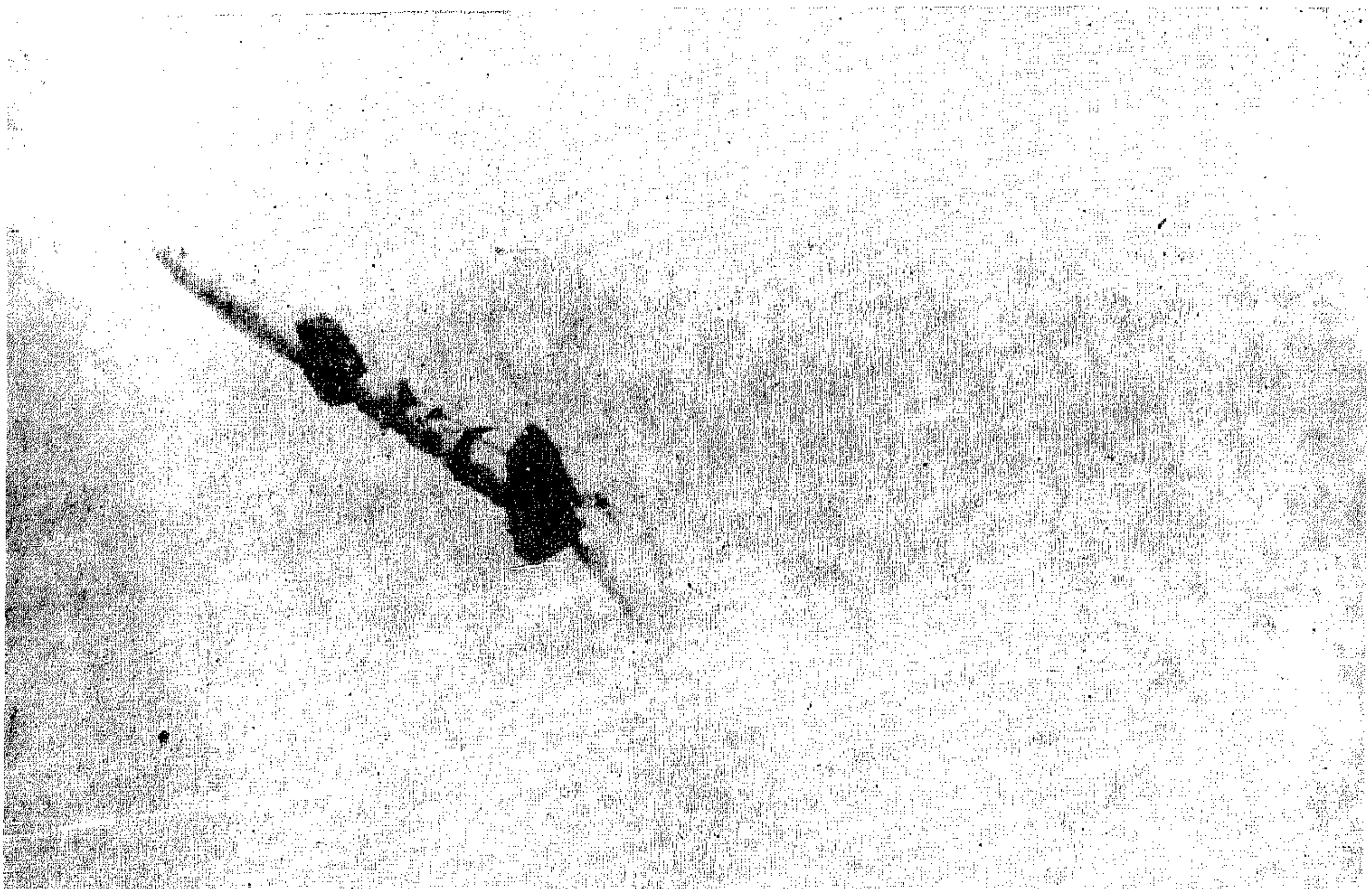
وفى صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية وتكبد السلاح الجوى الاسرائيلى خسائر فادحة لم تكن فى الحسبان .. وجن جنون قيادة السلاح الجوى الاسرائيلى ولم ترد أن تصدق أن حائط الصواريخ أصبح حقيقة واقعة

فدفعت خلال الأيام التالية بمزيد من الطائرات فى محاولة يائسة لاختراق هذا الحائط وتدميره وبالرغم من أن السلاح الجوى الاسرائيلى القى فى المعركة بكل ما يملك من امكانيات سواء فى مجال الحرب الالكترونية أو باتباع احدث التكتيكات المضادة للصواريخ والتى حصلت عليها اسرائيل من الخبرة الأمريكية فى فيتنام فقد كانت النتيجة دائما مزيدا من الخسائر فى الطائرات ومزيدا من الطيارين الأسرى فى ايدى المصريين .

واثمرت خطط الخداع التى نفذناها جنبا الى جنب مع خطة انشاء واحتلال حائط الصواريخ ، وامتصت المواقع الهيكلية معظم الضربات الجوية المعادية ، ولم يفطن العدو الى حقيقة ما يحدث .. فصرحت « جولدا مائير » رئيسة وزراء اسرائيل فى حيرة : « ان كتائب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا احداها نبتت بدلها أخرى »

واخذت اسرائيل تتباكى ، فوقف وزير خارجيتها « أبا ايبان » فى الكنيست يصرح « لقد بدأ الطيران الاسرائيلى يتآكل » ، كما أكدت « مسز مائير » ذهولها وحيرتها عندما صرحت : « ان المصريين زرعوا كل الأرض غرب قناة السويس بالصواريخ ، والله وحده يعلم أين سيجد المصريون مكانا لزراعة أعداد اخرى بالمنطقة » .

وقد يلاحظ القارىء اننا قد أغفلنا خلال استعراضنا للصواريخ بين قوات الدفاع الجوى المصرى والسلاح الجوى الاسرائيلى خلال حرب الاستنزاف التعرض لأعداد الطائرات التى تم اسقاطها فى كل مرحلة .. ولم يكن ذلك سهوا منا بل هو تعمد مقصود فنحن مصابون بعقدة نفسية حيال هذا الموضوع من تأثر البيانات العسكرية التى كانت تذيعها القيادة المصرية خلال حرب ١٩٦٧ . ولا ننوى أن نحيد عن الالتزام ولكننا نستثنى تلك الفترة التى واجهت فيها اسرائيل حائط الصواريخ لما يكمن وراءها من معنى ربما يؤيد وجهة نظرنا فى اغفال ذكر خسائر



فى صباح ٣٠ يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية تكبد السلاح الجوى الاسرائيلى خسائر فادحة ..

العدو فلقد كانت خسائر العدو خلال الفترة من ٣٠ يوليو الى ٨ اغسطس ١٩٧٠ طبقا للبلاغات الرسمية المصرية ١٦ طائرة ، الا ان «برجس» المشرف على المصالح الامريكية بالقاهرة ابدى دهشته لاحد كبار المسئولين المصريين ـ بعد وقف اطلاق النيران ـ وتساءل عن السر الذى يدعو مصر الى التقليل من الخسائر التى انزلتها باسرائيل ، ورد عليه المسئول المصرى مازحا : « لنوقع بينهم وبينكم فعندما يتقدمون لكم بطلبات الاستعاضة ستتهمونهم بالكذب والمغالاة من واقع ارقام الخسائر التى نذيعها » .. ولكن يبدو ان « برجس » كان على حق فقد نشرت مجلة «افيشن ويك» فى عددها الصادر فى ١٦ نوفمبر ٧٠ حصرا لخسائر اسرائيل بواسطة حائط الصواريخ المصرى بلغ ٥١ طائرة منها ١٧ طائرة تم تدميرها تماما و ٣٤ طائرة اصيبت ، كما ذكرت المجلة ان هذه الخسائر تم تعويضها بالكامل بواسطة الولايات المتحدة الامريكية ، وعندما حملت الى وزير الحربية هذا العدد من المجلة ليطلع عليه جال بخاطرى حديث سابق معه فى هذا المجال عندما دمرنا احدى الطائرات المعادية وسقطت فى خليج السويس ، ورفض حينئذ ان يحتسب هذه الاصابة مادام حطام الطائرة او جثة الطيار ليس فى متناول ايدينا ، وهما الدليلان الوحيدان اللذان يمكن على اساسهما ـ من وجهة نظره ـ احتساب خسائر العدو من الطائرات ، حيث قال « ياما نفسى يامحمد اجفف خليج السويس علشان نشوف الطيارات اللى وقعت فيه .! » ولعل فى هذا القول دليلا اكيدا ـ رغم مالدينا من وسائل علمية ـ على مدى حرصنا على عدم المغالاة فيما نحققه من انتصارات على العدو الجوى .

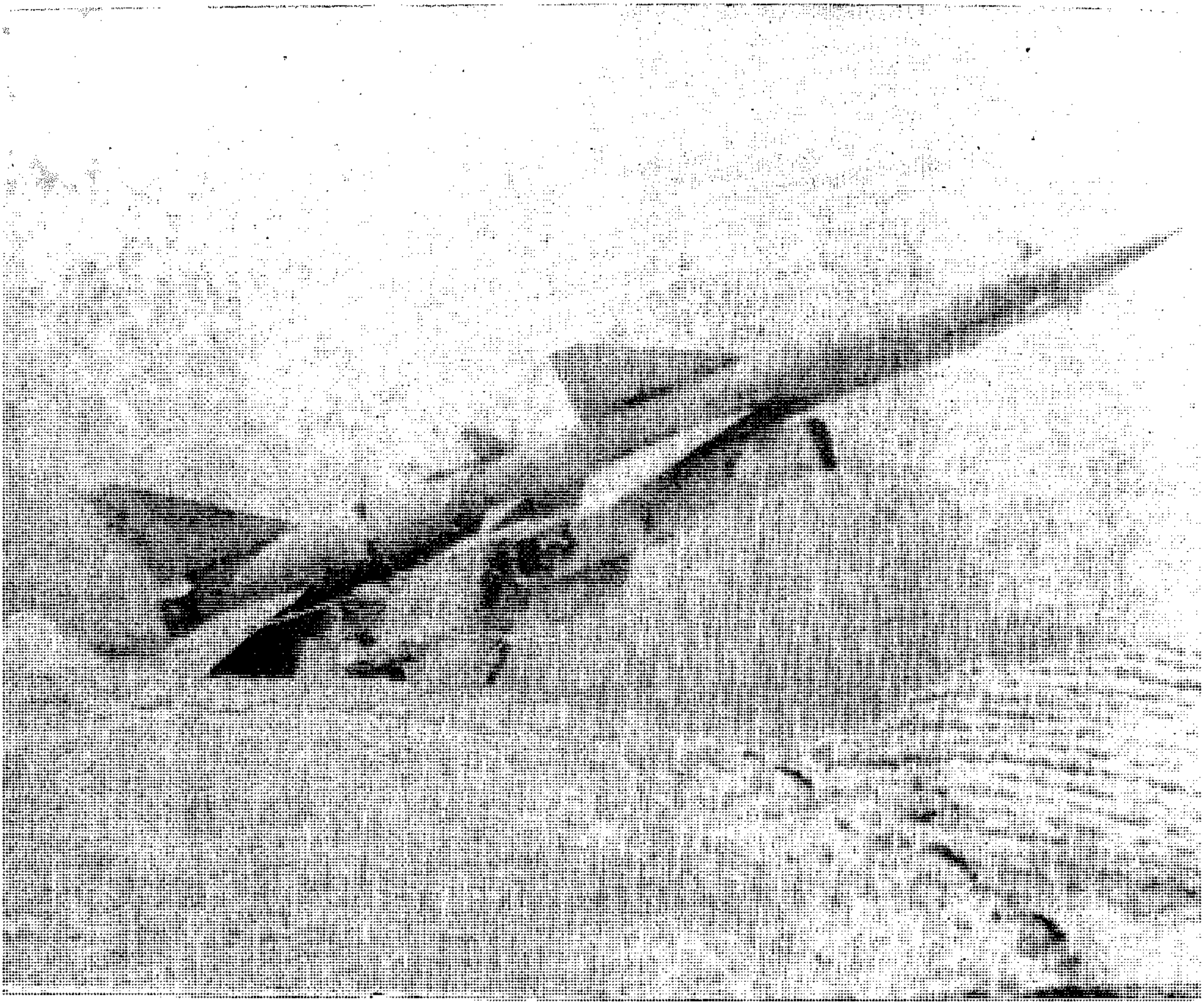
* الدفــاع الجـوى المصرى وراء سعى اسرائيل لوقف اطلاق النار

أن ديناميكية قوات الدفاع الجوى المصرى والتى كان دستورها العمل والعمل .. والسرعة والاتقان .. هو ما جعل العدو الاسرائيلى فى متاهة بالنسبة لماهية حائط الصواريخ ، فلقد كان حائطا فعلا فى مداول قوته ومنعته واسراره ..

ولقد كان لعملية بناء حائط الصواريخ وغيرها من الأعمـــال التى تمت فى هذه المرحلة نتائج عديدة غير النتائج المباشرة المؤثرة على مســـار الصراع ، فلقد اكتسبت قيادات الدفاع الجوى خبرة فائقة فى التخطيط والتفكير وادارة اعمال القتال وسرعة التصرف بذكاء فى المواقف الطارئة ، واكتسبت القوات خبرة عملية فى استخدام المعدات الالكترونية المعقـدة كما تم تطوير اساليب التدريب بطريقة مبتكرة وفعالة بعيـدة عـن الأساليب التقليدية .

أما عن النتائج المباشرة فقد كان لها دلالات خطيرة قلبت موازين الخطط الاسرائيلية رأسا على عقب ويمكن حصر أبرز هـذه الـدلالات فيما يلى :

- أن اسقاط الطائرات الاسرائيلية فوق جبهـــة الســـويس بالصواريخ ، قد عكس تطورا جـذريا بالغ الخطورة ، سـوف يجبـر



كانت القوات الجوية الاسرائليه فى حيرة وارتباك شديدين وهى تفاجأ كل يوم بمزيد من المواقع الجديدة ..

اسرائيل على اعادة النظر ليس فى استراتيجيتها العسكرية فحسب ولكن فى سياستها العامة كذلك .

ـ أن النجاح فى اقامة قواعد الصواريخ هو دليل قاطع على أن الهجمات الجوية الاسرائيلية المركزة قد فشلت فى منع اقامة هذه القواعد بمنطقة الجبهة . ويزيد من خطورة هذا الموقف أن هذه المهمة كانت المهمة الأولى والأساسية للقوات الجوية الاسرائيلية .

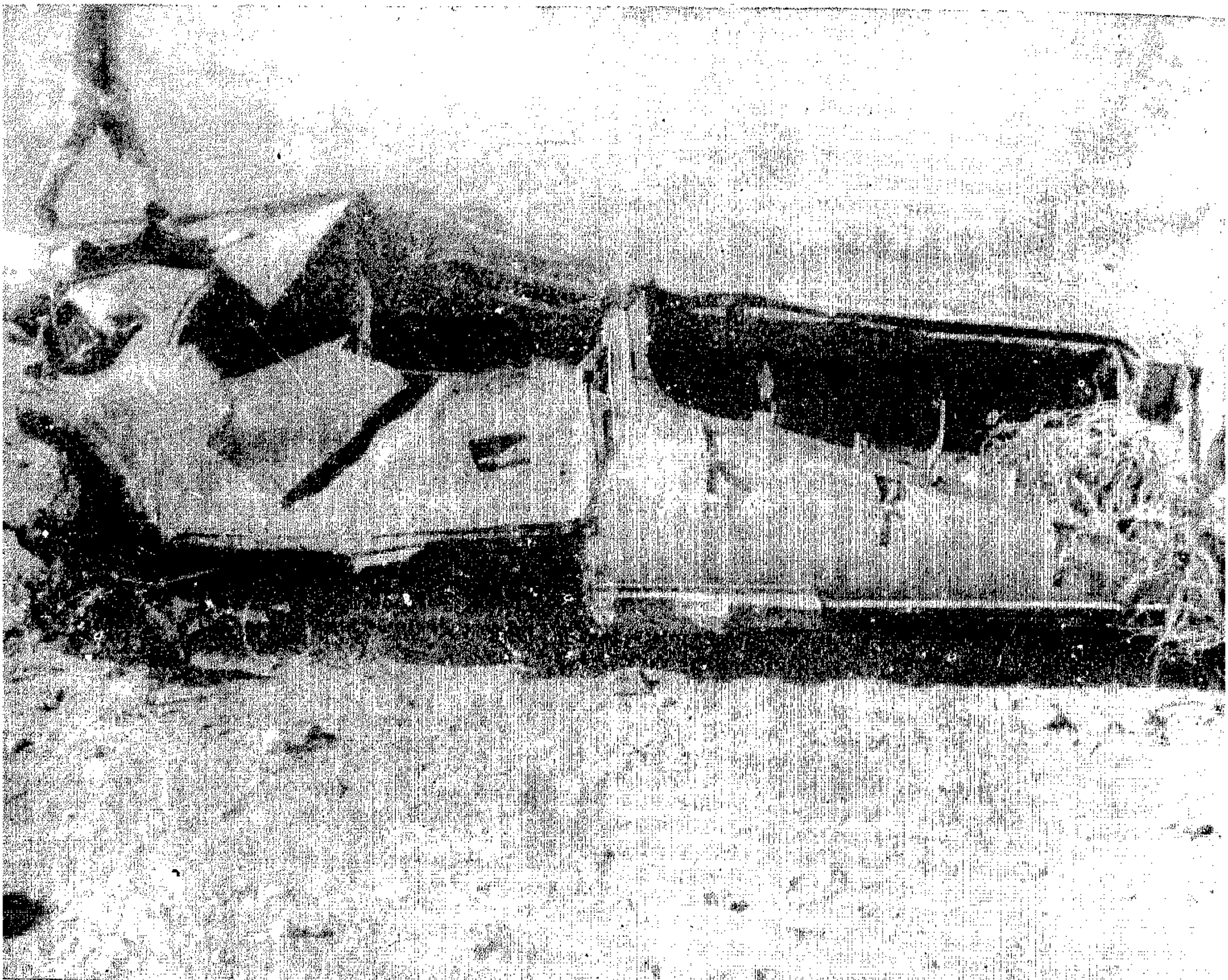
ـ أن وجود قواعد الصواريخ المصرية يمثل تحديا اساسيا لأبرز الوسائل الحيوية التى تمثل قوة الردع الاسرائيلية ، وهى القوات الجوية ويحرمها من تفوقها الجوى فوق منطقة القناة بعد ان نقص هذا التفوق بالفعل عندما اضطرت اسرائيل الى ايقاف هجماتها الجوية فى عمق الأراضى المصرية .

ـ أن فقد القوات الاسرائيلية لتفوقها الجوى فوق القناة سوف يضعها فى موقف دفاعى صعب على الضفة الشرقية للقناة ضد قصف المدفعية المصرية أو حشد قوات مصرية قادرة على العبور وتدمير خطوطها الدفاعية .

ولقد كانت هذه النتائج ودلالاتها الخطيرة الحافز الرئيسى لاسراع الولايات المتحدة الى تقديم مشروع جديد للسلام وهو ماعرف باسم « المبادرة الأمريكية » ولعل فى تصريح أبا ايبان التالى ابلغ دليل على مدى تأثير نجاح الدفاع الجوى المصرى فى انشاء حائط الصواريخ فى اجبار اسرائيل على السعى وراء وقف اطلاق النار وقبول المبادرة الأمريكية ، فلقد قال أبا ايبان يوم ٢٩ اغسطس ١٩٧٠ فى اجتماع لحزب العمل « لولا وقف اطلاق النار لواجهت اسرائيل تصاعدا فى الحرب مع مصر ، وبالتالى زيادة القتلى والجرحى ، وتآكل التفوق الجوى الاسرائيلى .. ان رفض وقف اطلاق النار يضع اسرائيل فى موقف اخطر واشد صعوبة مما هو الآن » .

وفى الساعات القليلة التى سبقت تنفيذ وقف اطلاق النار مع الدقيقة الاولى من يوم ٨ اغسطس ١٩٧٠ تمكنت قوات الدفاع الجوى فيما يشبه المعجزة من استكمال حائط الصواريخ على الصورة النهائية له والتى كان مخططا الوصول اليها فى شهور عديدة . فقد تم ابلاغ قيادة قوات الدفاع الجوى صباح يوم ٧ اغسطس ١٩٧٠ أن مصر قررت قبول وقف اطلاق النار وسيسرى الاتفاق اعتبارا من الدقيقة الأولى من يوم ٨ اغسطس ١٩٧٠ وينص الاتفاق على تسكين الموقف فى جبهة القتال ، اى انه لن يسمح بعد تنفيذ الاتفاق بادخال مزيد من قواعد الصواريخ او تقريب حائط الصواريخ الى قناة السويس .. وتحول الصراع فى الساعات القليلة الباقية على بدء سريان الاتفاق من صراع مع السلاح الجوى الاسرائيلى الى صراع مع الزمن .. وتمكن رجال الدفاع الجوى خلال هذه الساعات القليلة من تحقيق ما يشبه المعجزة ، فلقد امكنهم مضاعفة عدد القواعد المكونة لحائط الصواريخ وامتد الحائط ليغطى بظله كل منطقة القناة ويفرض سيطرته تماما عليها .

وهكذا تنتهى حرب الاستنزاف لتبدأ مرحلة اخرى خطيرة وحاسمة مرحلة الاعداد لمعركة العبور والتحرير .



وبدأت اسرائيل تتباكى ، ووقف وزير خارجيتها يعلن فى الكنيست ((انه بدأ الطيران الاسرائيلى يتآكل))

القسم الثالث

حرب اكتوبر ٧٣

---

* **الفصل السادس :**

  الدفاع الجوى يحطم اسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى .

* **الفصل السابع :**

  الدروس المستفادة ونظرة الى المستقبل .

ان القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة علي اى مقياس عسكرى ، لقد اعطت نفسها بالكامل لواجبها واستوعبت العصر كلـــه تدريبا وسلاحا بل وعلما واقتدارا .

انور الســادات

الفصل السادس

الدفاع الجوي المصري يحطم أسطورة التفوق الجوي الإسرائيلي

- القتـــال .
- تنظيم التعاون .
- الاعـــداد .
- التخطيط .

الـــدفاع الجــوى المصرى يحطم
أسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى

هناك جنــود مجهــولون وراء كل عمل ناجح ، وعمليــة التخطيط والاعداد ومتابعة اعمال القتال هذه التى تتعرض لها فى هذا الفصل مثلها مثل اى عمل آخر ناجح وراءها هؤلاء الجنود المجهولون . ويكتب هذا الفصل احد هؤلاء الجنود الذين عاشوا الاحداث بكل دقائقها وتفاصيلها .

* الاعــداد

اذا قدر لأحد من خارج القوات المسلحة المصرية أن يزور مبنــى قيادة قوات الدفاع الجوى فى الأيام التى تلت وقف اطلاق النار فى ٨ اغسطس ١٩٧٠ ، لخرج وهو على يقين تام ان مصر على وشك أن تخرق وقف اطلاق النار ولابد أنها تعد لعمل عسكرى عاجل ، فهذه الاجتماعات المكثفة المستمرة للقادة وهيئات الأركان والحركــة المحمومــة لضبــاط العمليات وهم يحملون خرائطهم ولوحاتهم وهذا التحفز الذى تنطق بــه العيون ، لابد وأن وراءه شــيئا خطيرا .. ولــم يــكن صحيحا أن مصر كانت تنوى خرق وقف اطلاق النار ولا كانت تعد لعمل عسكرى عاجــل .. ولكن هناك بالفعل شىء خطير بدأ الاعداد له .

ففى صباح يوم ٩ اغسطس ١٩٧٠ وهو اليوم التالى لوقف اطلاق النار دعا قائد قوات الدفاع الجوى لاجتماع فى مكتبه يحضره قادة التشكيلات وهيئة الأركان فى قيادة قوات الدفاع الجوى .. وراح البعض منهم يؤكد للاخرين وهم فى انتظار بدء الاجتماع أن هذا الاجتماع لابد وان يكون بغرض توجيه الشكر وتبادل التهنئة على الانتصارات التى حققتها قوات الدفاع الجوى قبل وقف اطلاق النار .

ودخل القائد الى قاعة الاجتماع ورغم الابتسامة التى صاحبت توجيه التحية الى القادة وكبار معاونيه الا أن قسمات وجهه كانت تنطق بالجدية والاحساس بالمسئولية ، وشعر الجميع على الفور أن هذا الاجتماع ليس لمجرد توجيه الشكر وتبادل التهانى ، واختفت الابتسامة من على الوجوه وتحفز الجميع فى ترقب .. وبدا القائد فى الحديث فشرح أبعاد الموقف سياسيا وعسكريا على ضوء وقف اطلاق النار ، وانطلاقا من هذا اخذ يحدد فى وضوح دور ومهام قوات الدفاع الجوى فى هذه المرحلة مؤكدا على ضرورة اليقظة والاستعداد القتالى العالى فى مواجهة عدو غادر .. ثم قام القائد بتحليل اعمال قتال العدو واعمال قتال قواته خلال حرب الاستنزاف واوضح الدروس المستفادة ونقاط القوة والضعف وحدد الاجراءات الواجب اتخاذها لتطبيق هذه الدروس وتلافى نقاط الضعف وكعادته دائما حدد لكل اجراء المسئول عن تنفيذه والتوقيت الذى ينبغى أن يصله فيه تقرير بتمام التنفيذ .. الى هنا ولم يكن هناك شىء جديد أو مستغرب .. وظن الجميع أن الاجتماع قد انتهى وتهيأ البعض منهم للانصراف .. ولكن القائد استمر فى حديثه ولكن فى شكل مخالف ... فقد اخذ يدير حوارا مع القادة والمعاونين ، وكان موضوع الحوار مفاجئا ومثيرا لكل الاهتمام ، فقد طلب القائد من احد معاونيه ان يتقدم الى الخريطة التى تتوسط القاعة ويشرح طبوغرافية سيناء ومدى تأثيرها

على أعمال قتال الدفاع الجوى ، وطلب القائد من احد قادة التشكيلات أن يتحدث عن معدلات التحرك لكتائب الصواريخ والوقت اللازم لتجهيز المعدات للاشتباك . واخذ القائد بعد ذلك يوجه اسئلة عديدة اثارت دهشة المجتمعين فقد كانوا على يقين انه يعرف الاجابة عنها تماما .. ولكن مع استمرار الأسئلة والحوار بدأت الصورة تتبلور وتحدد القصد من هذا الحوار . ان هذا الحوار كان ايذانا ببدء مرحلة شاقة وفى غاية الأهمية .. مرحلة الاعداد لمعركة العبور والتحرير .

ولم يشأ القائد هذه المرة أن يعلن مهام محددة لكل من معاونيه ولكنه طلب من كل منهم اعداد دراسة تفصيلية كل فيما يخصه عن المشاكل والصعوبات المنتظر أن تلاقيها قوات الدفاع الجوى فى معركة العبور والتحرير واعداد المقترحات لحلها .. وكان الأمر المثير للدهشة فى هذه المرة ان القائد بدلا من أن يحدد التوقيت للتنفيذ سأل مرءوسيه عن الوقت الذى يحتاجونه لاعداد هذه الدراسة .. وكان الأكثر غرابة انه استجاب لطلبهم لاعداد الدراسات المطلوبة خلال ثلاثة شهور .

وكانت الكلمات التى اختتم بها القائد الاجتماع معبرة اصدق التعبير عن عظم المسئولية التى شاء القدر أن يحملها هؤلاء الرجال وهم يغادرون قاعة الاجتماع .. فقد اختتم حديثه قائلا :

« ان التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب ان نعترف بها ، ولكن ينبغى ايضا ان لا ننسى اننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خلال حرب الاستنزاف بل واستطعنا تحقيق بعض الانتصارات عليه ، وفى معركتنا المقبلة لن يقتصر دورنا على مجرد تحدى هذا التفوق ، بل سيكون علينا ان نهزم هذا التفوق ونحطم الاسطورة » .

وانطلق قادة التشكيلات وضباط هيئة الأركان كل يعد الدراسة المطلوبة منه .

وجاء موعد الاجتماع المقرر واخد القائد يستمع الى تقارير القادة المرءوسين وضباط هيئة الأركان ، وكانت الصورة قاتمة فالمشاكل والمصاعب لاحصر لها وبعضها خطير ومعقد أشد التعقيد .. وبالرغم من ذلك استمر القائد يستمع باهتمام بالغ الى التقارير ويناقش القادة وضباط هيئة الأركان فى أدق التفاصيل ولم يبد عليه ولو للحظة أن اليأس قد تطرق الى نفسه . وعندما انتهى من الاستماع الى التقارير اخذ القائد يقلب فى اوراقه الى أن وجد ما يريد واخذ يقرأ .

« ان لكل مشكلة مهما عظمت حلا ، وينبغى وضع السيناريو كاملا لكل موقف حتى نكون على بينة بمراحله وتطوراته المنتظرة واحتمالاته المختلفة ونقدر لكل قدم موطئها » ..

لقد كانت هذه نص كلمات القائد الأعلى والزعيم انور السادات سجلها قائد قوات الدفاع الجوى فى أول اجتماع للرئيس بقيادة القوات المسلحة بعد توليه مسئولية قيادة المسيرة .

واختار القائد نخبة من ضباط الأركان ليشكلوا ما سماه لجنة اعداد القوات وطلب منهم استلام نسخة من الدراسات التى تم الاستماع اليها ومناقشتها خلال الاجتماع ووضع خطة اعداد القوات لمركة العبور والتحرير شاملة لكل التفاصيل مع تحديد المسئول عن تنفيذ كل اجراء وتوقيت تمام التنفيذ ، واختتم القائد الاجتماع قائلا :

« اتمنى لكم جميعا التوفيق واكرر على مسامعكم قول قائدنا الأعلى : ان لكل مشكلة مهما عظمت حلا ، ولا تنسوا فى اى لحظةان المعدة والفرد شيئان متلازمان يجب أن يكون كلاهما معدا اعدادا كاملا للمعركة » .

وواصل ضباط الأركان العمل ليل نهار لانهاء خطة الاعداد ولم يكن الأمر سهلا فقد تطلب منهم اجراء العديد من الاتصالات والدراسات مع مختلف اجهزة وهيئات القيادة العامة للقوات المسلحة والتنسيق معها للاستفادة من امكانياتها فى ايجاد الحلول للمشاكل



قررنا أن نطوع المعدات التى فى أيدينا ..

والمصاعب وحتى تجيء الخطة واقعية تماما وقابلة للتنفيذ فى التوقيت المحـــدد .

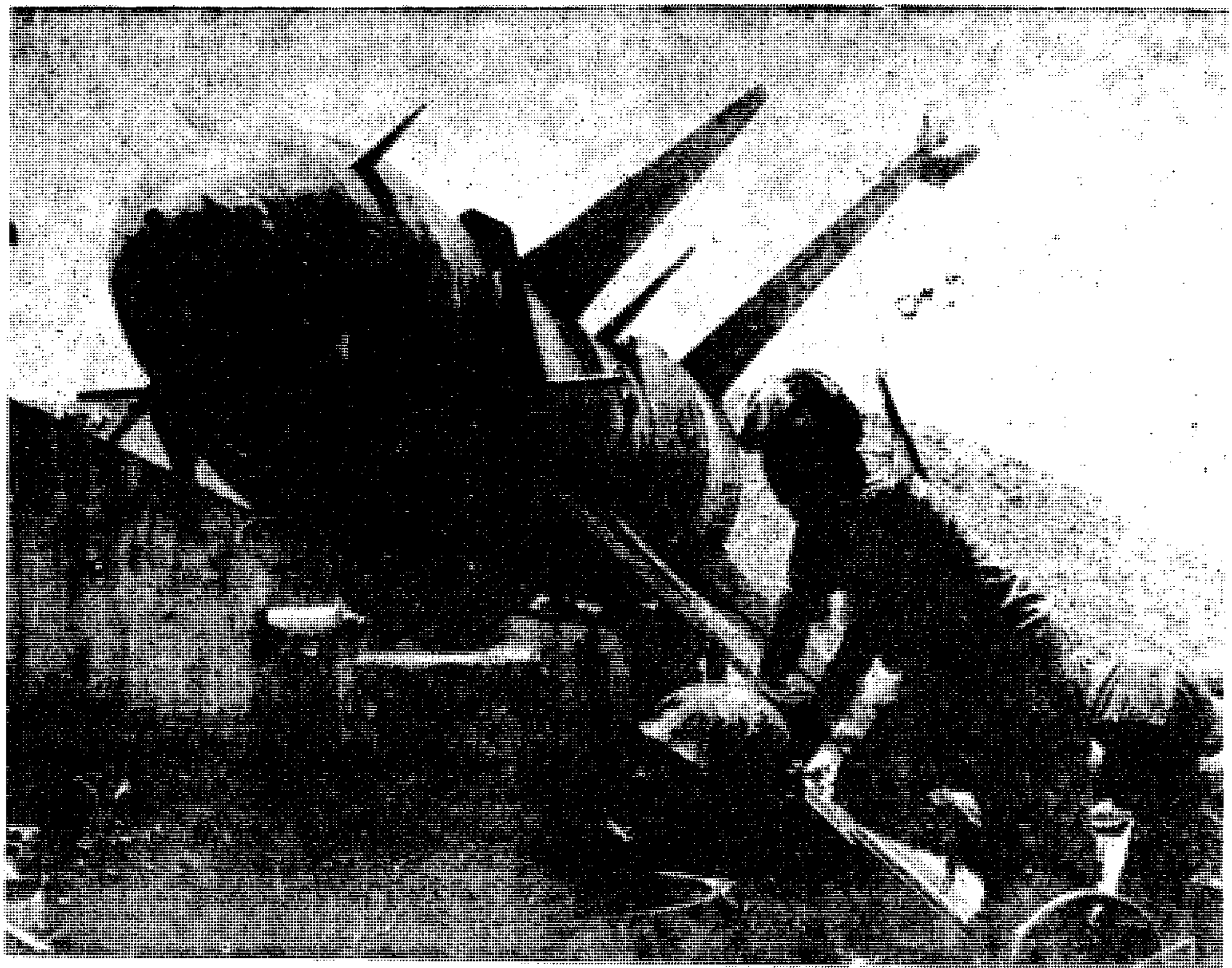
ولا يسمح المجال هنا لاستعراض مفصل لخطة اعداد قوات الدفاع الجـوى لمعركة العبور والتحرير فقد شملت عشرات الموضـوعات التى تغطى مختلف النشاطات بما يضمن اعداد القادة والقيادات والمقاتلـــين وتهيئة المعدات والأسلحة ووسائل الاتصالات ومسرح العمليات ليؤدى كل دوره فى المعركة المنتظرة بأكبر قـــدر من الكفاءة والاتقـان مـــع تكوين الاحتياطيات والتكديسات اللازمة من الذخائر والمعدات وقطـع الغيـــار لضمـــان الاستمرار فى المعركة تحت جميع الظروف .. لذلك سنقتصر هنا على القاء الضوء على احدى المشاكل التى عـــالجتها خطة اعداد قوات الدفاع الجوى كمثال حتى يتصور القارىء ماذا كان يعنى وضع وتنفيذ خطة لاعداد قوات الدفاع الجوى لمعركة العبور ..

كانت المشكلة أن معظم قواعـــد الصـــواريخ مـــن تلك الأنواع المصممة أصلا للدفاع عن أهداف حيوية ثابتة وبالتالى فهى تستغرق وقتاطويلا لاعدادها للتحرك أو لتجهيزها للاشتباك كما أنها تتميز بضخامة الحجم وبالتالى فنسبة تعرضها للاصابة أكبر ، الأمر الـــذى يتطلب ضرورة اقامتها فى مواقع محصنة لتوفير أكبر قدر من الوقاية لها ... وكـــل ذلك يتعارض تمـــاما مع احتياجـــات المعركة المقبلة فالهـــدف المطلوب الدفاع الجوى عنه فى هذه الحالة هو الحشود الرئيسية للقوات البرية وهى بطبيعة المهمة الهجومية المكلفة بها هدف متحرك يتـــطلب حماية متحركة .. تلك كانت المشكلة وهى فى الواقع مشكلة خطـــيرة فهى تعنى ببساطة انه مادام الدفاع الجوى غير قادر على متابعـــة تقدم القوات البرية أثناء العمليات الهجومية فستصبح هذه القوات دون غطاء جوى ، الأمر الذى يتركها فريسة سهلة لطيران العدو المتفوق .

اذا ما هو الحل ؟ . وانبرى أولئك الذين يفضلون الحلول الجاهزة

يقترحون رفع الأمر للقيادة السياسية لتدبر لنا أسلحة دفاع جوى هجومية بما يتفق مع احتياجات المعركة المقبلة .. ولكن لم يكن ذلك هو الحل فلم تكن القيادة السياسية غافلة عن احتياجات المعركة ، وجهودها لتوفير هذه المطالب مستمرة .. ولكن هل نقف مكتوفى الأيدى فى انتظار هذه الأسلحة التى ربما لن تجىء ابدا ! .. وقررنا التركيز على الحل الصعب ، قررنا ان نطوع المعدات التى فى أيدينا لتتمشى مع متطلبات عملياتنا المقبلة ، وسلكنا اتجاهات متعددة لتحقيق هذا الهدف .. وكان تركيزنا الرئيسي على الفرد سيد المعدة وتمكنا فعلا فى نهاية الأمر عن طريق التدريب الشاق المتواصل أن نفجر الطاقات الهائلة الكامنة فى الفرد المصرى العريق وأن نصل بالأزمنة اللازمة لتجهيز المعدات للتحرك أو للاشتباك الى أقل من ربع الأزمنة المحددة بواسطة صانع السلاح فى تعليمات الاستخدام . ولم يقتصر الأمر على على ذلك فلقد تمكن مهندسوا الدفاع الجوى من ادخال بعض التعديلات الفنية على المعدات لتسهيل عملية التجهيز للتحرك والاشتباك وتقليل الوقت اللازم لذلك . وعكفت مجموعة أخرى من الأخصائيين تبحث عن أسلوب يوفر تحقيق أكبر قدر من الوقاية لهذه المعدات ذات نسبة التعرض الكبيرة عند اشتراكها فى عمليات هجومية طابعها السرعة واستمرار الانتقالات .. وانتهت الدراسة الى ضرورة تشكيل مجموعات خاصة من وحدات الانشاءات ترافق قواعد الصواريخ فى انتقالاتها وزودت هذه المجموعات بمعدات هندسية خاصة وامكن عن طريق التجهيز الجيد لهذه المجموعات والتدريب المتواصل أن تنتهى من تجهيز موقع قاعدة الصواريخ فى ساعات قليلة وهو الأمر الذى جعل اشتراك هذه القواعد فى حرب أكتوبر المجيد ممكنا وجعل القوات الجوية الاسرائيلية فى حيرة وارتباك شديدين وهى تفاجا كل يوم بمزيد من المواقع الجديدة وكأنها نبات شيطانى لا تعرف من أين يجىء ومن الذى يضع بذرته فى الأرض .

كلف المقاتل الواحد بأكثر من وظيفة لتقليل عدد الأفراد الى الحد الأدنى .



ولم تكن تلك فقط هى أبعاد المشكلة فهذه القواعد بحكم تصميمها يتم السيطرة عليها وادارة نيرانها من مراكز قيادة ثابتة ولم يكن ذلك ممكنا فى العمليات الهجومية .. وكان الحل هو اعداد مراكز قيـــادة متحركـــة .

وعلى الفور قام الاخصائيون بوضع رســومات مبتكرة لتجهيز هذه المراكز محليا وتم تصنيع عينة منها حققت نجاحا أكيــدا عنــد تجربتها وصدرت التعليمات بتعميمها .. ولاننوى أن نثقل على القارىء بمزيــد من التفصيلات الفنية الأخرى التى استلزمها حل هذه المشكلة ونختصر ونقول أن الأمر تطلب جهودا شاقة لايجاد حلول مبتكرة فيمـا يختص بالامداد بالصواريخ وقطع الغيار والاحتياجات الادارية والمعيشية والمياه والوقود وانشاء قواعد أمامية للاصلاح لضمان سرعة استعادة الموقف بل ان الأمر تطلب اعادة النظـر فى تكويـن الطاقم القتالـى لقـاعـدة الصواريخ وكلف المقاتل الواحد باكثر من وظيفة لتقليل عــدد الأفراد الى الحد الأدنى توفيرا لكل مقومات خفة الحركة .

وهكذا وعلى نفس المنوال عالجت خطة الاعداد جميع المشاكـل وحددت الاجراءات وصدرت التعليمات بالبدء فى تنفيذ الخطـة تحت اسم خطة رفع الكفاءة القتالية ضمانا للسرية ، ودارت العجلة وكـانت تقارير النجاح التى تعرض دوريا على القائد وزياراته المتكررة للتشكيلات والوحدات تؤكد انتظام العمل واضطراد التقدم واقتراب الأمـل .

لقد واجهنا الهزيمة كواقع .. ولكن كان هناك شيء دائما فى اعماقنا يرفضها .. كان عنصرا غير محسوب ومقياسا لم يكن احـــد يدركه صادرا من داخلنا ، ومن اعماقنا كانشيئا من حضارتنا من اصالة سبعة آلاف عام . مــن ارضنا ارض الجدود التى نرتبط بها منذ بــدء الخليقة . هــذا العنصر غير المحسوب هــو الحضارة والاصــالة والتــاريخ هــو الالهــام والتصــور الذى كان وراء القرار .

انور الســادات

التخطيط ..

مع نهاية ١٩٧٢ وبعد ما استنفدت مصر كل الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحريك القضية من حالة اللاحرب واللاسلم ، اتخذ الرئيس أنور السادات قراره العظيم وأصدر توجيهاته الى القائد العام للقوات المسلحة بالتخطيط لعملية هجومية استراتيجية مشتركة بالتعاون مع القوات المسلحة السورية ، وحدد القائد الأعلى للقوات المسلحة الاطار والأسلوب والهدف .

وتشكل على الفور فى قيادة قوات الدفاع الجوى جهاز خاص للتخطيط لهذه العمليات تحت اشراف قائد القوات ... وشرع هذا الجهاز يعمل فى تنسيق كامل مع باقى أجهزة التخطيط فى القيادة العامة للقوات المسلحة .

وينبغى ألا نغفل هنا الاشارة الى الدور الرائع والخلاق الذى قامت به هيئة عمليات القوات المسلحة وكان على رأسها فى ذلك الوقت اللواء محمد عبدالغنى الجمسى ، فقد كانت جهوده وأفكاره عونا صادقا لقوات الدفاع الجوى كما ساعدت الصداقة الوطيدة والفهم المتبادل بينه وبين زميله وخريج نفس الدفعة فى الكلية الحربية وكلية أركان حرب اللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى على تخطى

جميع الصعاب والمشاكل وتنسيق الجهود لتحقيق تعاون وثيق بين قوات الدفاع الجوى وافرع وأسلحة القوات المسلحة الأخرى .

وكان على جهاز التخطيط فى قيادة قوات الدفاع الجوى أن يجرى كافة التقديرات والدراسات التى تكفل للخطة النجاح المنشود وصولا الى الهدف المحدد .. وهو حرمان العدو من تفوقه الجوى وتحييد قواته الجوية فى مسرح القتال .

وكان هناك عدد من الحقائق لابد من وضعها فى الاعتبار كأساس للخطة لتلافى أى ثغرات محتملة بين التخطيط والتنفيذ .. وكانت هذه الحقائق هى :

اولا : أن قوات الدفاع الجوى ستواجه القوات الجوية الاسرائيلية ـ وهى قوة الردع الرئيسية لدى العدو ـ وهى فى كامل قوتها حيث لم يكن فى مقدور القوات الجوية المصرية الوصول بالأنواع التى تمتلكها من الطائرات الى القواعد الجوية الرئيسية فى اسرائيل وانزال خسائر جسيمة فى طائراته ومعداته .

وفى مواجهة هذه الحقيقة أمكن لجهاز التخطيط بقيادة قوات الدفاع الجوى ايجاد الحل المناسب بالتنسيق الوثيق مع هيئة التخطيط فى القيادة العامة للقوات المسلحة .. واستقرار الرأى على أن مواجهة هذه الحقيقة يتطلب امرين :

ـ الأمر الأول : هو الاصرار على احراز المفاجأة وحرمان العدو من التمتع بمزايا توجيه الضربة الأولى ، وكان على الدفاع الجوى القيام بدور رئيسى فى هذا المجال ، وقد يتساءل البعض وكيف يمكن أن يكون لقوات الدفاع الجوى دور فى تحقيق المفاجأة على العدو .. ونبادر بالاجابة .. بأنه لم يكن مجرد دور بل كان أحد العوامل الرئيسية التى حققت للقوات المسلحة المصرية المفاجأة الكاملة على العدو



طائرة الاستطلاع الالكترونية من طراز « استراتو كروز » حطام على أرض سيناء .

التى اذهلت جميع الدوائر العسكريةفى العالم . فقد كان على الدفـــاع الجوى ان يحرم العدو من المعلومات التى يحصل عليها بواسطة طلعات الاستطلاع الجوى التى تطير شرقى القناة لالتقاط الصور عن أوضـــاع وتحركات قواتنا على الضفة الغربية .. لذلك قررنا أن نمد سيطرتنا على المجال الجوى من غربى القناة الى شرقها . ولم يكن امامنا لوضع هذا القرار موضع التنفيذ الا اسلوب القوة . وفعلا أمكن عن طـريق عدة عمليات خاصة ، بالرغم من استمرار سريان وقف اطلاق النار ، أن تكبد العدو خسائر متلاحقة فى طائراته التى تقوم بالاســتطلاع مــن الجانب الشرقى للقناة ، وربما لم نهتم نحن أو العدو بالاعلان عن هذه الاشتباكات ، ولكن كانت خسائر العدو فى احداها جسيمة ومؤلمة فلم يقدر على الكتمان واضطر المتحدث العسكرى الاسرائيلى أن يعلن فــى حزن واسى عن اسقاط الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات المصريـــة يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧١ لطائرات استطلاع الكترونى اسرائيلية من طـراز استراتوكروزر فى سيناء ومقتل جميع من فيها وكانوا نخبة من العلمـــاء والمتخصصين فى الحرب الالكترونية .

لقد كانت هذه العملية مثالا رائعا لاحكام التخطيط ودقة التنفيذ لقد كان هدفنا ان نوقع بالعدو خسارة فادحة بأن نتخير لعمليتنا هدفا دسما يوجع اسرائيل ، فاستقر رأينا على اصطياد طائرة اســــتطلاع الكترونى باعتبارها اغلى ما تملك اسرائيل من طائرات ، وكان لابد من الخداع لاستدراج الفريسة . . ولذلك وضعنا سلسلة متصلة من الاجراءات والتحركات ، وجاءت ردود الفعل من جانب العدو تجاه هذه الاجراءات تؤكد يوما بعد يوم أن العدو قد ابتلع الطعم ، والفريسة توشك أن تقــع فى الفخ ، وقدر القائد وقتها أن التوقيت المرجح للتنفيذ الفعلى سيكون يوم الجمعة ١٧ سبتمبر الموافق ٢٧ رجب وعلى الفور أصدر أوامــره باطلاق اسم « ٢٧ رجب » على العملية تفاؤلا بالذكرى العطرة لــذلك اليوم الكريم . وصدق حدس القائد ، ففوجئت الأمة الاسلامية كلهـــا

وهى تحتفل بهذا اليوم العظيم بالاذاعة الاسرائيلية تزف اليها نبأ اسقاط الدفاع الجوى المصرى لأغلى طائرة تملكها القوات الجوية الاسرائيلية ومقتل جميع من فيها . ولم تكن تلك نهاية العملية ، .. فأثناء التخطيط وضعنا « سيناريو » كاملا لكل التفاصيل بما فى ذلك ردود الفعل المحتملة من جانب العدو وكيفية مواجهتها . وتوقعنا وقتها أن يلجأ العدو كعادته فى عمليات ردود الفعل الى محاولة مفاجأتنا باستخدام أحدث الأسلحة التى حصلت عليها القوات الجوية الاسرائيلية وكان هذا السلاح فى ذلك الوقت هو الصواريخ المضادة للرادار « شرايك » الذى تحدثنا عن خصائصه فى الفصل الثانى . ولذلك تضمن التخطيط للعملية اعداد قواتنا لصد هجوم جوى للعدو يستخدم فيه الصواريخ الشرايك ضد محطات رادار الانذار ومحطات توجيه الصواريخ ، وتم تدريب القوات على أسلوب خاص ابتكرناه للاشتباك مع الطائرات المعادية المزودة بالصواريخ « شرايك » وفى صباح اليوم التالى لاسقاط الطائرة «الاستراتوكروزر» صح ما توقعناه واعددنا أنفسنا لمواجهته فقد هاجمت الطائرات الاسرائيلية مواقع الصواريخ والرادار بمنطقة قناة السويس واطلقت عشرة صواريخ شرايك من خارج مناطق تدمير الصواريخ المضادة للطائرات طاشت جميعها بفضل الأسلوب الذى اتبعته قوات الدفاع الجوى المصرية . لقد كانت هذه التجربة اختبارا عمليا للأسلوب الذى وضعناه نظريا فأكد صحته وصلاحيته للتطبيق مما كان له اكبر الأثر فى النجاح الذى احرزناه خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .
وهكذا وعن طريق اللغة الوحيدة التى تفهمها اسرائيل لغة القوة .. أمكن لقوات الدفاع الجوى أن تمد سيطرتها على المجال الجوى الى شرقى القناة وتحرم بذلك اسرائيل من أحسن مصادرها للحصول على المعلومات .. وربما يكون المحللون والمعلقون قد اختلفوا بعد الحرب فى تحليل الأسباب والوسائل التى أدت الى نجاح القوات المسلحة العربية فى احراز المفاجأة على اسرائيل وبالتالى حرمتها من ميزة توجيه

الضربة الوقائية ، فبعض المعلقين يعزو ذلك الى فشل المخابرات الاسرائيلية ـ بفضل الاجراءات التى اتخذها العرب ـ فى جمع الحقائق واستخلاص النتائج ، والبعض يرى أن الحقائق كانت متيسرة ولكن القيادة الاسرائيلية اخفقت فى استخلاص النوايا . ونحن لا ننوى الدخول فى نقاش مع هؤلاء أو أولئك فقد كانت خطة الخداع التى تم تنفيذها سياسيا واعلاميا وعسكريا على جميع المستويات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية تهدف الى كلا الأمرين ، فبقدر ما كانت تسعى الى حرمان اسرائيل من المعلومات والحقائق كانت تهدف الى ايقاع القيادة الاسرائيلية فى متاهة من الحيرة والتخبط تعجزها عن استخلاص النوايا اما ما يهمنا ابرازه فى هذا المجال أن هذا الفريق أو ذاك لم يستطع ان ينكر الدور الذى لعبه الدفاع الجوى المصرى سواء فى حرمان اسرائيل من أحسن مصادرها للمعلومات ، أو ردعها عن توجيه الضربة الوقائية . فبالنسبة لدور الدفاع الجوى المصرى فى حرمان اسرائيل من الاستطلاع الجوى تقول « الصنداى تايمز » البريطانية فى عددها الصادر يوم ١٩ ديسمبر ١٩٧٣ تحت عنوان « كيف هاجمت مصر اسرائيل وهى غافلة .. ؟ » ما نصه الآتى :

« ومن الوجهة الفنية كانت المخابرات رائعة ، فقد كان لدى اسرائيل ـ لكى تعرف بالاستعدادات المصرية ـ اجهزة الاستماع الخاصة فى سيناء والمزودة برجال امريكيين ، واذا كانت دفاعات سام قد عطلت قدرة اسرائيل على القيام بعمليات جوية استطلاعية لالتقاط الصور ، فان القمر الصناعى الأمريكى (ساموس) الذى أطلقته الولايات المتحدة الأمريكية يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٧٣ لاستطلاع ما يجرى فى الشرق الأوسط قد سد هذه الثغرة » . وقد اعترف «كيسنجر» بذلك بقوله: «ان أحدا لم يخطىء بشأن الحقائق » ولكنه قال أيضا : « ان من اليسير أن تعرف الحقائق أكثر من النوايا » .

أما عن دور الدفاع الجوى المصرى فى ردع اسرائيل عن توجيه الضربة الوقائية فيقول « بول ابردمان » فى مقال نشر فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٦ مانصه : « كان شائعا عن حرب ٧٣ أن اسرائيل خسرت الحرب لأنها فشلت فى التنبؤ بنية العرب وفوجئت بالقوات العربية وهى تهاجم ولكن الحقيقة أنه لم يكن بامكانهم عمل شىء اذ لم تكن لديهم الاستعدادات الكافية للقيام بضربة وقائية ، ولقد اعترف موسى ديان بذلك وقتئذ بقوله : « ان اسرائيل غير مستعدة تكنولوجيا لأن تقوم بضربة جوية ضد سلاح الدفاع الجوى المنتشر حول جميع المطارات المصرية والسورية » .

ـ أما الأمر الثانى : الذى تم الاتفاق عليه فهو أن يتم الهجوم المصرى على طول مواجهة القناة بل ومده الى الجنوب من قناة السويس حتى مسافة ١٣٠ كم على امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس ودفعه فى عمق سيناء بالقوات الخاصة حتى مسافة ٥٠ كم شرقا على أن يبدأ ذلك كله فى وقت واحد بما يحقق :

* ارغام العدو على توزيع ضرباته الجوية الموجهة لقواتنا بما يضعف من تأثيرها .

* خداع العدو عن الاتجاه الرئيسى لهجوم قواتنا ، وبالتالى حرمانه من تركيز جهود قواته الجوية ضد قواتنا فى هذا الاتجاه أو ذاك .

ثانيا : ان مسرح العمليات بالنسبة لقوات الدفاع الجوى لايقتصر فقط على جبهة قناة السويس وسيناء ، ولكنه يمتد ليشمل كل رقعة الأرض المصرية .. فالمراكز السياسية والاقتصادية الحيوية فى عمق الدولة والقواعدالجوية والبحرية مهما بعدت ستظل دائما أهدافالهجمات العدو الجوية وسيحاول النيل منها للتأثير على المجهود الحربى فى جبهة القتال الرئيسية ولارباك القيادة والتأثير على الروح المعنوية للشعب .

وقد يتساءل القارىء وما هى المشكلة التى تثيرها هذه الحقيقة ؟ الم تكن الأهداف الحيوية والقواعد الجوية والبحرية مدافعا عنها فعلا بوسائل الدفاع الجوى ؟ .. والقارىء محق فى تساؤله دون شك ، ولكن ، ألاتحتاج القوات البرية المكلفة بالعمليات الهجومية الى دعم اضافى من وسائل الدفاع الجوى علاوة على ما تمتلكه من هذه الوسائل ؟ ..
لاشك أنها تحتاج الى الكثير ، فشتان بين تأثير الهجمات الجوية على القوات التى تتحصن فى الخنادق والملاجىء تحت الأرض ، وتأثيرها على القوات التى تتقدم على الطرق وعبر الأراضى فى عمليات هجومية .

وليس ذلك كل شيء ، فطبقا للتطور المنتظر للمعركة ستظهر حتما أهداف حيوية جديدة ينبغى توفير الدفاع الجوى عنها .. فالكبارى والمعابر على القناة والتى سيتم انشاؤها بمجرد بدء القتال ستكون ولاشك احد الأهداف الرئيسية لهجمات العدو الجوى . ومناطق التكديس والتشوين الأمامية التى سيتم اقامتها خلف القوات المتقدمة ، لابد من حمايتها أيضا . ثم المطارات والقواعد الجوية المتقدمة فى منطقة قناة السويس والتى اضطرت القوات المسلحة لعدم استخدامها بعد يونيو ١٩٦٧ لوقوعها فى مرمى المدفعية الاسرائيلية ، سيتم بالتأكيد اعادة تشغيلها واستخدامها بمجرد تقدم القوات المصرية على الضفة الشرقية وازاحة مواقع المدفعية المعادية الى الوراء وبالتالى يلزم عندئذ أن نوفر لها الجو المناسب .

وهكذا كانت مسئولية جهاز التخطيط فى قيادة قوات الدفاع الجوى ــ أمام هذا كله ــ أن يعيد تخصيص الوسائل والامكانيات بما يحقق التوازن بين ما تفرضه العمليات الهجومية من متطلبات جديدة وبين حتمية استمرار توفير وسائل الدفاع الجوى عن الأهداف الحيوية والقواعد الجوية والبحرية فى عمق الدولة .. ولقد احتاجت هذه المهمة الجسيمة الى عديد من الحسابات والتقديرات والى تقييم سليم لتخصيص الاحتياجات والوسائل حسب الأسبقيات التى تمليها متطلبات كل مرحلة .

ثالثا : ان نجـاح العدو فى تدمير الكبارى والمعـابر التى سـتقام على القناة يعنى فشل العملية كلها . ولما كان من المؤكد أن العدو سيعمل على تركيز معظم مجهوده الجوى فى السـاعـات الأولى مـن المعركة لمنع اقامة هذه الكبارى وتدمير مـا يمكـن اقامتـه منها ، فقـد كانت هـذه الحقيقة تمثل أمـام جهاز التخطيط فى قيادة قوات الـدفاع الجـوى نوعا من التحدى الذى أصبحت قوات الدفاع الجـوى تسعد بممارسته تجاه القوات الجوية الاسرائيلية منـذ بداية حرب الاستنزاف عام ١٩٦٨ .. وفعلا وبروح التحدى والاصرار على النصر تم التخطيط للدفاع الجوى عن الكبارى والمعـابر على القناة .

ووضعت لذلك خطة منفصلة خاصة اشتملت على كافة التفصيلات لضمان دقة وكفاءة التنفيذ . واطمأنت قيادة قوات الدفاع الجـوى أن قبولها للتحدى له ما يبرره .. فقد كان هناك مشهد غريب يسـود الاجتماعات التى كانت تعقد بالقيادة العامة للقوات المسـلحة ويحضرها قادة الأفرع الرئيسية وقادة الجيوش الميدانية لاتمام التنسيق واحكام التخطيط .. فبينما كان معظم القادة يبدى قلقا عميقا على سـلامـة الكبارى والمعابر على القناة باعتبار أنها ستكون الهـدف الرئيسى لهجمات القوات الجوية الاسرائيلية ، كان قائد قوات الدفاع الجـوى وهو الأحرى بالقلق مطمئنا غاية الاطمئنان واثقا تماما فى قدرة قواتـه على حماية الكبارى والمعابر .. وقد كان .

رابعا : أن الحـرب الحديثة تستنزف حجما هـائلا مـن المعدات والأسلحة والذخائر وقطع الغيار مما يستلزم ضرورة الاحتفاظ باحتياط كاف لمواجهة جميع الاحتمالات والاحتفاظ بالقدرة على الاستمرار فـى القتـال .

ولقد كان قائد قوات الدفاع الجوى واضحا كل الوضـوح وهو يصدر توجيهاته الى جهاز التخطيط فى هذا الشأن ، اذ قال :

« لاتتصوروا اطلاقا ان الامور ستسـير باستمرار وفـق هـوانا . . فلـن تكـون الصـورة وردية دائمـا ، بـل

ستأتى مواقف ولحظات وتتلون الصورة بألوان قاتمة ..فمن المؤكد أننا سنتكبد بعض الخسائر ،وقد تكون الخسائر طفيفة فى بعض الاتجاهات وقد تكون ثقيلة فى اتجاهات أخـرى ، وواجبنا أن نكون على استعداد لاستعاضة هذه الخسائر واستعادة الموقف فى أسرع وقت وبأعلى درجة من الكفاءة ».

وعكف جهاز التخطيط يعمـل لايجاد الوســائل والاجراءات فى مواجهة هذه الحقيقة وتمت دراسة كافة الاحتمالات وقدرت الخسائر المتوقعة لكل مرحلة ولكل اتجـاه من الاتجاهات على حدة ، وتبلور الحل فى عدد من الاجـراءات .. وهكذا تضمنت الخطـة تشكيـل احتياط مناسب من وحدات دفاع جوى كاملة ، ولقد روعى فى تشكيل هـذا الاحتياط أن يكون مستكملا تماما وموزعا بصـورة تمكن من دفعـه بالسرعة المطلوبة وبالحجم المناسب الى المناطق المنتظر ان تتكبد فيها قوات الدفاع الجوى خسـائر . كما شرع على الفور فى تكديس احتياطيات كافية من الذخائر وقطع الغيار بل وبعض المكونات الرئيسية الكـاملة لقـواعـد الصـــواريخ ومحطات الرادار والتى اثبتت خبرة حـرب الاستنزاف انها أكثر تعرضا للتدمير والاصــابة ، كما حـددت الخطة على ضوء الدراسة التفصيلية لمحاور الامداد وأعمال العدو المنتظـرة وحجم الاستهلاك والخسائر المتوقعة مناطق التشوين وحجم التكديسات لـكل منطقة . كما تضمنت الخطة اجراء كان له فضـل كبير على نجـاح قوات الدفاع الجوى فى اعمال استعادة الموقـف فى الوقت المنـاسب فلقد تقرر فتح قواعد اصلاح متقدمة قريبا من جبهة القتـال لتجنب سحب المعدات العاطلة أو المصابة الى قواعد الاصـلاح الرئيسية فـى العمق ، ولم يكن هذا الاجراء أمرا سهلا ، فقد احتاج لجهود مضـنية لتهيئة الأماكن المناسبة وتجهيزها بالمعدات اللازمة وتوفير الأعــداد الكافية من المهندسين والفنيين لتشغيل هذه القواعـد المتقدمة مـع المحافظة على استمرار قواعد الاصـلاح الرئيسية فى العمل .. ولقـد اثمرت هذه الجهود النتيجة المرجوة وحقق هذا الاجراء الغرض المطلوب

وتوفرت لقوات الدفاع الجوى ساعات ثمينة كبدت فيهـا العـدو خسائر جسيمة كانت ستضيع علينا لو اقتصر اعتمادنا فى هـذا المجال على قواعد الاصـلاح الرئيسية فى العمق .

وينبغى هنا قبل أن ننهى حديثنا عن الحقائق التى كانت أمـام جهاز التخطيط فى قيادة قوات الدفاع الجوى ليضع على أساسها الخطة أن ننوه ان نتائج القتال الفعلى أثبتت ان معظم التقديرات والحسـابات كانت سليمة وصحيحة . واذا كان هناك مأخذ على جهاز التخطيط فى هذا المجال ، فهـو المغالاة فى حجم الخسائر المنتظرة اذ كانت الخسـائر الفعلية أقل بكثير من التقديرات .. وهم الآن فى قيادة قوات الدفاع الجوى فخورين بهذا الخطأ ويقولون :

اننا نفخر بذلك لسببين : السبب الأول أن المقاتلين فى مـواقع القتال قد اثبتوا بالنتائج الفعلية أنهم أقدر على العدو من المخططين فى قيادة القوات ، وهـذا فى الحقيقة مدعاة للفخر لكل رجـال الـدفاع الجوى وأولهم المخططون انفسهم .

أما السبب الثانى الذى نفخر من أجله بهذا الخطأ فهو السرعة الفائقـة والـكفاءة العالية التى تمت بهـا أعمال استعـادة المـوقف ، حيث تم التخطيط للتـكديسات والتشوينـات وامـكانيات الاصلاح على أساس تقديراتنا للخسائر المتوقعة وجـاءت الخسائر الفعلية أقـل من ذلك بكثير مما جعل أعمال الاصـلاح واسـتعادة الموقف تجـرى بيسر وسهولة وتدفق وبكفاءة عالية .

وهـكذا وبالأسـلوب العلمى وبالاعتماد على الحقائق وتحليلهـا والتقديرات وحساباتها تم وضع خطة الدفاع الجوى لمعركـة العبور والتحرير . ولاشك أن الأيام العصيبة والمريرة والمجيدة أيضا التـى مـرت بهـا قوات الدفـاع الجـوى خـلال حـرب الاسـتنزاف لم تضع هبـاء ، فلقـد حققت هذه الأيام الحـافلة رصـيدا هائـلا من الخبرة والتمرس ، ولقـد شهدت أعمال القتـال فى أكتوبر ١٩٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سري للغاية

وزارة الحربية
قيادة قوات الدفاع الجوى
مكتب القائد

مرفقات ( )
ج (٧) بريد حربى

القيد : ١٠٠/ ٤٠ / ٧٣
التاريخ ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٣

توجيه

١ - من المحتمل نتيجة لتدمير طائرة سطع للعدو اليوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣ ان يقوم العدو بالآتى : -

أ - سطع بطائرة أمريكية .

ب - سطع بطائرة موجهة :
ريان فايربى أو مكار

جـ - عمل كمين لطائراتنا فى منطقة السخنة أو شمال المنصورة لأصطياد احدى طائراتنا مقابل طائرة سطع التى دمرت له .

٢ - تكون القوات جاهزة لهذه الاحتمالات مع الاهتمام بمراجعة صلاحية المعدات لتنفيذ المهام لمقابلة أى من هذه الاحتمالات .

التوقيع : ( )
لـواء : محمد على فهمى
نائب وزير الحربية وقائد قوات الدفاع الجوى

العديد من المواقف والأحداث التى كانت تطبيقا عمليا لهـذه الخبرة . ونكتفى فى هذا المجال بضرب مثل واحد يتجلى فيه التقدير السليم للموقف والحساب الدقيق للاحتمالات .. فعلى الصفحة المقابلة يرى القارىء صورة احدى الوثائق التى أصدرتها قيادة قوات الدفاع الجوى عقب تدمير احدى طائرات سطع المعـادية يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣ ، حددت فيها الاحتمالات المختلفة التى قدرتها القيادة لرد الفعل من جانب العدو ، ومنها احتمال لجوئه ـ تجنبا لمزيد من الخسائر ـ الى تنفيذ طلعـات سطع الجوى بطائرات موجهة بدون طيار ، وثبت صحة هذا التوقع وتم اسقاط طائرة « ريان فايربى » سعت ١١٢٠ يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣ شرق بحيرة التمسـاح مرض حطامها والمظلة الخاصة بها مـع مثيلاتها فى معرض الغنائم .

وبنفس الدقة والاحكام التى وضعت بها خطة العمليات تم وضع خطة الخداع ، ولم نكن ـ ونحن نضع هذه الخطة ـ غافلين عـن أن مبـادىء وأساليب الخداع معروفة لدى العدو كما هى معروفة لدينا ، فلم نفترض الغفلة أو الغباء فى العدو ، بل على العكس افترضنا فيـه الذكاء والدهاء وركزنا اهتمامنا على دقة التنفيذ وحسن اختيار التوقيت .. ولا ننوى أن نكشف هنا عن الأساليب والطرق التى اتبعت فى هـذا المجال ، فالصراع بيننا وبين اسرائيل مستمر ، ومعظم الأسـاليب التى اتبعناها مازالت قابلة للتطبيق من جديد فى أى قتال مقبل فهى بتعبير رجال المخابرات (لم تحرق) بعد ومازال العدو لا يعرف عنها شـيئا .. وعموما فلم يكن نجاحنا فى مجال الخداع غريبا فالانسان المصرى الذى ابتكر عملية الاخفاء والتمويه بانشاء الاهرامات الكاذبة بجانب الأهرامات الحقيقية منذ ٥٠٠٠ سنة مضت ونجحت فى تأديـة الفـرض الـذى انشـئت من أجـله لـكفيل بأن ينجح أحفاده فى القـرن العشرين فى نفس المجـال ..

تنظيم التعاون :

وبانتهاء وضع الخطة بدات عملية اخرى على جانب كبير من الاهمية .. وهى تنظيم التعاون مع القوات الجوية ، وفى الواقع فان تنظيم التعاون لم يقتصر فقط على القوات الجوية بل تم ايضا مع القوات البحرية والجيوش الميدانية واجهزة القيادة العامة للقوات المسلحة ولكننا أردنا أن نلقى الضوء على تنظيم التعاون بين الدفاع الجوى والقوات الجوية على وجه الخصوص نظرا للارتباط الوثيق بينهما ولأن هذا الموضوع يمثل مشكلة حقيقية تواجه كل الجيوش فى العالم اجمع .

كانت توجيهات القائد لجهاز التخطيط انه لا بد وان يحقق تنظيم التعاون مع القوات الجوية الأهداف الآتية :

- تنسيق اعمال قتال قوات الدفاع الجوى ومقاتلات القوات الجوية بما يحقق الاستخدام الأمثل لقدرات كل منهما بغرض تحقيق المهمة المشتركة وهى تدمير القوات الجوية المعادية المهاجمة ومنعها من توجيه الضربات للأهداف وللقوات المدافع عنها .

- توفير الانذار الجوى فى الوقت المناسب لجميع القواعد الجوية والمطارات وتأمين اعمال توجيه المقاتلات والرادار لاعتراض الطائرات المعادية .

- تأمين طائراتنا من نيران وسائل دفاعنا الجوى اثناء تنفيذ مهامها لاعتراض الطائرات المعادية أو اثناء قيامها بطلعات القصف الجوى والاستطلاع فى منطقة الجبهة طوال مراحل العمليات .

ولم تكن هناك صعوبة تذكر فى تحقيق الهدفين الأول والثانى اما الهدف الثالث فكان المشكلة الحقيقية ، وكنا نعى جيدا الصعوبة التى نواجهها . وكان امامنا احد حلين أولهما سهل وميسور والآخر

صعب وملىء بالعقبات والمخاطر . اما الحل السهل فكان يتلخص فى تحديد مناطق معينة تعمل فيها المقاتلات خارج نطاقات نيران وسائل الدفاع الجوى الأرضية ، وفيما يختص بالقاذفات وطائرات الاستطلاع فيمكن أن تحل المشكلة بالنسبة لها بتقييد نيران وسائل الدفاع الجوى فى الجبهة ومنعها من الاشتباك خلال الفترات التى تقوم فيها القاذفات وطائرات الاستطلاع بمهامها . ورفضنا الطريق السهل فهو يتعارض مع مبدأ الحشد وتركيز جميع الامكانيات فى التوقيت والاتجاه المناسب لانجاز المهمة وهو علاوة على ذلك يحرم الجبهة تماما من الدفاع الجوى خلال فترات تنفيذ طلعات القصف والاستطلاع الجوى مما يشكل خطورة بالغة على سلامة القوات والأهداف الحيوية ويترك المجال الجوى مفتوحا أمام العدو فى هذه الفترات ليصنع ما يشاء . وهكذا لم يكن امامنا الا ان نأخذ بالطريق الصعب لنضمن الاشتراك الفعال للمقاتلات جنبا الى جنب مع وسائل الدفاع الجوى الأرضية لصد وتدمير الهجمات الجوية المعادية ولكى لا تحرم الجبهة من دفاعها الجوى فى اى لحظة من اللحظات . وكان ذلك يعنى الكثير ، فليس هناك اكثر ايلاما للمقاتل من ان يقتل بيديه رفيق السلاح ولو عن طريق الخطأ غير المقصود . وابتكرنا أسلوبا فريدا يحقق للقوات الجوية حرية العمل ويكفل لها السلامة من نيران عناصر دفاعنا الجوى ولا يفرض فى نفس الوقت أى قيود تحد من حرية هذه العناصر فى الاشتباك بأى اهداف جوية معادية وكان لزاما علينا ان نوفر لهذا الأسلوب كل ضمانات النجاح فأدخلنا تعديلات فنية على المعدات لتحسين آدائها فيما يختص بالتمييز الألكترونى الذى يمكننا من تمييز الهدف الجوى الصديق والمعادى على شاشات الرادار، كما أعدنا تنظيم أسلوب السيطرة على الوحدات ووحدنا مراكز القيادة لوحدات القوات الجوية والدفاع الجوى ثم شرعنا على الفور فى تدريب متواصل على الأسلوب المبتكر وكان الأمر فى بدايته صعبا وشاقا والنتائج سيئة ، ولكن ومع استمرار

التدريب والاصرار على النجاح اصبح الصعب سهلا وعندئذ فقط اصبحت خطة تنظيم التعاون بين قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية جاهزة للتنفيذ .

ولقد حققت هذه الخطة نتائج باهرة رغم الحجم الكبير من الطائرات ووسائل الدفاع الجوى التى اشتركت جنبا الى جنب فى القتال . وليس معنى ذلك أنه لم تكن هناك بعض الحوادث الفردية التى اصابت فيها نيراننا طائرة مصرية . نحن لانخفى ذلك وهو أمر مقبول تماما ولكننا نفخر بأن نسبة هذه الحوادث كانت تافهة جدا وأقل بكثير من النسبة المسموح بها فى مخاطر الحرب بل وكانت أقل من النسبة المسموح بها للحوادث اثناء التدريب .

ولقد كان نجاحنا فى هذا المجال المعقد دليلا آخر على الكفاءة العالية للرجال والمعدات والتخطيط ، الأمر الذى ادهش العالم أجمع حيث ما زالت جميع جيوش العالم تبحث عن حل لهذه المشكلة .. وها هو أدميرال الأسطول « سير بيتر هل نورتون » رئيس اللجنة العسكرية لحلف الأطلنطى يعلن فى تقريره أمام اجتماع لوزراء حرب دول الحلف المنعقد فى بروكسل فى نهاية عام ١٩٧٤ أن وسائل الدفاع الجوى لقوات حلف الأطلنطى فى أوروبا أسقطت مايزيد عن ٦٠ طائرة صديقة من طائرات الحلف بطريق الخطأ خلال مناورة تدريب تم اجراؤها فى الأسبوع الأول من نوفمبر ١٩٧٤ .

وبانتهاء تنظيم التعاون تمت مرحلة التخطيط لتبدأ مرحلة اعداد تعليمات وأوامر القتال للتشكيلات ، وطبقا لتوجيهات قائد القوات الى جهاز التخطيط فى هذا الشأن تم اعداد هذه الوثائق بأقصى درجة من الدقة والوضوح وبحيث تقتصر كل وثيقة على ما يخص القائد الموجهة اليه وبما يضمن له تنفيذ مهامه بأعلى درجة من الكفاءة حفاظا على سرية التخطيط العام للعملية .

Nato 'shot down' its own planes during exercise

More than 60 Nato aircraft were "shot down" by their own side in a recent naval exercise because they were using different systems of communication. Admiral of the Fleet Sir Peter Hill-Norton, chairman of the Nato military committee, told the story to defence ministers in Brussels yesterday to illustrate the chronic need for standardisation of equipment and armaments among Nato nations. Page 6

رئيس اللجنة العسكرية لحلف الأطلنطى يعلن عن اسقاط « حلف الناتو »
لطائراته أثناء مشروع تدريبى .



وهكذا أصبحت قوات الدفاع الجوى على أهبة الاستعداد لتنفيذ مهامها فى المعركة المرتقبة ..

كما تم اجراء حساب دقيق للوقت اللازم لكل عمل من الأعمال التى ستقوم بها التشكيلات وعلى أساس هذه الحسابات تم تحديد التوقيت الذى تسلم فيه هذه الوثائق الى كل قادة التشكيلات الذين كان عليهم بدورهم أن يقوموا بنفس العملية ليحددوا التوقيت الذى يسلموا فيه تعليماتهم الى القادة المرؤوسين وهكذا .. ويستطيع القارىء أن يتصور مدى صعوبة هذه العملية بالدقة البالغة التى ينبغى أن تتم بها ، فقد كنا نهدف الا يصل للمنفذ الا القدر اللازم من المعلومات والبيانات ليؤدى مهمته وأن يتم ذلك فى آخر وقت يسمح له بالاستعداد تماما فى ساعت «س» وهى لحظة بدء الهجوم .

وبانتهاء مرحلة التخطيط تركزت الجهود على متابعة تنفيذ خطة اعداد القوات وادخال التعديلات اللازمة عليها بما يتمشى مع متطلبات الخطة الفعلية ، كما تم اعادة النظر فى خطط التدريب بما يكفل تدريب كل وحدة على مهامها الفعلية فى خطة العمليات ، وشكلت لجان متعددة من قيادة القوات للمرور على التشكيلات والوحدات للمراجعة وتقديم المعاونة وحل المشاكل على الطبيعة . وهكذا أصبحت قوات الدفاع الجوى على اهبة الاستعداد لتنفيذ مهامها فى المعركة المرتقبة .. معركة العبور والتحرير .

القتـــال

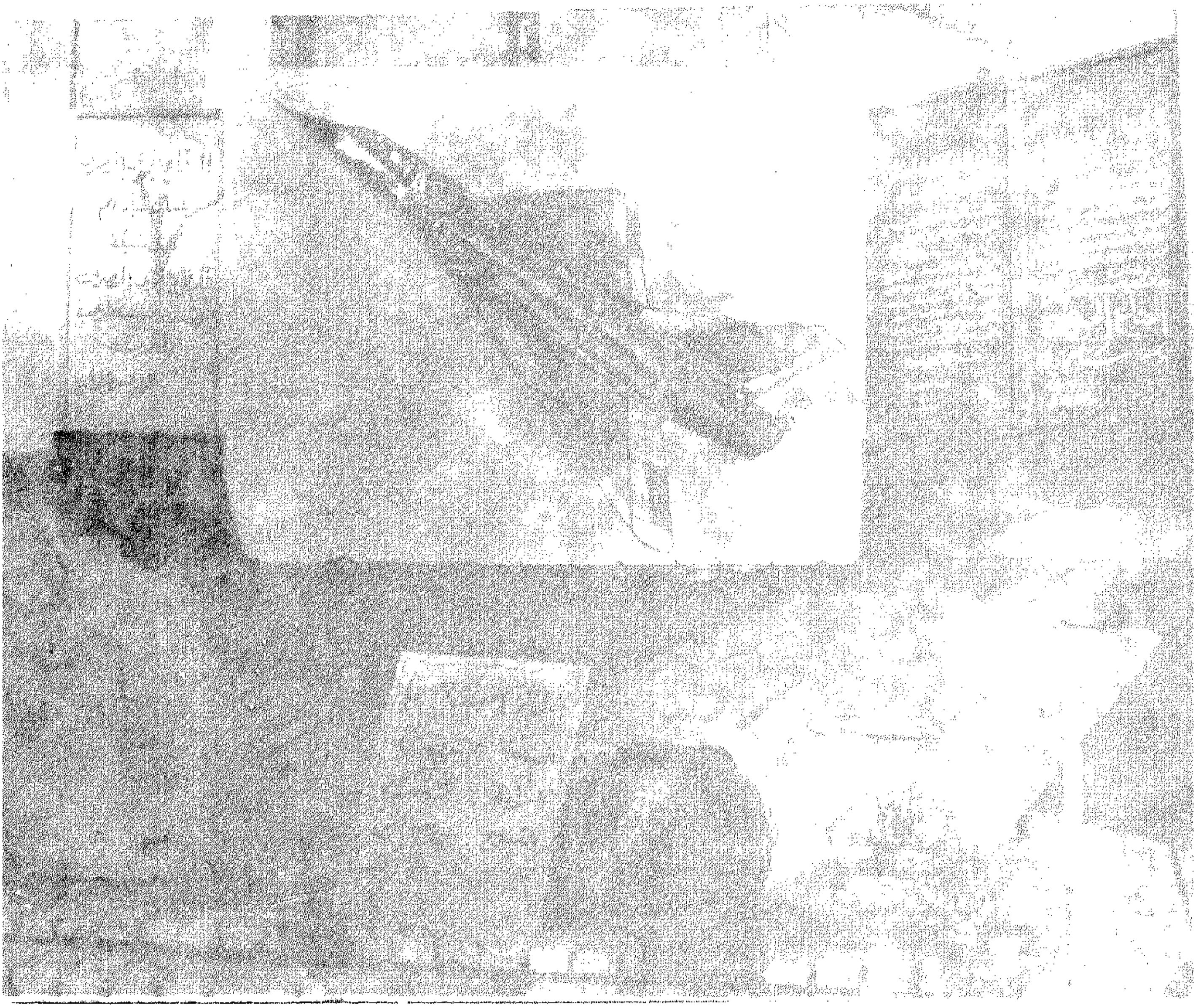
.. وتحطمت الاســـطورة

ـ .. وجاء يوم السبت العاشر من رمضان . وبدا وكأن كل شيء يسير سيره المعتـاد كأى يوم آخر ، القوات فى أقصى حـالات الاستعداد كما هو الحال لعدة أيام خلت منذ أن بدأت القوات المسلحة تنفيـذ المناورة الكبرى التىتعودت اجراءها فى هذا الوقت من كل عام .

ولم يكن الأمر مختلفا فى مركز العمليات الرئيسى لقوات الـدفاع الجوى .. الجميع فى أماكنهم يتوسطهم قائد القوات : يزاولون مهامهـم ويتابعون عمل التشكيلات طبقا للمراحل المختلفة للمناورة .

ولم يكن الأمر خافيا تماما على ضباط جهاز التخطيط فهم بحـكم المـامهم بالخطوات والاجراءات يحسون باقتراب اللحظة الحـاسمـة ولكنهم لايعلمون على وجه اليقين ، فى أى يوم وفى اى سـاعة .. وعبثا يحاولون أن يستشفوا من وجه قائدهمماينم عن قلق أو توتر ليـكون ذلك دليلهم أن هذا هو اليوم الموعود .. ولكن خـابت آمالهم ، فالقائد يجلس فى مكانه مطمئنا تماما . الابتسامة لا تفارق وجهه يتبادل الحديث مع رئيس الأركان فى جميع الأمور دون أن يتطرق حديثهم من قريب أو بعيد للموضوع الوحيد الذى يشغل أذهان الجميع .

وفجأة وفى الساعة الواحدة والنصفتماما امسك القائد بالميكروفون ونطق بكلمة واحدة .. «جبار »وكانت هذه الكلمة تعنى الكثير ، فقـد تم فى اليـوم السابق تسليم مظروف مغـلق الى كـل مـن قـادة



وهكذا تحطمت منذ الســاعات الأولى للمعركة أســطورة التفوق الجوى الاسرائيلى ..

التشكيلات مكتوب عليه « يفتح بواسطة القادة شخصيا بمجرد صدور الكلمة الكودية (جبار) » .

ونفذ قادة التشكيلات التعليمات وفتحت المظاريف وكانت المحتويات عبارة عن خريطة للقطاع الذى يعمل فيه التشكيل موضحا عليها البيانات والتوقيعات الخاصة بالضربة الجوية المركزة الأولى المنوط بقواتنا الجوية القيام بها ، وكان ذلك اعلانا لا رجعة فيه بأن آلة الحرب على وشك الدوران ولا يمكن لأى قوة أن تحول دون ذلك .. وكان ذلك يعنى الكثير لدى المقاتلين الذين طال شوقهم لهذه اللحظة ليثبتوا للعالم اجمع اصالة العسكرية المصرية ..

.. وشرع قادة تشكيلات الدفاع الجوى فى اتخاذ الاجراءات التى طالما تدربوا عليها لتأمين هذا الحشد الهائل من القاذفات المصرية من نيران وسائل دفاعنا الجوى .

وفى تمام الساعة الثانية وخمس دقائق عبرت الطائرات قناة السويس متجهة الى اهدافها المحددة ..وفى نفس الوقت هدرت الآلاف من مدافع الميدان على امتداد الجبهة تقصف حممها على خط بارليف ونقطه الحصينة .

وفى تمام الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدات الموجات الأولى من جنود المشاة تقتحم قناة السويس على امتدادها من بورسعيد شمالا الى السويس جنوبا بينما كانت طلائع القاذفات المصرية تعبر القناة فى طريق عودتها الى قواعدها بعد ضربة جوية ناجحة تماما أفقدت العدو توازنه وشلت تفكيره فى اللحظات الأولى الحرجة من المعركة.

.. وتلاحقت الثوانى والدقائق مفعمة بالجلال والروعة ورفرفت أعلام مصر فوق سيناء الحبيبة وتهاوت حصون خط بارليف واحدا بعد الآخر وهدير المقاتلين المصريين ، الله اكبر ، الله أكبر ، يعلو فوق كل الأصوات .

وبقدر ما كان المشهد صاخبا والمعركة محتدمة على الضفة الشرقية للقناة ، كان هناك صمت وسكون مثير يخيمان على مواقع الدفاع الجوى .. كان الجميع على كل المستويات وفى كافة المواقع فى حالة تحفز غريب ، فقد اتسعت حدقات العيون وتركزت الأبصار على شاشات الرادار واحكم القادة وعمال اللاسلكى وضع السماعات وأرهفت الآذان .

ويؤكد المقاتلون الأبطال ــ الذين واجهوا خلال أيام القتال الموت آلاف المرات ــ أن هذه اللحظات .. لحظات الانتظار والترقب ، كانت أقسى اللحظات ، لقد كانت كل خشيتهم أن يتمكن الطيران الاسرائيلى من معاقلهم فى بداية اللقاء ويحرز المبادأة .. لقد اقسموا لقائدهم أن يحققوا توجيهاته لهم :

« عليكم ان تهزموا العدو فى اول لقاء . ان ذلك سيكون بمثابة اختبار ثقة لكم وله .. وينبغى عليكم ان تجتازوه وان يفشل فيه عدوكم » .

.. ولم يطل الانتظار ، وجاء العدو الجوى فى التوقيت الذى قدرته الخطة تماما ، فاعتبارا من الساعة الثانية وأربعين دقيقة أخذت البلاغات تتوالى من محطات الرادار ونقاط الرصد على امتداد الجبهة تنذر باقتراب الطائرات المعادية .. وانتقل صخب المعركة وضجيجها الى مواقع الدفاع الجوى وتمزق الصمت ، وانطلقت الصواريخ المضادة للطائرات تزار وهى تشق طريقها المحسوب فى السماء . وخرجت الطلقات متتابعة من مواسير المدافع المضادة للطائرات وكأنها سياط متصلة الحلقات من الحديد والنار .. وتهاوت الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء واحدة بعد الأخرى . وهكذا تحطمت منذ الساعات الأولى للمعركة أسطورة التفوق الجوى الاسرائيلى .

وهكذا استمرت الحال خلال الساعات التالية .. العدو يدفع





وتهاوت الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء

بطائراته هنا وهناك على طول الجبهة يبحث عن القوات التى نجحت فى اقتحام القناة يحاول ضربها واعاقتها عن التقدم على الضفة الشرقية للقناة ويسعى جاهدا لتدمير جسورها ومعابرها . وتبوء جميع محاولاته بالفشل وتتكسر الهجمات وتتساقط طائراته وطياروه ..

.. وفى حوالى الساعة الخامسة مساء أى بعد ساعتين من الهجمات الجوية المتواصلة التقطت اجهزتنا الخاصة اشارة لاسلكية مفتوحة تحمل اوامر صادرة من الجنرال « بنيامين بيليد » قائد القوات الجوية الاسرائيلية الى طياريه بتحاشى الاقتراب من القناة لمسافة تقل عن ١٥ كيلو مترا شرقا ..

وهدات المعركة فى السماء الى حين .. واستمرت قواتنا الباسلة تتدفق الى الضفة الشرقية تكسب مع كل دقيقة أرضا جديدة وتكبد العدو فى كل لحظة خسائر ثقيلة .

..ونعود الآن الى مركز العمليات الرئيسى لقوات الدفاع الجوى لنلقى نظرة من قريب على ماكان يدور فى هذه الساعات الحاسمة .

قد يدهش القارىء اذا قلنا له انه مع كل هذه النتائج الباهرة ومع توالى البلاغات عن تدمير الطائرات المعادية ، كانت الوجوه فى مركز العمليات الرئيسى للدفاع الجوى صارمة ومتجهمة ولاتبدو عليها اية مظاهر للفرح او الزهو ، وكان القائد يجلس فى هدوء غريب يراقب باهتمام بالغ الخرائط امامه التى توقع عليها أولا بأول كافة المعلومات عن اعمال العدو ونشاط قتال التشكيلات والوحدات .. وكان من حين لآخر يصدر توجيهاته الى القادة المرؤوسين وهيئة الأركان ويعود مرة ثانية ايستغرق تماما فى مراقبة الموقف ..

.. وما أن توقفت الهجمات الجوية المعادية فى حوالى الساعة الخامسة مساء كما أوضحنا ، حتى طلب القائد كبار معاونيه وأخذ يحلل

نتائج أعمال القتال خلال الساعات السابقة ويبلور الحقائق ويستخلص النتائج .. فيقول :

« لاشك ان احرازنا المفاجاة واتساع القتال على مواجهة واسعة قد اربك العدو ، فالطلعات الجوية مرتجلة وغير مخططة جيداً ومجهود العدو الجوى مبعثر ولا يتصف بالحسم والتركيز كما أن مستوى الطيارين اقل بكثير مما واجهناه اثناء حرب الاستنزاف . ولاشك ان العدو اضطر تحت وقع المفاجاة الى استغلال مالديه من الطيارين فى القواعد والمطارات ولم يسعفه الوقت بعد لتجميع طياريه الأكفاء ذوى الخبرة .. »

واسترسل القائد قائلا :

« لاأعتقد ان العدو سيستمر فى الالتزام بالأوامر التى اصدرها قائد الطيران الاسرائيلى بعدم الاقتراب من القناة الى مسافة لاتقل عن ١٥ كم فان ذلك يعنى هزيمة كاملة محققة للقوات الاسرائيلية ، والمرجح انه لجأ لذلك كاجراء مؤقت لحين ان يسترد توازنه ويعيد النظر فى خططه ويستكمل حشد الطيارين الممتازين ، لذلك اتوقع أن يستأنف الطيران الاسرائيلى غاراته فى اى لحظة من الآن لعرقلة استمرار تدفق القوات الى الضفة الشرقية للقناة » .

وتمهل القائد ليتاكد ان ضباط العمليات يسجلون ملاحظاته وعاد يقول :

« ينبغى ان نتوقع حجما أكبر ومستوى افضل من العدو الجوى اعتبارا من اول ضوء باكر ومن المؤكد أن العدو سيحاول ان يوسع مجال عملياته الجوية فى ثانى أيام القتال عما كانت عليه اليوم ، ولذلك فمن المرجح ان يهاجم العدو الجوى القواعد الجوية والمطارات وقد يحاول النيل من بعض الأهداف الحيوية فى العمق » .

واستطرد القائد قائلا :

« اما عن قواتنا فانا فخور بما حققته حتى الآن ، ولكن ينبغى ان نحد من استهلاك الصواريخ والذخائر فقد لاحظت أن معظم الاشتباكات قد تمت بالحد الأقصى من الصواريخ المسموح باطلاقه فى كل اشتباك

بينما النتائج توضح ان معظم الاصابات تمت بالصاروخ الأول .. وأما القدر الدافع وراء ذلك وهو الاصرار على النجاح ولكن ينبغى أن نلفت نظر المقاتلين الى ذلك فالمعركة طويلة ويجب أن ننهيها بمثل ما بدأناها » .

وأختتم القائد تحليله باصدار عدة أوامر وتعليمات تحدد الاجراءات والأعمال الواجب انجازها استعدادا لليوم الثانى من القتال ولقد رأينا أن نستعرض فى ايجاز أهم النقاط التى أكد القائد عليها فى تعليماته لأنها فى الواقع ترسم بوضوح ملامح الصورة وتكشف عن الكيفية التى كانت تدار بها معركة الدفاع الجوى فى هذه الأيام الخالدة ..

.. وهكذا كان على هيئة الأركان وقادة التشكيلات تنفيذ الأعمال الرئيسية التالية خلال الساعات المتبقية وقبل بدء أعمال قتال العدو الجوى فى ثانى يوم للقتال :

ــ تركيز الجهود لاستكمال خطة الدفاع الجوى عن الكبارى والمعابر على القناة ومتابعة انتقال العناصر المقرر احتلالها لمواقعها على الضفة الشرقية لاحكام حماية الكبارى والمعابر من جميع الاتجاهات .

ــ متابعة تنفيذ انتقالات قواعد الصواريخ المضادة للطائرات لتطوير عمق الوقاية شرقا بما يتمشى مع ما أحرزته القوات البرية من تقدم على الضفة الشرقية للقناة .

ــ متابعة تنفيذ اجراءات الخداع والتمويه المحددة فى الخطة لتضليل العدو عن حقيقة الأوضاع التى ستكون عليها شبكة الدفاع الجوى فى الجبهة .

ــ متابعة أعمال الاصلاح والاستعواض للذخائر والصواريخ بحيث تكون جميع المواقع على أهبة الاستعداد لملاقاة الهجمة الجوية المنتظرة للعدو .

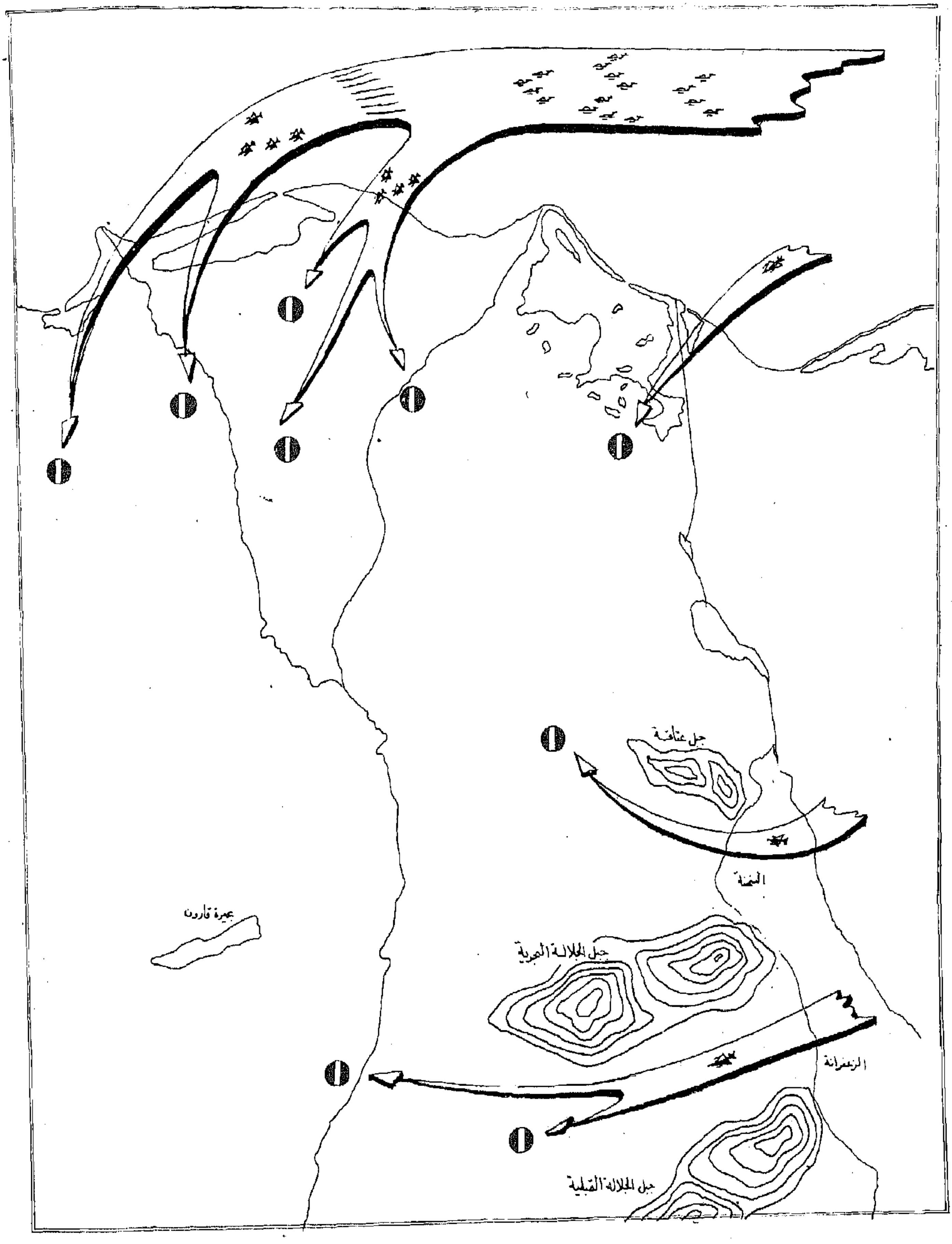
ـ اصدار تعليمات الى التشكيلات تتضمن تحليلا لأعمال القتال التى تمت حتى الآن وأوجه القوة والضعف واعمال العدو الجوى المنتظرة خلال ساعات الليل واعتبارا من اول ضوء باكر والاجراءات الواجب اتخاذها .

وبعد ما اطمأن القائد الى ان العجلة تدور فى الاتجاه الصحيح ، استدعى رئيس مجموعة التحليل وناقشه فيما سجله وأخذ يملى عليه الخلاصة :

((ان الانتصارات التى حققها الدفاع الجوى فى الساعات الأولى من المعركة لاتستمد قيمتها من اعداد الطائرات الاسرائيلية التى تم اسقاطها ، فهذه الأعداد بالرغم من ضخامتها لاتؤثر بشكل حاسم على قوة الطيران الاسرائيلى ، وانما تستمد هذه الانتصارات قيمتها البالغة من المغزى الذى يكمن وراءها لما لها من تاثير معنوى خطير على كلا الجانبين المتحاربين فهى بالنسبة للقوات المسلحة المصرية دليل اكيد على ان ماحدث فى يونيو ١٩٦٧ لن يتكرر .. فلم تعد سماء المعركة مجالا حرا للطيران الاسرائيلى يعربد فيه كما يريد . وبذلك تسنح الفرصة للجنود المشاة المصريين والدبابات المصرية ـ ربما لأول مرة ـ ان تواجه الجنود والدبابات الاسرائيلية وهى محرومة من مساندة قواتها الجوية . اما بالنسبة لنا نحن رجال الدفاع الجوى فتعنى هذه الانتصارات مزيدا من الثقة بالنفس كنا فى حاجة اليها فى الساعات الأولى من المعركة . واما بالنسبة للجانب الاسرائيلى فهى تعنى اهتزاز ثقة المقاتل على الأرض والطيار فى الجو وكل الشعب فى داخل اسرائيل نفسها)) .

وصح ما توقعناه ـ فرغم حلول الظلام استانف العدو توجيه هجماته الجوية الطائشة ضد القوات التى نجحت فى اقتحام القناة وضد الكبارى والمعابر ، وكان واضحا أن العدو لم يجد بدا من قبول المجازفة بمزيد من الخسائر فى الطائرات والطيارين بدلا من ان يترك القوات المصرية تقيم المزيد من الكبارى والمعابر على القناة وتعزز نجاحها فى الضفة الشرقية . وباءت جميع محاولاته فى هذا الصدد بالفشل الذريع واستمرت الاشتباكات الناجحة لشبكة الدفاع الجوى

الهجمة الجوية الفاشلة على المطارات المصرية صباح ٧ أكتوبر ١٩٧٣



المصرى تؤكد فى كل لحظة ان الاسطورة قد تحطمت الى الأبـــد .. وهكذا اقيمت الكبارى على القناة وتدفقت المدرعات المصرية بالمئـــات الى سيناء واخذت القوات المصرية مع كل ساعة من الـزمن ترسخ أقدامها وتعزز مواقعها على الضفة الشرقية للقناة .

التاريخ لا يكرر نفسه :

.. وجاء اليوم الثانى للمعركة ، وتصور القادة الاسرائيليون ان بمقدورهم أن يكرروا مافعلوه فى يونيو ١٩٦٧ ، ألم يتحـــدث العالـــم سنوات طويلة عن تلك الضربة الجـــوية القاصمة التى وجهها الطـيران الاسرائيلى للطائرات المصرية صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟ .. اذا فمـــا عليهم الا ان يقوموا بضربة مماثلة وتنتهى الحرب التى تجرا العرب وكانوا البادئين بتفجيرها ..

.. وهكذا اعماهم الصلف والغرور عن رؤية الواقـــع والاحساس بالتغيير . بل وربما ظنوا انه مادامت الطائرات والقواعد الجوية التـــى قرروا مهاجمتها تقع بعيدة عن شبكة الصـــواريخ المصرية المشهورة فى جبهة القناة فان النتائج ستكون مضـمونة والنجاح مؤكد ..

وفى الصباح الباكر لليوم السابع من اكتوبر ١٩٧٣ وعـــلى نمط ما تم فى يونيو ١٩٦٧ اقتربت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاعـــــات منخفضة فوق البحر المتوسط لتباغت مطارات شمال الدلتـــا ووسطها وفوق البحر الأحمر لتنقض على المطارات المصرية بالصحراء الشرقية ، وظنت انها سوف تتغلب بذلك على شبكة الرادار المصرية وتحقق المفاجاة .. ولكن جاءت المفاجأة هذه المرة من جانب مصر ، فالدفاع الجـــوى المصرى لايقتصر فقط على شبكة الصواريخ الشهيرة فى جبهة قنــــــاة السويس ولكنه نظام متكامــــل يغطى رقعة الأرض المصرية على اتساعها ويوفر لكل هدف حيوى الغطاء الجوى الملائم .

لقد أيقن الطيارون الاسرائيليون بمجرد ان اقتربوا بطائراتهم من الاهداف المحددة لهم أنهم وقعوا ضحية أوهام قادتهم . فلقد وجدوا المقاتلات الاعتراضية المصرية فى انتظارهم ، ومن نجح منهم فى تجنبها وحاول التسلل على ارتفاع منخفض الى هدفه المحدد وجد نفسه فى جحيم من نيران المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ الكتف الرهيبة ، فاذا ما حاول الارتفاع هربا من مصير محتوم تلقفته الصواريخ «سام» بضرباتها القاتلة .. ودب الذعر فى الطيارين الاسرائيليين والقوا بحمولاتهم اينما كان وفروا هاربين . وبقيت مطاراتنا سليمة تواصل دورها المرسوم فى معركة العبور ..

وبالرغم من الفشل الذى انتهى اليه هذا الهجوم ، فلم يتوقف العدو خلال الأيام التالية عن محاولة النيل من مطاراتنا وعاد بعناد يكرر محاولاته ويطور اسلوبه فى كل مرة فعمد الى تركيز الهجمات على مطار واحد أو مطارين على الأكثر فى الوقت الواحد مع مضاعفة عدد الطائرات التى يخصصها لمهاجمة المطار الواحد ليصبح من ١٦ الى ٢٤ طائرة كما لجأ الى كافة الأساليب والتكتيكات المستحدثة التى استخدمها الطيران الأمريكى فى فيتنام للتغلب على عناصر الدفاع الجوى .. ولكنه فى النهاية عندما أيقن أن الخسائر التى يتكبدها فى هذه الهجمات لايحقق من ورائها النتائج التى يطمع فيها توقف مرغما عن مهاجمة المطارات المصرية .

ترى فيم يكمن السر فى هذا النجاح الفائق الذى حققته قوات الدفاع الجوى المصرية فى مهمة حماية القواعد الجوية والمطارات ؟ لاشك انه كانت هناك اسباب ومقومات وراء هذا النجاح.. فبجانب الأساسيات المعروفة لأى عمل عسكرى ناجح كانت هناك مجموعة من الاجراءات والانجازات الحاسمة ضمنت لهذا العمل النجاح الكامل .

يأتى فى مقدمة هذه الاجراءات ذلك النظام الفريد من تكامل

عناصر الانذار الجوى على الارتفاعات المختلفة واختفاء الثغـرات مـن الحقل الرادارى على الارتفاع المنخفض مما كان له الفضل فى فشـل العدو فى تحقيق المفاجأة ، ويأتى بعد ذلك مبدأ هام من مبـادىء الدفاع الجوى اثبتت النتائج الفعلية أن الأخذ به يمثـل ضـمانا أكيدا لتحقيق المهمة .. الا وهو مبدأ تكامل الدفاعات ، فلقد كـانت خطط الدفاع الجوى عن القواعد الجوية والمطارات نموذجا مثاليـا للتطبيق الصحيح لهذا المبدأ الذى يتحقق باستخدام نوعيات متباينة الخصائص من أسلحة الدفاع الجوى بحيث يتم تغطية نقاط ضعف احداها بنقـاط قوة الآخر . أمـا الانجاز الثـالث الذى يرجع اليه الكثير من الفضل فى نجاح مهمة حماية القواعد الجوية والمطارات فهو ذلك الأسـلوب الفريد الذى أمكن به تنظيم تعاون وثيق بين أعمال قتال عناصر الدفاع الجوى الأرضية وأعمال قتال المقاتلات الاعتراضية ، فقـد أثمر هـذا التعاون فى جميع المهام المشتركة وحقق أفضل نتائجه فى مهمة حمايـة القواعد الجوية والمطارات .

ولنكف نحن عن الحديث قليلا ولنترك السـطور التالية للمعلقين والمحللين العسكريين الأجانب لنرى كيف كان تقييمهم للـدور الـذى لعبه الدفاع الجوى المصرى فى مواجهة محاولات الطيران الاسرائيـلى اليائسة لتأكيد تفوقه واحـكام سيطرته الجوية باخراج الطيران المصرى من المعركة مثلما فعـل فى يونيو ١٩٦٧ .

فها هو الليفتنانت جنرال « ميخائيل تومينكو » الحاصـل عـلى درجة الدكتوراة فى العلوم العسكرية يقـول فى مقال له فى صـحيفة النجم الأحمر السوفيتية فى ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ : « ان الدفاعات المصريـة المضادة للطائرات لقنت قراصنة الجو درسا قاسيا واظهرت مقدرتها على الدفاع عن مواقع قواتها وعن المنشآت العسكرية والمدنيـة والحاق خسائر جسيمة بالعدو . أما اسرائيل التى كانت تأمل أن تحتفظ بالتفوق الجوى فقد اخفق سلاحها الجوى فى اللجوء لأسـلوبه المفضل الذى

يعتمد على الأعمال المفاجئة ، أن الخسائر الفادحة التى أصيب بها الطيران الاسرائيلى ترجع الى الروح القتالية العالية للطيارين العرب على المقاتلات والتنظيم الجيد لأجهزة الدفاع الجوى والتعاون الوثيق بين مختلف هذه الأجهـزة » .

وها هو « توماس تشيتهام » مراسل وكالة اليونيتد برس يقـول فى رسالة له من تل ابيب فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، « ان الطـــــيران الاسرائيلى لم يتمكـــن من تحقيق النجـــاح الذى كانت عامة الشعب الاسرائيلى تتوقعه له قبل الحرب . لقد وضح من خلال سير العمليات أن التأكيدات الرسمية التى كانت تتحدث عن قدرة القوات الجـوية الاسرائيلية على القيام بعمل سريع ضد العرب فى حالة تجـدد القتــال كانت مزاعم غير دقيقة » .

ويقول « جان فرانسوا لى موف » يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، « لقد شد انتباه الخبراء الفربيين الذين درسوا سير الصراع العربى الاسرائيلى وفنون الحرب التى استخدمها المتصارعون انه بينما انتصر الاسرائيليون عام ١٩٦٧ بفضل تفوقهم الجوى الكامل ، اذ بنشاطهم الجوى يضمحل هذه المرة فى القتال والقصف بفضل تسلح العرب بالصـواريخ سـام » واستطرد قائلا :

« ويرى بعض الخبراء العسكريين ان مبدأ التفوق الجـوى الذى اعترف به خبراء الاستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية قد يعاد النظر فيه على ضوء أحداث الجولة الرابعة ، بينما لايتردد البعض الآخـر فى تأكيد أن هذا المبدأ قد انهار تماما » .

* الدفاع الجوى يحيد الطيران الاسرائيلى فى جبهة القتال

.. ونعود مرة ثانية الى جبهة القتال فى منطقة قناة السـويس لنستأنف استعراضنا للأحداث التى تلت تلك السـاعات الأولى الرائعة للمعركـــة .

.. بدأ واضحا منذ الساعات الأولى لصباح يوم ٧ أكتوبر ٧٣ ان القيادة الاسرائيلية تضع كل آمالها فى قواتها الجوية لاستعادة الموقف المتدهور لقواتها على الجبهة المصرية وايقاف الانهيار الذى دهم حصون خط بارليف فى ساعات قليلة ..

استعرضنا فى الصفحات السابقة المحاولة اليائسة التى قامت بها القوات الجوية الاسرائيلية لضرب مطاراتنا وقواعدنا الجوية فى بداية هذا اليوم المليء بالأحداث ، فلم تكن هذه المحاولة الا واحدة من المهام والأعمال التى كان على الطيران الاسرائيلى أن يحققها فى هذا اليوم ، فبعد الفشل الذى منيت به هذه المحاولة تركز المجهود الرئيسى للقوات الجوية الاسرائيلية لتحقيق هدف محدد تعلقت به آمال القيادة الاسرائيلية التى كانت تسودها حالة مثيرة من الارتباك والتخبط ..

وكان الهدف هو تدمير الكبارى والمعابر التى نجحت القوات المصرية فى اقامتها على القناة وبدا تنقطع الشرايين والأوردة التى تضمن للقوات المصرية فى سيناء الاستمرار والقدرة على مواصلة القتال ..

وشهدت منطقة قناة السويس أعنف وأشرس الهجمات الجوية فى تاريخها الحافل بالحلقات المتصلة من الصراع بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجوى المصرية .

وقد كانت قوات الدفاع الجوى تعلم جيدا ومسبقا من قبل اندلاع القتال ان امامها تحديا خطيرا يتوقف على أدائها فيه مصير المعركة كلها لذلك حظيت خطط الدفاع الجوى عن الكبارى والمعابر بأكبر قدر من العناية والاهتمام وحشدت لها كافة الامكانيات التى تضمن لها النجاح المنشود . ولكن وكأى خطة عسكرية لايستطيع احد ان يضمن نتائجها قبل أن توضع موضع الاختبار الفعلى فى ميدان القتال .. وجاءت النتيجة تفوق كل ما كان متوقعا ولم تنجح الخطة فى حماية الكبارى والمعابر فحسب بل وساهمت أيضا بأعظم قدر فى زيادة خسائر

القوات الجوية الاسرائيلية ، وقد كان هذا هدفا أعم ، كان على قوات الدفاع الجوى كلها تحقيقه لهزيمة التفوق الجوى الاسرائيلى المزعوم وتحطيم الأسطورة .

لقد كان المشهد مثيرا تماما عند مواقع الكبارى التى تمتد عبر شاطىء القناة بفواصل كيلو مترات قليلة بينها ..

وها هو قائد احدى الفرق الخمس التى كان لها شرف اقتحام قناة السويس والاستيلاء على حصون « خط بارليف » فى ست ساعات يصف المشهد عند احد الكبارى المقامة فى قطاعه وكان يقف لحظتها على الضفة الغربية للقناة يتابع تدفق قواته عبر الكوبرى : « كنا فى البداية نشعر بالقلق العميق ونحسب حساب تدخل القوات الجوية الاسرائيلية خاصة ضد الكبارى والقوات القائمة بالعبور .. ولكن بعد ماشاهدنا الطائرات المعادية تتساقط واحدة بعد الأخرى بنيران شبكة الدفاع الجوى المصرية خلال الساعات الأولى الرائعة يوم ٦ أكتوبر ٧٣ تبدد القلق بل وتضاءل الحذر وكانت القوات تتدفق فوق الكوبرى بمعدلات عادية وكأنها تعبر احد كبارى القاهرة عبر نهر النيل .. وفجأة ظهرت عند الأفق البعيد ثلاث طائرات فانتوم تقترب فى اتجاه الكوبرى .. واستبد بى قلق بالغ فالكوبرى مزدحم تماما بالدبابات وكلتا المنطقتين عند نهايتيه على ضفتى القناة بها حشد هائل من المعدات والأفراد .. والتفت من هواجسى على أحد الصواريخ المصرية ينطلق فى طريقه الى الطائرات المعادية ، وفجأة وقبل أن يصل الصاروخ تفرقت الطائرات ونجحت فى تجنب الاصابة ولم أشعر وأنا أشيع بنظرى هذا الصاروخ المخيب للآمال أن هناك صاروخا آخر انطلق بعده بثوان قليلة واذا به يدمر احدى الطائرات الثلاث ، وعلى الفور هبطت الطائرتان الأخريان فى سرعة البرق وواصلتا الاقتراب من الكوبرى وهى تكاد تلامس سطح الأرض .. وكأن ذلك كان اشارة لأبواب الجحيم لتفتح ، فاذا

بالسماء تشتعل بنيران المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ الكثف المعروفة باسم سام ــ ٧ ، وهوت الطائرتان فقد مزقت طلقات المدفعية المضادة للطائرات احداهما بينما اقتنص الأخرى صاروخ سام ــ ٧ ، والتهب حماس الجنود وزادت سرعة التدفق على الكوبرى وهتاف الجنود الحبيب ، الله أكبر ، الله أكبر ، يضفى على المعركة جلال وقدسية معارك المسلمين الأوائل » .

ولم يكن ذلك هو المشهد الوحيد فلقد تكررت الصورة عند جميع الكبارى على امتداد ساعات طويلة ليتأكد انتصار قوات الدفاع الجوى على الطيران الاسرائيلى فى واحدة من اخطر معارك التحدى الدائم بينهما . وشهد العالم اجمع بهذا الانتصار المؤكد .. فها هو « هنرى ستانهوب » المراسل العسكرى لصحيفة التايمز يعلق فى العدد الصادر يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ على الصراع بين الدفاع الجوى المصرى والقوات الجوية الاسرائيلية فى معركة الكبارى قائلا : « الأمر المؤكد أن الجيش الاسرائيلى قد اخفق فلا يزال المصريون يدفعون قواتهم ومعداتهم عبر الجسور الأحد عشر التى اقاموها والتى لم تستطع الطائرات الاسرائيلية تدمير أى منها » ويستطرد قائلا فى نفس المقال « ان الأمر الواضح للجيش الاسرائيلى هو زيادة تصميم الجنود المصريين وقتالهم الشرس من اجل استرداد أراضيهم ثم المغزى العميق الذى تنطوى عليه قدرتهم المتزايدة وكفاءتهم الملحوظة فى ادارة شبكة الصواريخ المصرية المضادة للطائرات » .

.. وها هو « هوارد كالاوى » وزير الجيش الأمريكى يرى وراء ذلك الانجاز الرائع لقوات الدفاع الجوى المصرى ماهو أكبر من كونه انتصارا فى احد مجالات الصراع ، فقد صرح لوكالات الأسوشيتدبرس يوم ١٨ أكتوبر بما نصه : « أن العبور الذى قامت به القوات المصرية فى قناة السويس فى مواجهة القوات الجوية الاسرائيلية المتفوقة هو

بمثابة علامة مميزة فى الحرب الحديثة ستغير من الاستراتيجية العسكرية » .

.. وتوالت أيام القتال بعد ذلك وشبكة الدفاع الجوى المصرى تحقق فى كل يوم المزيد من الانتصارات واستمرت مظلتها الواقية تحمى القوات المصرية وهى تقاتل أعنف المعارك وأشرسها على أرض سيناء الحبيبة .

وكان يجرى فى كل يوم تعديل لأوضاع شبكة الدفاع الجوى بما يتمشى مع ما أحرزته القوات البرية من تقدم لتظل هذه القوات دائما فى حماية درعها الواقى الذى عزل القوات الجوية الاسرائيلية فى جبهة القتال وحرمها من مساندة قواتها الجوية وهى تحاول شن هجماتها وضرباتها المضادة ضد قواتنا فى رؤوس الكبارى .. وقد يتساءل القارىء ولماذا لم يتم دفع شبكة الدفاع الجوى مرة واحدة الى أقصى مايمكن للأمام بدلا من هذه التحركات اليومية ؟ . ونوضح الأمر .. أولا كان من الضرورى اجراء عديد من التحركات اليومية لنضمن مفاجأة العدو ولنحرمه من تحديد أوضاعنا بدقة ..

والأمر الثانى ان انتقالات قواعد الصواريخ للأمام فى اتجاه الشرق كانت تخضع لحسابات دقيقة ، فلا شك أن تقدمها الى الشرق يحقق عمقا أكبر لسيطرتنا على الأجواء داخل سيناء ، ولكنه فى نفس الوقت سيجعل من هذه القواعد هدفا سهلا داخل مرمى مدفعية ميدان العدو بعيدة المدى ، ولذلك كان علينا يوميا أن ندقق حساباتنا ونحدد عمق الانتقال اللازم بما يضمن وقاية كاملة لقواتنا البرية ويحقق فى نفس الوقت حماية قواعد الصواريخ من القصف المؤثر لمدفعية العدو .

.. وعندما قررت القيادة العامة للقوات المسلحة تطوير الهجوم شرقا لكسب مزيد من الأرض وتخفيف الضغط على الجبهة السورية . دفعنا بقواعد الصواريخ عبر القناة لتحتل مواقعها على الضفة الشرقية

للقناة وتمد مظلتها الواقية الى عمق سيناء . ولقد دارت فى هذه المرحلة من القتال أعنف معارك الدبابات وأكبرها ، وتكبدت القوات الاسرائيلية خسائر جسيمة فى المعدات والأفراد وما كان ذلك ليحدث اذا لم تتكافأ الفرص أمام المدرعات المصرية والاسرائيلية على السواء .. فلقد تعودت القوات الاسرائيلية على القتال وفوق راسها قواتها الجوية تقدم لها المساندة والدعم . وكانت بذلك تضمن الانتصار ، أما فى هذه المرة فقد حرمت من قواتها الجوية بفضل شبكة الدفاع الجوى المصرى التى فرضت سيطرة تامة على سماء المعركة فاضطرت المدرعات الاسرائيلية الى الدخول فى قتال حقيقى لأول مرة فى تاريخها ، ولذلك لم يكن غريبا أن خسائرها فاقت كل تقدير .. وقد كان لظهور قواعد الصواريخ المضادة للطائرات على أرض سيناء وقع الصاعقة فى نفوس الطيارين الاسرائيليين . فقد قيل لهم أن هذه القواعد ثقيلة وثابتة ولا تتوافر لها خفة الحركة والقدرة على المناورة وهى بالتالى لا تصلح لمهمة وقاية القوات القائمة بالهجوم ، وامعانا فى السخرية منها كان الأمريكيون يطلقون عليها فى حرب فيتنام اسم « البطة الجالسة « Sitting duck » وصدق الاسرائيليون ذلك ، ولم يدر بخلدهم أن قوات الدفاع الجوى المصرية قد استطاعت بعزم وجهد رجالها أن تجعل من البطة الجالسة بطة متحركة « moving duck »

.. لقد اثبتت قوات الدفاع الجوى خلال هذه الأيام الرائعة جدارتها وتفوقها ، فعلى مدى هذه الأيام جرب الطيران الاسرائيلى جميع الأساليب والتكتيكات واستخدام احدث الأسلحة والمعدات الألكترونية وفشلت جميعا فشلا ذريعا .. فلقد طاشت الصواريخ الموجهة المضادة للرادار ومحطات توجيه الصواريخ والمعروفة باسم « شرايك » — وهى احدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية — عن أهدافها ، ولم يكن ذلك راجعا لعدم قدرة الطيارين الاسرائيليين على استخدامها وانما كان ذلك راجعا الى كفاءة المقاتل المصرى الذى استعد جيدا لهذا الأمر ووجد له

الحل المضاد . كما لم تمنع الاعاقة الالكترونية الكثيفة مقاتلى الدفاع الجوى من الاشتباك الفعال والمؤثر . ولم تفلح أعمال الخداع الالكترونى فى تشتيت نيراننا عن أهدافها الحقيقية .

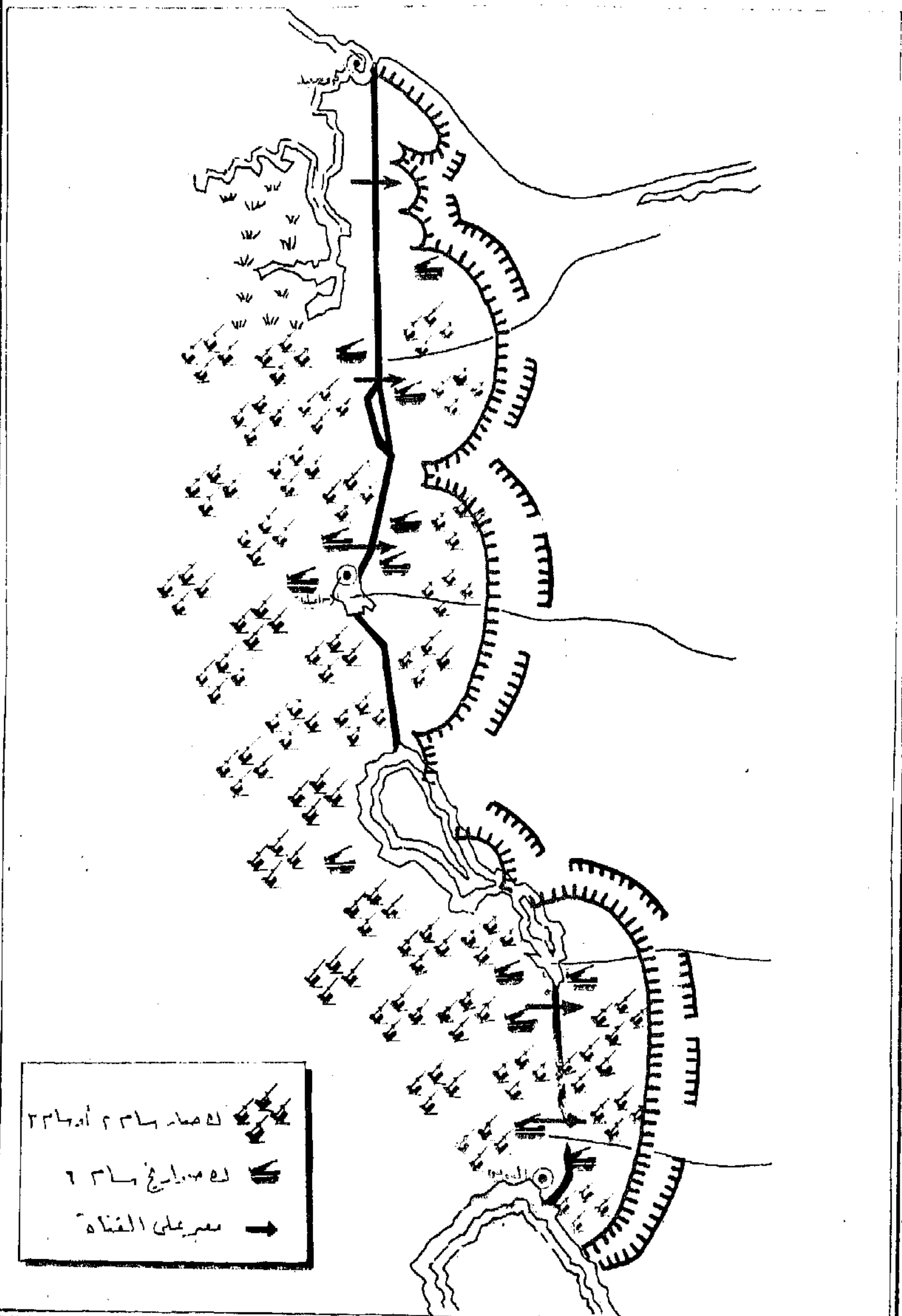
ونرجو الا يتبادر الى ذهن القارىء أن الصورة كانت وردية دائما وان المعركة لم تكن الا انتصارات مستمرة .. لم يكن الأمر كذلك فلقد تكبدنا فى كل يوم اصابات فى المعدات وخسائر فى الأفراد وهى وان كانت أقل بكثير مما توقعناه الا انها كانت ستؤثر بلا شك لو تركت لتتراكم يوما بعد يوم على كفاءة شبكة الدفاع الجوى ومقدرتها على الاستمرار . ولكن التخطيط الجيد لنواحى الاصلاح والتأمين الفنى والجهود البطولية التى بذلها مهندسو الدفاع الجوى حققا استعادة الموقف أولا بأول وكفلا لشبكة الدفاع الجوى الصمود والاستمرار بنفس المقدرة والكفاءة طوال أيام القتال .

ولم تقدر اسرائيل على المكابرة وخرجت التصريحات من قادتها تعترف فى حزن بهزيمة قواتها الجوية أمام شبكة الدفاع الجوى المصرى .. فها هو « موشى ديان » يعلن فى رابع أيام القتال فى مجال تحديده للمشاكل التى تواجه القوات الاسرائيلية ، « وثمة مشكلة اخرى تواجه طيراننا فهو عاجز عن اختراق شبكة الصواريخ المصرية المضادة للطائرات دون ان يصاب بخسائر فادحة » .

وعاد « موشى ديان » ليعلن فى حديث تليفزيونى يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ : « ان القوات الجوية الاسرائيلية تخوض معارك مريرة ، انها حرب ثقيلة بأيامها . .ثقيلة بدمائها » .

ومن أقوال الطيارين الاسرائيليين الأسرى اخترنا هذين المثلين فهما يعبران بصدق عن الفزع الذى تملك قلوب الطيارين الاسرائيليين من الدفاع الجوى المصرى .. فلقد قال الرائد طيار « جيرو يعقوب آمنون » : « لقد كانت الصواريخ المضادة للطائرات المصرية مؤثرة

حائط الصواريخ كما تخيلته إحدى المجلات الأجنبية



للغاية وكنا نحاول الابتعاد عن مواقعها خشية ان تصاب طائراتنا .. وعلى الرغم من محاولات التخلص منها الا انها كانت فعالة للغاية ، مما ادى الى وقوع خسائر كبيرة فى الطائرات الاسرائيليـــية وخاصـــة طائرات الفانتوم » .

ويقول النقيب طيار « سمحا مردخاى روزين » « لقد دهشت من دقة تصويب المدفعية المصرية المضادة للطائرات مما يؤكد ان مستوى رجالها عال جدا . والدليل على ذلك كثرة ما اسقطوه من طائراتنا » .

هذا ماقاله الاسرائيليون . فلنستعرض أيضا بعض ما قالته الدوائر الأجنبية الغربية .. فها هى وكالة يونيتدبرس تعــلق يوم ١١ أكتوبر على العمليات الحربية بقــولها : « أثبت تدريب الجيش العـــــربى انه انتج قوة مقاتلة فعالة واستوعب العرب بعض المشكلات التكتيكية المعقدة للأسلحة الحديثة بما فى ذلك تشغيل صواريخ سام فى اتصال مع الرادار والمبتكرات والاتصالات الالكترونية » .

ويقول « أريك سيلفر » المعروف فى الجارديان البريطانية فـــى مقال له فى العدد الصادر يوم ١١ أكتوبر ١٩٧٣ تحت عنوان (العــرب يحطمون اسطورة اسرائيل) ما نصه : « ان اجهزة الدفــاع الجـوى المصرية اثبتت انها اكثر جسارة وقوة مما توقع المراقبون ، خصوصـا وأنه لم يعد هناك مستشارون أو فنيون روس » .

وها هى مجلة « تايم » الأمريكية تكشف فى عددها الصـــــادر يوم ١٩٧٧/١/٢٤ عن اسرار جديدة تتعلق بحرب أكتوبر فتقول : « أن القوات المصرية تمكنت خلال الاسبوع الأول من الحرب من اســتخدام اول نظام صاروخى متكامل للدفاع الجـــوى لأول مرة فى التـــاريخ ، فلقد تمكن الدفاع الجوى المصرى خلال وقت قصير نسبيا من اســقاط ٧٨ طائرة اسرائيلية » .

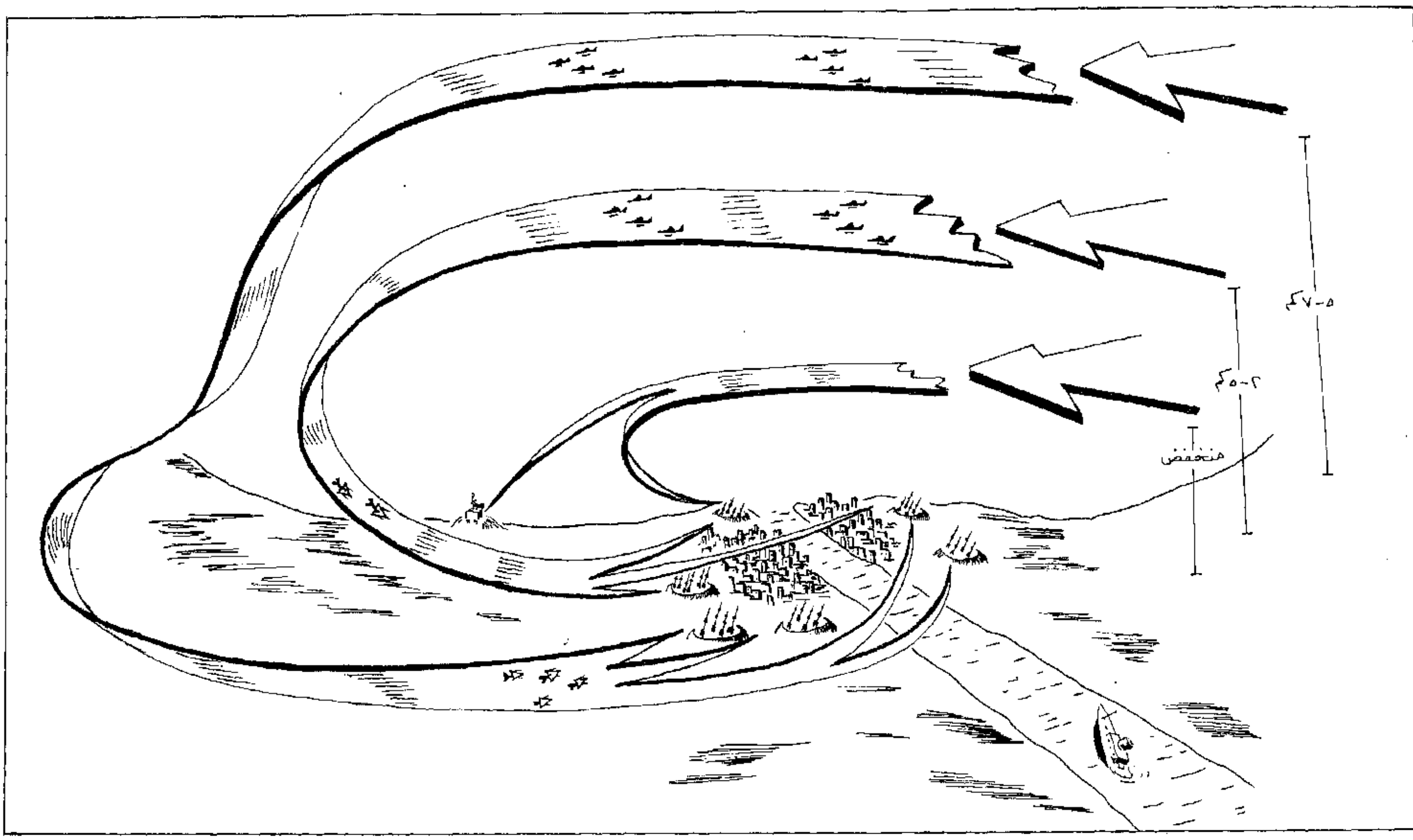
ملحمة الدفاع الجوى فى بورسعيد :

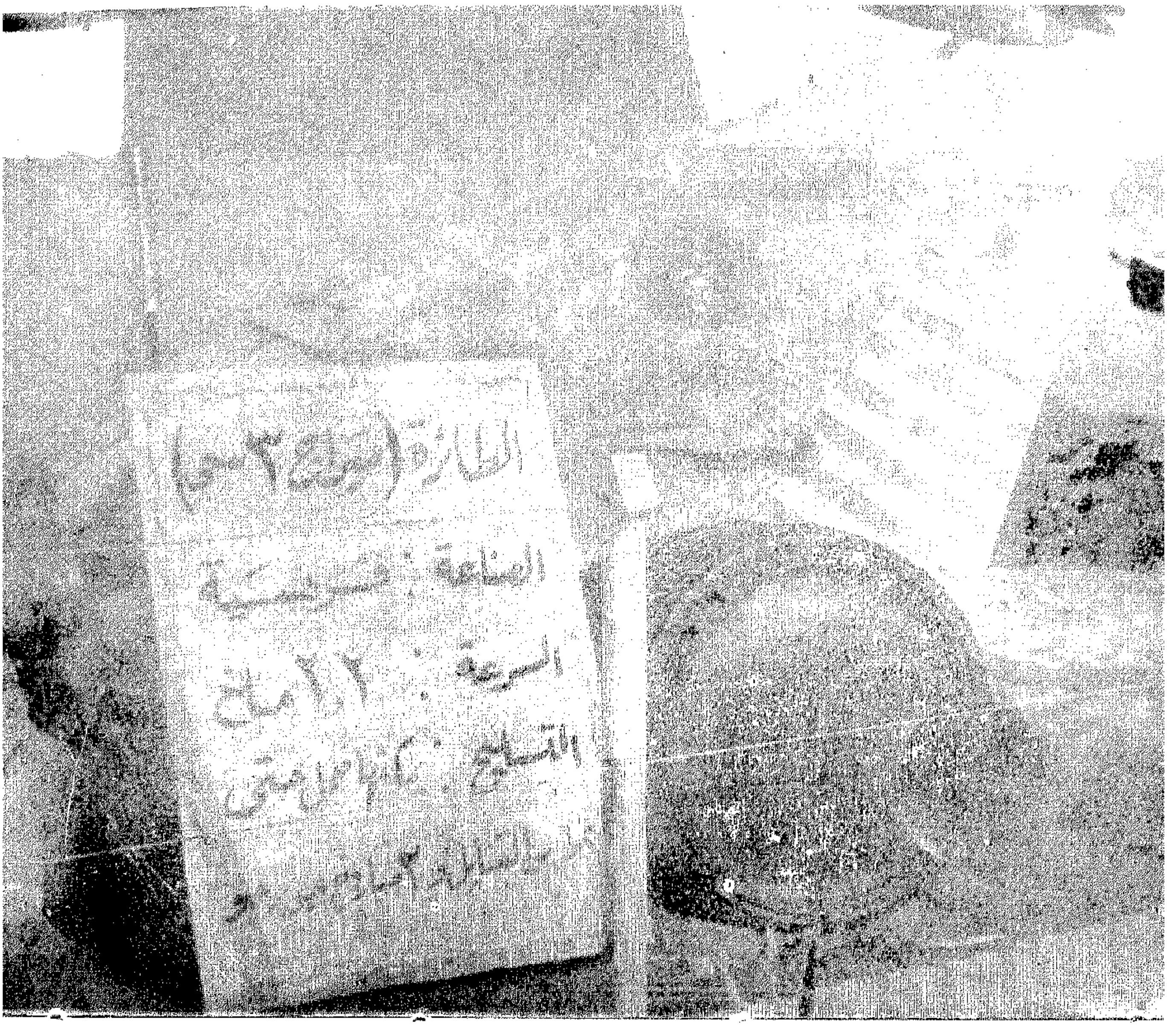
ونستأذن القارىء فى وقفة قصيرة نترك فيهــا مؤقتا جبهة القتــال الرئيسية لنذهب معا فى رحلة قصيرة الى اقصى الطرف الشــمالى مــن جبهــة قناة السويس ، الى بور سعيد . . لنرى ماذا جرى هنــاك من احداث خلال أيام القتال ! . . بينما كانت المعارك على اشدها بين القوات الجوية الاسرائيلية وقوات الدفاع الجــوى يومى ٦ ، ٧ أكتوبر ١٩٧٣ على امتداد جبهة القتال ، كان الأمر مختلفا تماما فى بورسعيد . فلقــد اقتصر الأمر خلال هذين اليومين على طلعات جوية متفرقة كانت بمثابة اعمال مشاغلة اكثر منها هجمات جوية منظمة وفجاة واعتبارا من يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣ ثالث أيام القتال شهدت بورسعيد أشــد المعارك شراسة وعنفا بين الدفاع الجوى المصرى والطيران الاسرائيلى .

فمنذ ذلك اليوم واجهت المدينة الباسلة هجمات جــوية شرسة حشدت لها اسرائيل أعدادا متزايدة من الطائرات . فبلغ عدد الطائرات فى بعض الهجمات اكثر من ٥٠ طــائرة كانت تهــاجم المدينة فى نفس الوقت ، ويرجع هذا التركيز على بورسعيد بالذات كما أوضح احــد الطيارين الاسرائيليين الذين تم أسرهم فى « بورسعيد » ــ الى اعتقــاد القيادة الاسرائيلية أن لدى مصر صواريخ استراتيجية أرض / أرض لا يمكنهــا اصابة مدن اسرائيل الرئيسية الا اذا وضعت فى بور سعــيد باعتبارها أقرب النقاط المصرية الى مدن اسرائيل .

ولقد ظنت القيادة الاسرائيلية أن بامكانها تحقيق انتصار ســهل على الدفاع الجوى المصرى فى هذا القطاع الذى يعتبر ــ من وجهة نظر الدفــاع بالصواريخ مط ــ هدفا منعــزلا تكتيكيا عن شبكة الصــواريخ الرئيسية وكانت القيادة الاسرائيلية تأمل أن يعمل ذلك على اعادة الثقةالى طياريها بعدما هزتها بعنف نتائج المعــارك خلال يومى ٦ ، ٧ اكتــوبر ، ولكن خاب أملها ، فبالرغم من كثافة الهجمــات وشراستها اســتمرت

إحدى الهجمات الجوية على بورسعيد





كان الدفاع الجوى فى بورسعيد يكبد الطيران الاسرائيلى خسائر متكررة كل يوم ..

عناصر الدفاع الجوى تكبد العدو خسائر فادحة فى كل هجمة مما كان له أكبر الأثر فى تشتيت ضرباته وعدم اصابته لأهدافه ، كما أن سرعة استعادة الموقف بالنسبة لأى أعمال أو خسائر فى المعدات كانت تتم بسرعة فائقة وكفاءة عالية جعلت من الدفاع الجوى فى هذا القطاع والذى ظنه العدو لقمة سائغة حائطا آخر استنفد من العدو الكثير من الجهد وكبده العديد من الخسائر . ونذكر على سبيل المثال أن قائد قوات الدفاع الجوى عندما وجد أن عدد قواعد الصواريخ التى تعطلت نتيجة لبعض الاصابات يزيد عن القواعد الصالحة فى القطاع ، أمر بايقاف الاشتباك بالصواريخ حتى يظن العدو انه نجح فى اسكات جميع القواعد ، وأمر بأن يقتصر الاشتباك على المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ الكتف . ودفع بأطقم اصلاح على أعلى مستوى من قيادة قوات الدفاع الجوى قامت تحت الضرب المتواصل بعمل بطولى من الدرجة الأولى وتمكنت فى أقل من ٤٨ ساعة من اصلاح جميع القواعد العاطلة . ولقد تطلب الأمر خلال هذه الساعات الكثير من الصبر وضبط النفس فرغما من الحاح قادة القواعد على السماح لهم بالاشتباك الا أن القائد صمم على عدم استئناف الاشتباك الا بعد ما تأكد من اصلاح جميع القواعد ليضمن مفاجأة العدو بضربة قوية بأكبر عدد من القواعد فى نفس الوقت .. وكانت المفاجأة كاملة عندما جاءت الطائرات الاسرائيلية لتطير مطمئنة فوق بورسعيد على ارتفاع أكبر من مدى المدفعية المضادة للطائرات .. فاذا بعشرات الصواريخ تنطلق من المواقع التى ظنوا انها سكتت الى الأبد وتساقطت الطائرات الاسرائيلية بالجملة وسط هتاف الجنود وشعب بورسعيد .

واستمر الصراع فى بورسعيد يدور على هذه الوتيرة . العدو يدفع بطائراته بكثافات كبيرة ويتحمل العديد من الخسائر فى معظم الأحيان وينجح فى بعض الأحيان فى اسكات عدد من قواعد الصواريخ لبعض الوقت ولكنها تعود مرة أخرى لتكبده مزيدا من الخسائر وهكذا

ولن يتسع المجال هنا لاستعراض المئات من قصص البطولة والتضحية التى سطرها رجال الدفاع الجوى فى بورسعيد .. ولكنها ستظل خالدة أبدا يذكرها شعب بورسعيد ويتناقلها جيلا بعد جيل ، فبفضل شهداء الدفاع الجوى الأبرار الذين بذلوا أرواحهم تحت سماء بورسعيد اندحر العدوان وبقيت بورسعيد .

الدفاع الجوى والثغرة :

.. ونعود مرة أخرى الى جبهة القتال الرئيسية لنستكمل استعراضنا لأهم الأحداث .

لقد تأكد الانتصار المصرى فبعد عشرة أيام من القتال ثبت فشل القوات الاسرائيلية فى معركة الاحتواء Battle of containment للقوات المصرية التى عبرت واقتحمت القناة وخط بارليف وأنشأت خمسة رءوس كبارى وتشبثت بها وهكذا وعندما تأكد للقيادة الاسرائيلية أن قواتها عاجزة تماما عن احتواء القوات المصرية أرادت أن تقوم بعمل مضاد تستولى به على رقعة الأرض غربى القناة .

ولكى يكون استعراضنا لهذه الأحداث موضوعيا نستأذن القارىء فى العودة للوراء قليلا .. الى يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ .

ففيه حدث عظيم اغفلناه فى استعراضنا السابق حيث وجدنا أن ارتباط الأحداث بعضها ببعض يفرض تسجيل هذا الحدث عند التعرض لموضوع الثغرة والقتال غربى القناة . ففى يوم ١٣ اكتوبر ١٩٧٣ رصدت محطات الرادار قيام طائرة امريكية من طراز « SR - 7I » بطلعة استطلاع جوى غطت النطاق التعبوى لجبهة القتال والأهداف الاستراتيجية فى العمق ، وكان ذلك اعلانا عمليا أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ألقت بثقلها فى المعركة لانقاذ اسرائيل من هزيمة محققة .

ولاشك أن هذه الطلعة وفرت للعدو معلومات كاملة عن التوزيع التعبوى للقوات والاحتياطيات وكانت بمثابة النور الأخضر لاسرائيل لتنفيذ عملية الدفرسوار . وجاءت بعد ذلك الأحداث لتؤكد ان القوات المصرية أصبحت تواجه الولايات المتحدة الأمريكية وليس اسرائيل وحدها فلقد تلاحظ طفرة مفاجئة فى حجم وكثافة الهجمات الجوية المعادية اعتبارا من يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ كما رصد تغيير فى الاعاقة الالكترونية المضادة لمحطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ اعتبارا من هذا اليوم . وفى خلال ليلة ١٦/١٥ أكتوبر ٧٣ تمكنت بعض المدرعات الاسرائيلية البرمائية من التسلل الى الضفة الغربية للقناة واختبأت داخل الأشجار الكثيفة المنتشرة فى تلك المنطقة ولم يتم احتواؤها وتدميرها بأقرب احتياطى بالسرعة المطلوبة مما أتاح لها فرصة لتوسيع الجيب الذى استولت عليه .

.. وفى صباح يوم ١٦ أكتوبر ٧٣ قامت القوات الاسرائيلية المتسللة بالتسرب صوب قواعد الصواريخ المضادة للطائرات وهاجمتها بالنيران من مسافات بعيدة ..وتمكنت فعلا من اصابة قاعدتين للصواريخ المضادة للطائرات ، وعلى الفور صدرت التعليمات لقائد تشكيل الدفاع الجوى فى منطقة الجبهة بالمناورة بباقى القواعد الى مواقع تبادلية اخرى خارج مرمى نيران القوات التى تسللت .. وكانت أوامر قائد قوات الدفاع الجوى قاطعة واضحة فيما يتعلق بأمرين .

الامر الأول يؤكد اننا لن نسمح للعدو مهما كانت الظروف أن ينجح فى احداث ثغرة فى شبكة الدفاع الجوى فى جبهة القتال ، ولقد كان التعبير الذى استخدمه القائد فى هذا الشأن معبرا تماما عما حدث فعلا فقد قال القائد :

« لن نسمح للعدو أن يشق حائط الصواريخ او يحدث شرخا فيه ولكننا سنقبل أن يتقوس هذا الحائط قليلا ليحتوى الجيب الاسرائيلى داخله » .

.. وفعلا ، ففى خلال ساعات قليلة تم بنجاح فائق المناورة بعدد من قواعد الصواريخ المضادة للطائرات واحتلت مواقـع جديدة تشـكل « حزام » يطوق الجيب الاسرائيلى وقامت بواجبها فى حماية القـــوات البرية التى أوقفت تقدم القوات الاسرائيلية غربا . وخاب أمل اسرائيل فى القضاء على حائط الصواريخ الرهيب الذى اســتمر يكبد العـــدو الجوى فى كل ســاعة المزيد من الخســائر .

أما الأمر الثانى الذى أكدت عليه تعليمات القائد فقـــد كان يتعلق بعدم السماح بأى حال من الأحوال بوقوع اى معدات فى حالة فنيـــة تسمح للعدو بالاستفادة منها أو يمـكنه عـن طريقهـا الحصول على أية معلومات لها صفة السرية ..

واستماتت الرجال لتنفيذ هذا الأمر ونجحوا فى المناورة بمعداتهم بعيدا عن مرمى نيران الاسرائيليين وبقيت قاعدتان للصواريخ المضـــادة للطائرات لم يكن متاحا لهما الانتقال فالعدو يحاصرهما من كل جانب .. ولقد شهدت هاتان القاعدتان لحظات انسانية بالغة التأثير فقـــد كانت الدموع تنهمر من عيون الرجال .. أصلب الرجـــال .. وهم يدمرون بأيديهم معداتهم التى ارتبطت بهـــا حياتهم وآمالهم لســـنوات طويلة .. وكانت الأوامر أن يتسلل الرجال بعد ذلك فرادى من هذه المواقع ولم يمتثل بعض الرجال لهـــذه الأوامر وآثروا أن يبقوا مـــع معـــداتهم ويستشهدوا معها بعد أن يحصدوا بمدافعهم الرشاشة اكبر عدد ممكن من جنود العدو فداء لمعـــداتهم .

.. وقد يتساءل القارىء : اذا كان الأمر كذلك ، فأين الحقيقـــة فيما كانت تذيعه اسرائيل ؟ فلقد ملأت اسرائيل الدنيا بأنباء انتصاراتها غرب القناة وان قواتهـــا تمكنت من تدمير العشرات من قواعد الصواريخ المضـــادة للطائرات المصرية وقضت بذلك على شـــبكة الدفاع الجوى المصرية ..

حسنا ، فلنناقش الأمر بهدوء ولنتتبع الاحداث لنرى حقيقة



جاءت لتبلغت .. فبوغتت :

ماحدث .. لقد نجحت القوات الاسرائيلية فى التسلل الى الضفة الغربية للقناة .. هذه أولى الحقائق ، وبدأت هذه القوات تضرب بنيرانها قواعد الصواريخ المضادة للطائرات من مسافات بعيدة .. هذه أيضا حقيقة ، وكانت نتائج الضرب ظاهرة واضحة أمام الجنود الاسرائيليين فالطلقات تصيب اهدافها وهم يبلغون قياداتهم بنتائج الضرب ويحصون عدد القواعد التى أصابوها وكانت قيادتهم تذيع هذه النتائج على الدنيا كلها . ولم تكن هذه الا نصف الحقيقة .. أما الحقيقة كلها فبسيطة غاية فى البساطة ، ونحن حين نعلنها الآن لانفشى سرا فعدونا قد عرفها بعد ايام قلائل من بداية الثغرة عندما توقف القتال وراح الجنود الاسرائيليون يفتشون القواعد التى أصابوها بنيرانهم من مسافات بعيدة .. لا شك ان المشهد كان مثيرا عندما وجد هؤلاء الجنود أن ماظنوه قواعد للصواريخ ما هو الا معدات هيكلية يقل ثمنها كثيرا عن ثمن دانات المدفعية التى أصابتها .. هذه هى الحقيقة التى يعلمها عدونا كما نعلمها وبالطبع لم يكن معقولا أن يصدر العدو بعد توقف القتال تكذيبا لما ملأ به الدنيا ضجيجا ودعاية . ولكنه سيظل مطالبا دائما بأن يجد اجابة شافية لمن يتساءل : اذا كانت اسرائيل قد دمرت العشرات من قواعد الصواريخ المضادة للطائرات ، اذن فمن اسقط عشرات الطائرات الاسرائيلية اعتبارا من يوم ١٦ أكتوبر ٧٣ ولحين وقف اطلاق النار بل وبعد وقف اطلاق النار ؟! .

واذا كانت البيانات الاسرائيلية صحيحة .. فمن أين جاءت مصر بقواعد الصواريخ التى تنتشر الآن بالعشرات فى منطقة قناة السويس وحول الأهداف الحيوية بالدولة ، بينما العالم أجمع يعلم أن مصر لم تحصل حتى الآن على أى تعويض لخسائرها فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

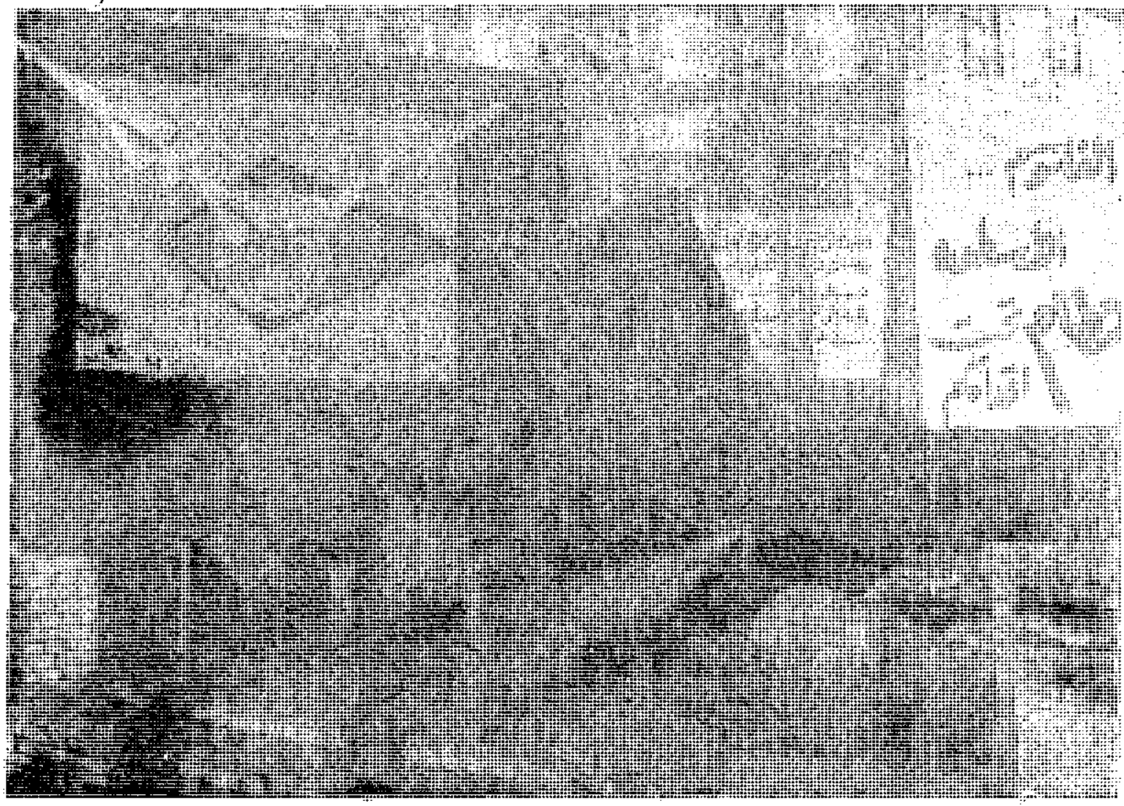
وباقى القصة يعرفها القارىء تماما ، فقد استفادت القوات الاسرائيلية من عدم الاذعان لقرار وقف اطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ لتوسيع الجيب ، الأمر الذى استدعى تدخل القيادة العامة

للقوات المسلحة المصرية لاحتواء الجيب الاسرائيلى ووضع خطة مدبرة لتصفيته .. والحرب مثلها مثل مباريات كرة القدم قد تفوز وتحرز خمسة أهداف نظيفة فى مرمى الخصم ، ولكن قد تفرض ظروف المباراة أن يتمكن الخصم المهزوم فى آخر دقيقة من المباراة من احراز هدف وحيد قد يهلل فرحا ولكنه لايغير من النتيجة النهائية فى شىء .

فلقد أصبح الذى ظنته اسرائيل نصرا لها مأزقا خطيرا فقد تمكنت القوات المصرية بعملية حشد سريعة ومكثفة من احتواء الجيب تماما ولم يكن له سوى مخرج وحيد كعنق الزجاجة عند الدفرسوار .

واتمت القوات المسلحة وضع الخطة (شامل) للقضاء على الجيب وصدق عليها القائد واصبح كل شىء معدا للتنفيذ ، وتدخلت الولايات المتحدة الامريكية لتنقذ اسرائيل مرة ثانية من مصير محتوم ، وعقدت اتفاقية فض الاشتباك الأولى وانتهت حرب أكتوبر المجيدة وقوات الدفاع الجوى المصرى أقوى مما كانت عليه قبلها فلم نخسر الا القليل وكسبنا الكثير .. كسبنا خبرة لاتقدر بثمن مهما كان ، فلقد دفعنا فيها دماء شهدائنا الأبرار ، خبرة حرب الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات التى اشركناها لأول مرة فى تاريخ الحروب فى عمليات هجومية شاملة على اتساع جبهة القتال ، وكان ذلك اضافة ضخمة لفن وأساليب القتال ترتب عليها اعادة النظر فى الكثير من المبادىء الراسخة للاستراتيجية وفن الحرب .

.. وأخيرا فلم نجد أصدق من هذه الكلمات التى ادلى بها «موشى ديان » فى تصريح له يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ الى وكالة الأنباء الفرنسية بعد مايزيد عن ثلاثة شهور من توقف القتال بعدما توافر له الوقت ليمعن التفكير ويستخلص العبرة لنختتم بها هذا الفصل .. يقول زعيم المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تصريحه : « **ان هالة التفوق الاسرائيلى** قد دحضها وأثبت بطلانها قتال أكتوبر ١٩٧٣ » .





وصرح موشى ديان فى ١٥ فبراير ١٩٧٤ « أن هالة التفوق الاسرائيلى قد دحضها واثبت بطلانها قتال أكتوبر ١٩٧٣ » .

الفصل السابع

الدروس المستفادة من حرب اكتوبر ٧٣ من وجهة نظر الدفاع الجوى ونظرة إلى المستقبل

* لماذا هذا الاهتمام ؟
* الدروس المستفادة .
* نظرة الى المستقبل .
* خاتمـــة .

اذا خرجنا من هذه المعركة دون ان نبني البناء سياسيا واقتصــاديا وعلميا ، واذا لم نبن قواتنا الذاتية يكون محكوما علينا بالدمار ، لأن اسرائيل لن تترك هـــذه الهزيمة التي لحقتها ، من اجل هذا نحن نركز عـلى بنــاء قواتنا الذاتية عسكريا واقتصاديا وســياسيا وتنظيميا لضمان مواجهة العـــدو وســيكون لدينا صناعات استراتيجية محلية وسياستنا اننا سوف ننوع مصادر الســلاح حتى نبني قدرتنا الذاتية .

انــور الســادات

* لماذا هذا الاهتمام ؟

لقد تضافرت عدة عوامل لتجعل الدور الذى لعبه الدفاع الجوى المصرى يحتل المكانة الأعظم فى الدراسات والأبحاث التى عكفت عليها مراكز الأبحاث والمعاهد العسكرية والاستراتيجية فى العالم للخروج بالدروس المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ويأتى فى مقدمة هذه العوامل تلك الهالة الأسطورية التى نسجتها أبواق الدعاية الاسرائيلية لقواتها الجوية ، وكان من الطبيعى ان يكون لخسائرها الكبيرة وغير المتوقعة امام شبكة الدفاع الجوى المصرى دور كبير يستحق البحث والتحليل ..

وثانى هذه العوامل وهو وشيك الصلة بالعامل الأول فهو ذلك الأداء الناجح لقوات الدفاع الجوى المصرية فى جميع المهام التى أوكلت اليها خلال حرب أكتوبر ٧٣ ، ولاشك ان هذا الأداء يستحق بذاته التحليل والدراسة ولا سيما اذا جاء هذا الأداء بمثل هذه النتائج وفى مواجهة قوات جوية اعتقد العالم اجمع أنها لا تقهر .

وثالث هذه العوامل يرجع الى ان حرب أكتوبر ٧٣ هى أولى الحروب فى تاريخ الصراعات المسلحة التى تستخدم فيها الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات فى عمليات هجومية شاملة باتساع جبهة

القتال ، حتى ان البعض أطلق عليها « حرب الصواريخ » لذلك كان من الطبيعى ان يحظى هذا الدور بنفس الاهتمام العظيم الذى حظيت به دائما على مر العصور المبادرات الهامة فى أساليب وفنون القتال ..

اما رابع هذه العوامل فيرجع الى انه اذا كانت حرب أكتوبر ٧٣ تعتبر ـ بما استخدم فيها من وسائل العلم والتكنولوجيا ـ أول حرب الكترونية فى تاريخ الحروب فان ذلك يرجع الى ماشهده الصراع الذى دار خلال هذه الحرب بين القوات الجوية الاسرائيلية والدفاع الجوى المصرى من استخدام أعقد انواع الأسلحة والمعدات واكثرها تطورا من الناحية الالكترونية مما جعل هذا الصراع محور الاهتمام والتركيز .

فها هو الجنرال «ارمين تزيمومان » رئيس اركان حرب قوات المانيا الغربية يعلن ان قادة القوات الألمانية قرروا تحليل الدروس المستفادة من حرب الشرق الأوسط فى مؤتمر عسكرى اشترك فيه ٣٥٠ ضابطا من كبار ضباط القوات المسلحة الألمانية وقال : « ان الجانب الهام فى هذه الحرب هو نظريات الدفاع الجوى بعد أن تكبدت اسرائيل خسائر فادحة فى الطيران خلال الأيام الأولى للحرب » .

.. ومثلما فعلت القوات الألمانية فعل العديد من القوات المسلحة فى العالم ، واستقبلت قيادة قوات الدفاع الجوى المصرى منذ توقف القتال العشرات من الوفود العسكرية والملحقين العسكريين من كافة جيوش دول العالم ، جاءوا مبهورين بالنتائج الرائعة التى تناقلتها وكالات الأنباء خلال سير أعمال القتال ، يسعون للحصول على المزيد من أسرار اول حرب صواريخ فى العالم ويستمعون الى أولى الخبرات القتالية فى هذا الشأن من رجال الدفاع الجوى المصرى الذين كان لهم شرف الريادة فى هذا المضمار .

.. وها نحن بالرغم من انقضاء هذه الفترة الطويلة على حـــرب اكتوبر المجيدة ، فما زالت مراكز البحوث ومعـاهد الاستراتيجية فى العالم تخرج علينا فى كل يوم بالمزيد من الدروس والخبرات المســتفادة من هذه العمليات . ونحن بدورنا لم نتوقف لحظة ، منذ أن بدأ القتال فى السادس من اكتوبر ٧٣ وحتى الآن ، عن التحليل والدراسة ، ولقــد خرجنا بالعديد من الدروس والخبرات وجـــدت طريقهـا الى التطبيق والتنفيذ الفعلى فى جميع المجالات ..

* الدروس المستفادة من حرب اكتوبر ٧٣ مـــن وجهـــة نظر الـدفاع الجـوى

لا انوى التعرض بالتفصيل الى جميع الدروس والخبرات المستفادة من حرب اكتوبر ٧٣ فى مجال الدفاع الجوى ، فبعضها ينبغى أن يظل من حقنا وحدنا فقد قدمنا من أجله أعظم التضحيات وبذلنا له ارواح أعز الشهداء ومعركتنا مع العدو لم تنته بعد .. وعلى ذلك رايت أن أكتفى باستعراض بعض من هذه الدروس وراعيت فى اختيـارهـا أن يكون لها وزنها وتأثيرهـا الملمـوس بحيث لاتخفى عـلى الباحث المتخصص .

اولى واعظم الحقائق :

هناك حقيقة اساسية وراء كل الانتصارات التى تحققت وقد رايت فى البداية بالرغم من ايماننا العميق نحن رجال الدفاع الجـوى بهـا عدم تسجيلها باعتبار انها لا تقتصر فقط على دور الدفاع الجوى فى حرب أكتوبر بل تتسع لتشمل كل شيء واى شيء . ولكن فى النهاية وجـدت اننى لا أقوى على تجاوزها فهى الحقيقة التى تعلو فوق كل الحقـائق .. وهى أن كل ما تحقق وما لم يتحقق انما برجع أولا واخيرا لمشيئة الله عز وجل ، ولولا توفيقه سبحانه وتعالى ماكان بمقدورنا مهما فعلنا أن نحقق أيا من هذه الانتصارات ، فلقد كان الله معنـا بقـدر ماكنا نحن

معه ، على عكس الأمر فى حرب يونيو ٦٧ فلقد تخلى الله عنـــا بقـــدر ماكنا نحن بعيدين عنه » .

.. وبعــد تسجيلنا لهــذه الحقيقة ، يمكننا الآن أن نستعرض ـ دون خشية الوقوع فى محظور الغــرور والخيــلاء ـ أبرز الدروس والخبرات المستفادة دون أن نغفل لحظة انهــا جميعها أبرزتها انجازات وأعمال ما كان من الممكن أن تتم لولا جهد الرجال وتضحية الشهــداء وتوفيق الله وهداه . وينبغى أن أشير الى أن الدروس والخبــرات المستفادة التى اخترت أبرزها لـم أتعمد ترتيبها وفقا لأى اعتبار ، بل تركت الأمــر رهنا فقط بترتيب ورودهــا فى الذهن والخــاطر ، ولى فى ذلك قصد لا يخفى على القــارىء ..

١ ـ انهيار نظرية الكيف الاسرائيلى فى مواجهة الكم العربى :
Quality Versus Quantity

لقد أثبتت نتائج المعارك التى خاضها رجال الدفاع الجـوى المصرى ضد القوات الجوية الاسرائيلية بطلان نظرية التفـوق الاسرائيلى التى تقوم على أن التفوق النوعى لاسرائيل كفيــل بهـزيمة الـكم المتخلف العربى . فلقد أثبت رجال الدفاع الجوى المصرى أن التفوق العـلمى والتكنولوجى والمقدرة على استيعاب واستخدام الأســلحة الحـديثـة والمعقدة وبصفة خاصة الأسلحة الألكترونية ليس حـكرا على شعب من الشعوب ، فقد استطاع المقاتل المصرى بالايمان العميق والتنظيم الجيد والتخطيط العلمى أن يستــوعب اعقد المعدات وأكثرهــا تطــورا وأن يطوعها لارادته ويكون سيدا لهـــا فأحرز بها نتائج تفوق بكثــير ما قدره لهـــا صانعوها .

وها هى نماذج لبعض تعليقات المعلقين العسكريين التى أعلنوا بها للعالم بطلان نظـرية التفوق الاسرائيلى .. ، فتقــول مجلة « تايــم » الأمريكية فى عــددها الصـــــادر يوم ٥ نوفمبر ٧٣ مانصـــــه : « أن

التكنولوجيا المصرية قد جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال قد ذهب فى ذمة التاريخ » .

وها هو شاهد من أهلها . . فقد نشرت الجيروزاليم بوست نقلا عن أحد قادة القوات الجوية الاسرائيلية ما نصه : « ان الدفاع الجوى المصرى يتمتع بكفاءة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحروب ، تفوق تلك التى واجهها الأمريكيون فى فيتنام » .

ويقول الخبير العسكرى الأمريكى «ميدلتون» فى تحليل له نشر يوم ١٥ أكتوبر ٧٣ : « من المرجح أن السلاح الجوى الاسرائيلى سيقاتل وهو لا يتمتع بميزة التقدم التكنولوجى ويتفق الخبراء فى شئون الطيران على أن القتال فى جبهة سيناء قد اظهر مقدرة مصر على توفير دفاع جوى متماسك لقواتها البرية . .»

٢ ـ الدفاع الجوى يمكنه تحييد القوات الجوية :

يعتقد العديد من الخبراء العسكريين فى العالم ان أبرز دروس حرب أكتوبر ٧٣ هو تلك الحقيقة الجديدة التى اثبتتها قوات الدفاع الجوى المصرية فلقد أصبح فى مقدرة اى جيش يمتلك شبكة متطورة من وسائل الدفاع الأرضية تحييد القوات الجوية فى ميدان القتال حتى ولو كان يواجه عدوا جويا متفوقا .

فلقد جاء فى «الهيرالدتريبيون» فى مقال بقلم « درو ميدلتون » تحت عنوان (الولايات المتحدة تنتقد اسرائيل بسبب اخطائها فى الحرب) ما نصه : « دلت جميع التقارير على ان المخابرات الاسرائيلية كانت تتصرف تحت تأثير فكرة متسلطة عليها تتمثل فى ان مصر لا تستطيع الهجوم الا اذا توافرت لديها قوات جوية كافية لتوجيه ضربة قاصمة للسلاح والقواعد الجوية الاسرائيلية ، ولم تضع فى اعتبارها أن نيران الدفاع الجوى الأرضية يمكنها تحييد القوات الجوية فى معركة هجومية وهو عنصر المفاجاة فى الموضوع » .

ويقول « الجنرال أندريه بوفر » أبرز قادة الفكر العسكرى المعاصر فى ندوته التى عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية بالقاهرة يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ : « لقد أدى توفير الصواريخ المضادة للطائرات لتقديم الوقاية الفعالة للقوات البرية ـ حتى فى غياب الحماية بواسطة الطائرات ـ أدى الى خلق موقف جديد تماما لم يسبق ممارسته فى الحروب السابقة وأعنى به ذلك التوازن بين القوات الجوية لدى الطرفين الذى خلق موقفا يختلف تماما عما لمسناه فى الحرب العالمية الثانية ، أو فى الجولات المصرية الاسرائيلية السابقة ، عندما كان أحد الخصوم ينجح فى احراز التفوق او السيطرة الجوية على سماء المسرح خلال المرحلة الافتتاحية أو المرحلة الأولى للحرب » .

٣ ـ الدفاع الجوى يشارك فى احراز المفاجأة :

لقد أسهمت قوات الدفاع الجوى المصرى باضافة هامة لفنون الحرب عندما شاركت لأول مرة فى تاريخ الحروب بالعمل الايجابى النشط فى تحقيق المفاجأة التى أحرزتها القوات المصرية بنجاح كامل . فلقد استطاعت شبكة الصواريخ المضادة للطائرات المصرية ـ عن طريق تصديها المستمر والفعال لطائرات الاستطلاع الجوى الاسرائيلى طوال فترة وقف اطلاق النار التى سبقت حرب أكتوبر ٧٣ ـ أن تجبر العدو الاسرائيلى على التخلى نهائيا عن هذا الأسلوب لجمع المعلومات ووفرت بذلك أفضل الظروف للقوات البرية للتحضير لعمليات أكتوبر المجيدة وهى فى امان بعد أن حرمت العدو من أهم مصادره لجمع المعلومات ونحن اذ نسجل هذه الحقيقة التى اعترف بها العالم كما أوضحنا فى الفصل السادس لا نغفل عما يجرى الآن من تطوير فى وسائل ومعدات الاستطلاع الجوى ؛ فلا شك ان هذا الانجاز الذى حققته قوات الدفاع الجوى المصرية قد اسهم بقدر عظيم فى دفع عجلة برامج تطوير معدات التصوير والاستطلاع الجوى والالكترونى بما يمكنها من آداء عملها

دون الدخول فى نطاق نيران أسلحة الـدفاع الجوى ، ولـكن بالرغم من ذلك فسيظل لهـذا الانجاز قيمته وفعاليته لعـدة سنوات قادمة ، فالأقمار الصناعية لبست فى متناول الجميع وليست كل الدول بقـادرة على امتلاك طـائرات استطلاع جـوى مثل الطائرة الأمريكية S R 71 أو الطائرة السوفيتية « فوكس بات » .

٤ ـ الحروب الحديثة باهظة التكاليف :

هناك نظرية معروفة فى العلم العسكرى تقول « ان كل ما يمـكن رؤيته يمكن ضربه » . ولكن النتائج المذهلة التى حققهـا الاستخـدام المكثف للصواريخ المضادة للدبابات والصواريخ المضـادة للطـــائرات بواسطة القوات المصرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ أجبرت مراكز الأبحاث العسكرية فى العالم على تعديل هذه النظرية لتصبح : «ان كل ما يمكن رؤيته يمكن ضربه وما يمكن ضربه يمكن تحطيمه » . وهـذه الصيغـة الجديدة تعنى فى علم التقديرات العسكرية تعاظم الخسائر ومعـدلات الاستهلاك ، الأمر الـذى ينبغى ان يوضع فى الاعتبـــار عنـد تخطيط وتقدير الاحتباطيات . ولقـد أغفلت اسرائيل تطبيق هذا المبدأ مما جعلها تواجه موقفا عصيبا خلال الأيام الأولى لحرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما فقدت كل مخزونها من المعدات والذخائر ، ولولا مسارعة الولايات المتحـــدة الأمريكية لنجدتها من الاحتياطى الاستراتيجى للقوات المسلحة الأمريكية لكانت هزيمتها كاملة .

ويعتبر هذا الدرس من ابرز الدروس المستفادة من حرب اكتوبر ٧٣ التى أولتهـا الدوائر العسكرية العالمية اهتمامـا بالغا ، فحلف الأطلنطى يعيد حساباته لأى مجابهات قـد تقع مســـتقبلا مع حلف وارسو طبقا للصيغة الجديدة للنظرية السابق الاشارة اليها ، كما اتجهت الدوائـر العسكرية الأمريكية الى ادخـال معدلات الخسائر المتوقعة وفقا لنتائج حرب أكتوبر ٧٣ كأحد العوامل الرئيسية التى تحـكم تحديد القدرات

الانتاجية للتصنيع الحربى ، فعلى سبيل المثال تقرر زيادة الانتاج الشهرى للدبابات فى الولايات المتحدة الأمريكية من ٣٠ دبابة شهريا خلال عام ١٩٧٣ الى ٦٤ دبابة خلال عام ١٩٧٥ وسيزداد ليصل الى ١٠٠ دبابة شهريا فى فبراير ١٩٧٧ ومن المنتظر أن يبلغ ١٢٠ دبابة شهريا فى يناير ١٩٧٨ . ومن البديهى أن ما ينطبق على الدبابات ينطبق أيضا على الطائرات وغيرها من معدات واسلحة القتال .

٥ ـ الاعاقة الالكترونية يمكن مقاومتها :

لقد كانت حرب أكتوبر ٧٣ هى أول حرب الكترونية فى التاريخ فقد شهدت هذه الحرب استخداما مكثفا لكل ما توصل اليه العلم والتكنولوجيا فى هذا المجال وواجهت قوات الدفاع الجوى المصرى فى هذه الحرب أحدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية من معدات وفنون الاعاقة الألكترونية بكافة صورها وأشكالها .. وتشهد النتائج التى احرزتها قوات الدفاع الجوى المصرى فى حرب أكتوبر ٧٣ بأن هذه الاعاقة لم يكن لها التأثير ولا الفعالية التى كانوا ينشدونها منها ، وبذلك أمكن لقوات الدفاع الجوى المصرى تحقيق المبدأ القائل « ان أى جهاز رادار يمكن اعاقته ، وأيضا كل اعاقة يمكن مقاومتها » .

« Any radar can be jammed, any jammer can be countered »

وقد اعترف القادة الاسرائيليون بفشل أعمال الاعاقة الألكترونية ضد الدفاع الجوى المصرى فى حرب أكتوبر ٧٣ ، وان كانوا قد حاولوا التهوين من أمر هذا الفشل بالتشكيك فى جدوى الاعاقة الألكترونية أصلا . فقد نشرت مجلة « افييشن ويك » فى عددها الصادر فى ١٠ مارس ١٩٧٥ ما نصه « ان القوات الجوية الاسرائيلية تشكك فى قيمة أعمال الاعاقة الالكترونية فى حرب أكتوبر ، وبالاضافة الى ذلك فقد صرح أحد جنرالات القوات الجوية الاسرائيلية قائلا « ان

وسائل الاعاقة الالكترونية تشبه تزويد جندى المشاة بمجموعة اسعافات أولية بدلا من تزويده بعدد اضافى من الطلقات لبندقيته » .

ويرجع الفضل فى نجاح قوات الدفاع الجوى المصرية فى مقاومة اعمال الاعاقة الالكترونية الى العديد من الاجراءات التى اتخذت قبل واثناء القتال ، واذا كان الوقت لم يحن بعد للكشف عن ماهية هذه الاجراءات لأسباب لا تخفى على أحد ، الا أنه يمكن بصفة عامة تلخيص هذه الاجراءات فيما يلى :

- تعديلات فنية فى معدات الدفاع الجوى علاوة على ما تشمله اصلا من دوائر الكترونية مضادة لتأثير اعمال الاعاقة الألكترونية المعادية
- أساليب مبتكرة للتمويه والخداع الألكترونى .
- التدريب الطويل المستمر تحت ظروف أعمال الاعاقة الألكترونية المحتملة .

وبالرغم من الامكانيات الكبيرة التى تتوافر حاليا لدى قوات الدفاع الجوى المصرى فى هذا المجال ، فما زالت هذه القوات تعمل بصفة مستمرة على رفع قدراتها فى العمل تحت ظروف أعمال الاعاقة الألكترونية واضعة فى اعتبارها كل ما تزود به العدو من وسائل جديدة فى هذا المجال بعد حرب أكتوبر وهى تتابع فى يقظة وحذر الأبحاث الجارية حاليا لتطوير معدات واساليب الحرب الالكترونية .

٦ ـ وحدة القيادة ضمان للنجاح :

هناك موضوع ظل لفترة طويلة مثار مناقشات ودراسات متعددة . .وهو البحث عن أنسب أسلوب لتنظيم السيطرة على قوات الدفاع الجوى بشقيها ، دفاع جوى الدولة الذى يختص بحماية الأهداف الحيوية الهامة فى الدولة ، ودفاع جوى القوات البرية الذى يختص بوقاية القوات البرية خلال المراحل المختلفة للقتال . فبعض الدول تأخذ بفكرة وحدة القيادة بمعنى أن يكون هناك قائد واحد يتبعه كلا

النظامين ، ودول أخرى تأخذ بفكرة الفصل بأن تكون هناك قيادة لقوات دفاع جوى الدولة وقيادة اخرى مستقلة لدفاع جوى القوات البرية ، ولقد دخلنا الحرب ونحن نأخذ بمبدأ وحدة القيادة وكنت حرب اكتوبر ٧٣ هى المحك العملى الوحيد لاثبات صلاحية النظام الذى اخترناه من عدمه ..

والآن وعلى ضوء الممارسة العملية ، يمكننا ان نقرر فى ثقة أن توحيد مسئولية القيادة والسيطرة على جميع عناصر الدفاع الجوى امر بالغ الأهمية لضمان استخدام كل الامكانيات المتوفرة بناء على فكرة شاملة لقيادة واحدة ينجمع عندها الموقف بجميع أبعاده ويتقرر بواسطتها اتجاهات ومهام التشكيلات والوحدات المرءوسة ، علاوة على ما يتيحه ذلك من توفير أمكانيات أكبر فيما يختص بالنواحى المختلفة لتامين أعمال قتال عناصر الدفاع الجوى .

وينبغى هنا أن نؤكد أن اقرارنا لمبدأ وحدة المسئولية لا يعنى التجاوز عن تفهم اختلاف طبيعة عمل عناصر دفاع جوى القوات البرية وما يتطلبه ذلك من نوعية خاصة من المعدات والأسلحة تتميز بخفة حركة عالية وتدريب مناسب وما يستتبع ذلك من اختلاف فى أساليب التدريب والاعداد للقيادات والقوات ونظام السيطرة عليها فى المراحل المختلفة للقتال . ولذلك نرى أن الحل المناسب هو ايجاد جهاز مختص ضمن اجهزة قيادة الدفاع الجوى وتحت السيطرة المباشرة لقائد الدفاع الجوى يتولى مهام التخطيط والتدريب والاعداد لعناصر د جو القوات البرية ، وبذلك نجنى ثمار وحدة المسئولية مع عدم اغفال حتمية النزوع الى التخصص .

٧ ـ نظرة جديدة الى التوازن بين عناصر الدفاع الجوى :

يرى كثير من المفكرين العسكرين أن النتائج الرائعة التى احرزتها وسائل الدفاع الجوى الارضية المصرية سيكون لها انعكاسات خطيرة

على النظم الدفاعية وسياسات التسليح لمعظم الجيوش فى العالم ، خاصة فيما يتعلق بالتوازن بين عناصر الدفاع الجوى الأرضية والمقاتلات الاعتراضيــــة .

فعلى سبيل المثال صرح خبيـــر عسكرى بريطانى بـارز هـــو «البريجادير كينيت هانت» نائب مدير المعهد الـدولى للـدراسـات الاستراتيجية بقوله :

« ان حرب الشرق الأوسط قد غيرت بالفعل أفكارا عديدة عـن التوازن بين الطائرات المقاتلة ووسائل الدفاع الجوى الأرضية ، وبين الدبابات والسلاح المضاد لها ، فلقد واجهت السيطرة التى تمتع بهـا دائما السلاح الجوى الاسرائيلى تحديا خطيرا من جانب الصواريخ المصرية كما أصبح تفوق الدبابات الاسرائيلية فى المعركة موضع شك كبير أيضا ».

فقبل حرب أكتوبر ٧٣ كانت أنظمة الدفاع الجوى فى معظم دول العالم وعلى وجه الخصوص فى دول حلف الأطلنطى تعتمد اساسا على الطائرات المقاتلة باعتبارها العنصر الرئيسى« main element » فى الدفاع الجوى ، ويقتصر دور الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات كعناصر مساعدة لتوفير الدفاع المضاد للطائرات المباشر عـن بعض الأهـداف الحيوية ، ولعل ذلك يفسر تركيز مصانع الأسلحة فى دول حلف الأطلنطى انتاجها اساسا فى مجال الدفاع الجوى على نوعيات معينة من الصواريخ المضادة للطائرات وهى الصواريخ م/ط الخفيفة قصيرة المدى ، فى الوقت الذى تكاد تخلو فيه ترسانة الأسلحة الغربية من الصواريخ المضـادة للطائرات متوسطة وبعيدة المدى .

واختلف الحال بعد ٦ أكتوبر ٧٣ فقد أجبرت النتائج التى احرزتها قوات الدفاع الجوى المصرية الدوائر العسكرية الغربية على اعادة النظر فى أنظمــة دفاعها الجوى فيما يختص بالتـوازن بـين الطائرات المقاتلة

والصواريخ المضادة للطائرات وأكدالعديد من المفكرين العسكريين الغربيين على اهمية الدور الذى يجب ان تلعبه الصواريخ المضادة للطائرات ، فاذا كانت الطائرات المقاتلة هى العنصر الرئيسى « Main element » فالصواريخ المضادة للطائرات ينبغى أن تكون العمود الفقرى « Backbone » للدفاع الجوى .

وانعكست هذه الأفكار على خطط التصنيع العسكرى وسياسات التسليح ، فرصدت الولايات المتحدة الأمريكية مبالغ طائلة لتطوير وتصنيع طراز جديد متطور من الصواريخ المضادة للطائرات« SAM-D» ذات امكانيات كبيرة من ناحية المدى والارتفاع والقدرة على الاشتباك مع عدة أهداف فى نفس الوقت « أى متعدد قناة الهدف » .

وعلى ضوء هذا المفهوم الجديد حاول فريق من الباحثين العسكريين ايجاد نسب محددة تحقق التوازن بين كل من المقاتلات الاعتراضية والصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات ، وخلص بعضهم الى أنه ينبغى عند تخطيط الدفاع الجوى عن هدف حيوى ما ان يخصص الحجم اللازم من الوسائل بما يحقق أن تقوم المقاتلات الاعتراضية بتدمير ٤٠٪ من الطائرات المعادية المستهدف تدميرها وتقوم الصواريخ المضادة للطائرات بتدمير ٤٠ ٪ بينما تتولى المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ الفردية تدمير ٢٠٪ ، أى أنه اذا كان المطلوب لافشال هجمة جوية ما هو تدمير خمس طائرات معادية فعلى المقاتلات تدمير طائرتين ، ومثلها للصواريخ بينما تتولى المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ الفردية تدمير الطائرة الخامسة .

وبالرغم مما يبدو على وجهة النظر هذه من وجاهة الا أننا لا نستطيع أن نؤيدها بصورة مطلقة ، فالأمر لا ينبغى أن يؤخذ بجمود أو ببساطة ، فالنسب بين عناصر الدفاع الجوى التى تحقق التوازن المطلوب ينبغى أن تختلف من اتجاه لآخر وبين هدف حيوى وغيره وفقا لحجم وشكل وطبيعة ومكان الهدف الحيوى وشكل وطبيعة

الهجمات المتوقعة ضده ، كما تختلف النسب عند تخطيط الدفاع الجوى عن القوات البرية طبقا لاتجاه المجهود الرئيسى وطبيعة مسرح العمليات وقرب او بعد المطارات التى تعمل منها المقاتلات . وفى جميع الاحوال يجب أن يتم التقدير لكل حالة فى اطار من التقدير الشامل لحجم القوات الجوية المعادية وتكتيكاتها وأساليب قتالها .

٨ ـ المعادلة الصعبة بين التكنولوجيا المتطورة وسهولة الاستخدام :

أجمع العديد من المفكرين العسكريين على أن حرب اكتوبر ٧٣ تعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ الحروب ، فلقد أبرزت تلك الحرب ان التكنولوجيا اصبحت تمثل عنصرا ذا أهمية متزايدة فى الحرب الحديثة ، ولا شك ان هذه الحقيقة تفرض اعادة النظر فى العديد من المفاهيم والنظريات العسكرية التى ظلت سائدة لفترة طويلة من الزمن ولعل ابرز المشاكل التى تواجهها الآن الجيوش الحديثة تلك المشكلة الناشئة من الاتجاه المتزايد نحو استخدام الأسلحة المتطورة المعقدة Sophisticated modern Weapons فمعظم هذه الأسلحة تتطلب افرادا ذوى خبرة ودراية عالية وعلى مستوى نفسى وعقلى عال Sophisticated men الأمر الذى يؤكد ان القوة العسكرية لأى دولة لم تعد تقاس بصورة مطلقة وفقا للعناصر المكونة لها من تسليح وقوة بشرية وانما أصبحت تقاس بصورة نسبية وفقا لنوعية القوة البشرية وقدرتها على استيعاب الأسلحة والمعدات المتطورة . والمشكلة ان الأمر لا يقتصر فقط على توفر النوعية المناسبة من الافراد بل ينبغى ايضا ان يتيسر الوقت اللازم والكافى ليمكن لهؤلاء الافراد استيعاب الأسلحة المتطورة والتفاعل معها فى مجال التصنيع الحربى لانتاج اسلحة متطورة عالية الكفاءة وتكون فى نفس الوقت سهلة الاستخدام والصيانة ويمكن للفرد التعامل والتفاعل معها واكتساب الخبرة والدراية اللازمة وهو ما يتعارض مع فترة التجنيد المحدودة المعمول بها فى معظم جيوش العالم

وهكذا لم يعد هناك فى مواجهة هذه المشكلة سوى احد حلين : اما العمل على زيادة فترة التجنيد أو تركيز الجهود فى مجال التصنيع الحربى لانتاج أسلحة متطورة عالية الكفاءة ، وتكون فى نفس الوقت سهلة الاستخدام والصيانة ، ويمكن للفرد التعامل والتفاعل معها بسهولة وكلا الحلين شاق وصعب ، فزيادة فترة التجنيد تتعارض مع خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ؛ كما أن تصنيع أسلحة متطورة وفى نفس الوقت سهلة الاستخدام يتطلب تكاليف باهظة ولعل ذلك يفسر الاهتمام البالغ الذى أولته الدوائر العسكرية فى العالم للنتائج الرائعة التى أحرزتها صواريخ الكتف المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات فى حرب أكتوبر ، فهذه الصواريخ تعتبر نموذجا رائعا لما يجب أن تتجه اليه التكنولوجيا فى المجال العسكرى لايجاد أسلحة متطورة ذات فاعلية عالية وتتميز بسهولة الاستخدام ولا تتطلب تكاليف باهظة .

٩ ـ تجديد شباب الأسلحة والمعدات :

من المعروف أن من اولى واجبات اى قيادة عسكرية القيام بعملية تقييم مستمرة للأسلحة والمعدات المتوافرة فى أيدى قواتها على ضوء التطوير فى أساليب ومعدات وأسلحة الخصم ، وعليها اذا احتاج الأمر أن تتخذ القرارات بالتخلى عن أى أسلحة ومعدات يثبت تخلفها وعدم قدرتها على مجاراة التطور فى أسلحة ومعدات العدو ، وعليها فى هذه الحالة ان تعمل بكل الوسائل على توفير بديل مناسب .

ولا ندعى أن حرب أكتوبر ٧٣ قد أثبتت بطلان هذه الاعتبارات ، بل على العكس فقد أكدت على اهميتها .. ولكن أبرزت هذه الحرب درسا مستفادا على قدر بالغ من الأهمية خاصة بالنسبة للدول النامية التى ترهقها الأعباء المالية الضخمة التى تترتب على ضرورة مسايرة التطور فى الأسلحة والمعدات ، فلقد اثبتت قوات الدفاع الجوى المصرى

انه يمكن عن طريق التطوير المستمر للاستخدام الفنى والتكتيكى وادخال تعديلات فنية اضافية على الاسلحة والمعدات المتيسرة رفع كفاءة هذه الاسلحة للاستفادة من اقصى امكانية لها فى مواجهة تطور المعدات والاسلحة المضادة ، وينبغى عدم اللجوء الى سلاح جديد الا كحل اخير .

١٠ ـ المدفعية المضادة للطائرات ما زال لها دور أساسى :

ارتفعت بعض الأصوات فى الدوائر العسكرية فى أعقاب حرب اكتوبر ٧٣ تعلن انتهاء دور المدفعية المضادة للطائرات على ضوء الانجازات الرائعة التى حققتها الصواريخ المصرية المضادة للطائرات فى هذه الحرب . ونبادر نحن على الفور ونعلن ـ من واقع الممارسة العملية ـ عدم موافقتنا على هذه الآراء ، فان المدفعية المضادة للطائرات الصغيرة العيار وذات معدلات النيران العالية ما زال لها دور فى معارك الدفاع الجوى الحديث فى المستقبل « not outdated » ضد الطيران المنخفض جدا ، خاصة عندما تعمل فى تزاوج مع الصواريخ المضادة للطائرات الخفيفة .

« Rockets with interlacing of small caliber anti-aircraft guns »

والى اصحاب هذه الأصوات نقول اسألوا الطيارين الاسرائيليين .. ماذا تعنى بالنسبة لهم المدافع المضادة للطائرات المتعددة المواسير عيار ٢٣ مم وهى تشترك مع صواريخ الكتف المنخفضة المعروفة باسم سام ـ ٧ فى مهمة حماية الكبارى والمعابر المقامة على القناة ضد الهجمات المنخفضة جدا ؟ ..

١١ ـ المراقبة الجوية بالنظر تؤكد دورها البارز فى معركة الدفاع الجوى:

أولت قيادة قوات الدفاع الجوى منذ انشائها اهتماما بالغا للمراقبة الجوية بالنظر فقامت بانشاء نظام متكامل من نطاقات نقط المراقبة الجوية بالنظر على طول الحدود شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، ولقد

واجه هذا الاهتمام انتقادا عنيفا من البعض الذين استغربوا ان تبذل القيادة كل هذا الوقت والجهد لانشاء نظام بدائى فى نظرهم يعتمد أساسا على الفرد فى عصر الرادار والحاسبات الألكترونية ، ولكن كان لنا رأى آخر أكدت التجربة العملية خلال حرب الاستنزاف وخلال حرب أكتوبر ٧٣ صحته وجدواه فقد استخدم نظام المراقبة الجوية بالنظر جنبا الى جنب مع اعقد الأجهزة الالكترونية فى تجانس تام وذلك لتأكيد كشف طائرات العدو التى تحاول التخلص من الكشف الرادارى بالطيران على ارتفاعات منخفضة جدا أو عند محاولة العدو استخدام الاعاقة الالكترونية لارباك عمل أجهزة الرادار .وقد قام الرجال العاملون بنقط المراقبة الجوية بالنظر رغم ظروف المعيشة الصعبة وبعد أماكن تواجدهم عن كل مظاهر الحياة الطبيعية بواجبهم خير قيام وشكلوا بذلك حزاما بشريا يطوق رقعة الوطن من كل اتجاه وكان لهم الفضل الأكبر فى احباط محاولات العدو الجوى العديدة لمفاجاتنا واعترف بذلك القادة الاسرائيليون حيث أطلق عليهم « موشى ديان » اسم « الحزام الأسود اللعين » . ولقد لعبت نقط المراقبة الجوية بالنظر دورا هاما فى التبليغ عن عمليات تسلل العدو البرى والبحرى والضفادع البشرية التى حاول العدو انزالها على سواحلنا الشمالية بالاضافة الى التبليغ عن نتائج المعارك الجوية وأماكن تساقط طائرات وطيارى العدو ، كما كانت هناك نماذج رائعة من البطولة والتضحية قام بها أفراد المراقبة الجوية بالنظر أثناء المعارك رغم تعرضهم للقذف الجوى والأرضى المعادى حيث قاموا بتغيير أماكنهم الى مواقع تبادلية واستمروا رغم كل الظروف فى العمل والتبليغ عن النشاط المعادى .

١٢ ــ مبادىء الحرب صالحة للتطبيق أيضا فى الدفاع الجوى :

دأب المفكرون العسكريون ــ على مر العصور ــ على استخلاص خبرات الحرب وصياغتها فى مبادىء تعتبر دليلا للنجاح فى أى صراع مسلح .

ولقد تبلورت مبادىء الحرب من سنين طويلة واصبحت تتصف بثبات نسبى وان تطورت اساليب تطبيقهامع نطور فن الحرب واسلحته. ولقد ظن بعض الذين بهرهم التطور المذهل فى معدات واسلحة الدفاع الجوى والهجوم الجوى على السواء ان مبادىء الحرب هذه لن يمكنها أن تصمد أمام هذا التطور السريع ولن تصلح للتطبيق فى معارك تتصارع فيها العقول والحواسب الالكترونية وتحسم فى ثوان قليلة خاطفة .

.. وجاءت نتائج اعمال قتال قوات الدفاع الجوى المصرى فى حرب أكتوبر ٧٣ تبرهن على أن مبادىء الحرب صالحة تماما للتطبيق فى معركة الدفاع الجوى .

فالمفاجأة مثلا تم تحقيقها على المستوى الاستراتيجى والتعبوى كما اوضحنا فى فصل سابق ، اما على المستوى التكتيكى فقد حققت قوات الدفاع الجوى المفاجاة فى صور واشكال متعددة ، فعلى سبيل المثال كانت نوعية مقاتل الدفاع الجوى اعظم واكبر المفاجآت ، فلقد كان هذا المقاتل بحق هو السلاح السرى الحقيقى الذى فاجأ العدو وليس كما ردد بعض المعلقين الغربيين الذين عزوا النجاح الى الصواريخ سام ــ ٦ تارة والى الصواريخ سام ــ ٧ تارة أخرى...
.. ويعترف « موشى ديان » بذلك فى معرض حديثه عن الصواريخ المصرية اذ يقول : « لقد كان الجيش الاسرائيلى يعلم بوجود هذه الأسلحة ولكن عنصر الدهشة كان فى استخدام الجيش المصرى لهذه الأسلحة بكثافة وكفاءة »

والمفاجاة الأخرى التى حاول ديان انكارها فانها تكمن فى نجاح قوات الدفاع الجوى المصرى فى اخفاء حجم ونوعية العديد من الأسلحة الحديثة التى كان استخدامها بكثافة كبيرة فى المجهود الرئيسى فى حرب أكتوبر مفاجاة اخرى للقوات الجوية الاسرائيلية . وتشير الى ذلك الدراسة التى أصدرها أخيرا المعهد الدولى للدراسات

الاستراتيجية بلندن تحت عنوان « الحرب العربية الاسرائيلية اكتوبر ٧٣ ــ خلفية وأحداث » اذ جاء بها مانصه : « وكان يبدو على الاسرائيليين اما انهم لا يعلمون بحصول العرب على صواريخ ســام ــ ٦ وسام ــ ٧ والمدافع الرباعية ٢٣ مم أو انهم لا يقيمون وزنا لقدرة اعدائهم عــلى استخدام أسلحتهم ، وليس من المحتمل أن تستخف اسرائيل بمثل هذا الأمر مرة أخرى » .

ولم تكن تلك فقط هى النواحى التى حققت فيها قوات الدفــاع الجوى مفاجأة العدو الاسرائيلى فلقد فوجىء الطيران الاسرائيلى بعدم جدوى أعمال الاعاقة الالكترونية على كفاءة اداء قوات الدفاع الجوى المصرى التى نجحت فى اخفاء الترددات التى تعمل عليها معــداتهــا والتى بدون معرفتها لا يمكن لأى اعاقة أن تنجح ، كذلك فوجىء العدو بالسرعة الفائقة التى كانت تتم بها المناورة بقواعد الصواريخ المضــادة الطائرات التى ظنها ثقيلة وغير قادرة على الحركة السريعة .

ولقد تكبد الطيران الاسرائيلى خسائر فادحة عندما فوجىء بقواعد الصواريخ التى تصور انه تمكن من اسكاتها قد تم استعادة موقفها فى زمن قياسى وعادت تكبده الخسائر من جديد . وكانت معارك الدفــاع الجوى فى بورسعيد خير نموذج لهذا النوع من المفاجأة .

والحشد انه اكثر مبادىء الحرب صعوبة فى التطبيق بالنسبــة للدفاع الجوى .. فالأهداف الحيوية المطلوب توفير الدفاع الجــوى عنها تنتشر بالعشرات باتساع رقعة الدولة وتوزيع المواد المتاحة من عناصر الدفاع الجوى على جميع هذه الأهداف لن يحقق شيئا سوى بعثرة الجهود وتشتيتها .. اذا فالأمر يحتاج الى تقدير متزن للموقف وقرار سليم يحدد لكل مرحلة من مراحل القتال اى الأهــداف يتم تركيز الدفاعات عليها وحجم هذه الدفاعات ومتى ينبغى أن يتم الحشد ، ولعل القارىء يتفق معنا انها عملية بالغة التعقيد والحساسية ولكن بتوفيق

الله وهداه امكننا تنفيذ الحشد المطلوب لوقاية الأهداف المستهدفة لهجمات العدو الجوية فى مراحل القتال المختلفة بكفاءة تامة يشهد بها العدو نفسه . فلقد فوجىء فى كل مرة حاول فيها مهاجمة هدف حيوى مهما كان موقعه ، ان عناصر الدفاع الجوى قد سبقته الى الهدف وكان ذلك دليلا اكيدا على ان قوات الدفاع الجوى المصرى تطبق الحشد على اروع صورة .

والمناورة وخفة الحركة أو كما قال نابليون « السرعة السرعة ثم العمل « Speed, speed, action » لقد كان تطبيق هذا المبدأ يمثل تحديا لقوات الدفاع الجوى المصرية ، فمعظم قواعد الصواريخ التى نملكها وقتئذ من النوع المصمم اصلا لوقاية الأهداف الحيوية الثابتة . وكنا نعلم اننا اذا لم ننجح فى تطبيق هذا المبدأ فلن نحقق النصر .. وحققنا النصر لأننا نجحنا فى تحويل هذه المعدات النصف متحركة البطيئة الى معدات ذات قدرة اعلى على المناورة ، وقد أوضحنا فى فصل سابق الجهود الجبارة التى بذلت فى هذا الشأن .

ولم يكن ذلك كل شيء فقد تطلب الأمر انشاء شبكة من المواقع ومراكز القيادة التبادلية زودناها بوسائل المواصلات المختلفة لنضمن لأعمال المناورة النجاح . هذا ولاننا اعددنا انفسنا جيدا للمناورة قبل بدء القتال ، فقد كان استخدامنا لها أثناء الحرب على أوسع نطاق ، وحققنا بها اهدافا عديدة ، اذ أمكننا تضليل العدو دائما عن حقيقة اوضاع قواتنا وتمكنا بذلك من مفاجاته بنيران مؤثرة من حيث لا يتوقع وبالمناورة أيضا أمكننا تحقيق الدعم اللازم فى الوقت المناسب للاتجاهات الأكثر تعرضا ، كما لعبت المناورة دورا هاما فى اعمال استعادة الموقف واستعاضة الخسائر .

الاخفاء والخداع : كان تطبيق هذا المبدأ مجالا خصبا للمقاتل والمخطط المصرى لاستخدام ذكائه الفطرى ، ولقد حفل العمل فى هذا

المجال بالعديد من المبادرات الفردية والجماعية المنسقة التى حققت بتكاليف زهيدة نتائج رائعة وكان لها الفضل فى امتصاص مجهـــود العدو الجوى والبرى على السواء الذى ضاع فى مهاجمة المواقع التبادلية والهيكلية ، كما كان لأعمال الخداع الالكترونى دور بارز فى اربـــاك طيارى اسرائيل وافقادهم الثقة فى معداتهم واسلحتهم .

نظرة الى المستقبل

.. والآن ينبغى علينا ان نتساءل . ترى مـاذا يحمل لنا المستقبل فى طياته من تحديات للدفاع الجوى ؟ .

ان الكابوس الذى يؤرق القيادة الاسرائيلية هو ذلك النظـام المتكامل للصواريخ المضادة للطائرات الذى تمتلكه مصر والذى لقنهم فى حرب اكتوبر درسا لا ينسى ، لقد جربوا فى تلك الحرب احـدث التكتيكـات واسـاليب القتـال واستخدموا احـدث وسـائل الاعاقة الالكترونية واكثرها تطورا كما جربوا ازدواج الأعمال البرية مع القصف الجوى ضد مواقعنا ، ولم تفلح كل هذه الاجراءات .. وفقدت اسرائيل اطمئنانها فقد كانت قواتها الجوية هى عنصر الردع الرهيب الـذى يكفى ان تلوح به لترتعد فرائص العرب وتخمد حماستهم ويستسلموا للأمـر الواقـع ..

.. ولكن ها هو الدفاع الجـوى المصرى ينجح فى تقـليص دور الطيران الاسرائيلى وتحييده فى أثناء الحرب ، ولم يجد قائد القـوات الجوية الاسرائيلية وقتئذ بدا من الاعتراف بالحقيقة حيث اعلن عقب انتهاء حـرب اكتـوبر : « ان على اسرائيل ان تتخلى عن أى أمل فى اصابة الدفاع الجوى المصرى بالشلل فى أى حرب قادمة اعتمادا على كفاءة الطيارين الاسرائيليين » .

وبعد ماحصلوا على الصواريخ أرض / أرض « لانس » قالــــوا انها ستستخدم اساسا ضد قواعد الصواريخ المضـادة للطائرات وانهم بذلك وجدوا الحل لمشكلة تحدى الصواريخ المضادة للطائرات للطـيران الاسرائيلى ، ولكن يبدو بعد أن راجعوا انفسهم وجدوا أن هذا الحـل ايضا غير كاف ، فلجأوا الى الصواريخ « بيرشنج» فلما تعذر عليهـم الحصول عليها ، فكروا فى قنابل الارتجاج وطلبوها بالحاح من الولايـات المتحدة الأمريكية لتكون سلاح الردع الجديد ضد قواعد الصواريـخ المضادة للطائرات المصرية . ولم تستجب الولايات المتحدة الأمريكية فجن جنونهم وارتفعت بعض الأصوات داخـل اسرائيل تلوح بالـردع النووى ونسوا ان لعبة الردع النووى ليست لعبـة الـدول الصغيرة وعلى اسرائيل ان تتحمل النتائج المترتبة على محاولة ادخال الأسلحة النووية الى المنطقة ..

والآن نعود الى المستقبل وما يحمله لنا من تحديات للدفـاع الجـوى .

ونطمئن القارىء أن اجابتنا على هذا التساؤل لن تكون نوعـا من التخمين ، بل هى حصيلة متابعة دقيقة يقظة وواعية لكل ما يصدر فى العالم من تحليلات ودراسات ولكل ما يجرى من ابحاث وتطورات .

والآن لنلق نظرة على المستقبل .. نظرة تقودنا اليهـا تلك الاتجاهات والآراء التى تبلورت لدى الدوائـر العسكرية العالميـة والأمريكية على وجه الخصوص على ضوء ما أسفر عنه الصراع بـين الدفاع الجوى المصرى والقـوات الجوية الاسرائيلية فى حـرب اكتوبـر ١٩٧٣ من نتائج وخبرات .

.. وتتلخص هذه الاتجاهات فيما يلى :

أجمعت الآراء على أن اسلوب الهجـوم المتعدد الاتجـاهات « Multi directional attacks » أو ماكان يطلق عليه خلال الحرب العالمية

الثانية « Star raid » مازال هو الأسلوب الشائع الاستخدام لاربـــاك وسائل الدفاع الجوى وتشتيت نيرانها وتقليل فعاليتها .

وهذا يتطلب استخدام قواعد الصواريخ المضـــــادة للطائرات Multi target channels التى يمكنها الاشتباك مع عدة اهداف فى وقت واحد لزيادة امكانيات اى تجميع من قواعد الصواريخ المضـــادة للطائرات المكلفة بالدفاع عن هدف جوى للتعامل مع مثل هذه الهجمات .

ـ مازال موضوع الانـــذار الجـــوى بالنســـبة للطيران عــــلى الارتفاعات المنخفضة يشغل اهتمام مراكز الأبحاث العالمية ، والاتجـــاه السائد الآن فى الدول المتقدمة هو استخدام طائرات السيطرة والانذار الجوى «AWAC'S» وطائرات الانذار الجوى «Airborne early warning AEW» او مراكب الانذار الجوى «Picket ships» باعتبارها افضل الوسائل لتوفير عمق كاف للانذار الجوى خاصة على السواحل ولسد الثغــرات فى مجال الكشف الرادارى على الارتفاعات المنخفضة فى الانســــــاق الأولـــى .

تتجه الأبحاث الآن الى اعطاء مزيـــد من العناية للطـــيران على الارتفاعات العالية جـــدا بعكس الحـــال قبل حرب أكتوبر حيث كـــان اسلوب الطيران المنخفض هو الأسلوب السائد فقد أوضحت نتـــائج أعمال القتال ان وسائل الدفاع الجوى الحالية محدودة الامكانيات فـــى التعامل مع الطائرات الأسرع من الصوت التى تطير على ارتفــــاعــات عـــاليـــة جـــدا مثـــل الطـــائرات الأمريكيـــة SR-7I والطائرة السوفيتية « فوكس بات » وهذا يتطلب تطوير الصواريخ المضادة للطائرات مـــن ناحية زيادة عمق منطقة التدمير على الارتفاعات العالية مع القدرة عـــلى توجيه الصواريخ ضد مثل هذه الطائرات التى تطير بسرعـــات عاليـــة تبلغ ضعف سرعة الصوت أو أكثر .

ـ تتركز الأبحاث فى الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة على تطـــوير

معدات الاعاقة الالكترونية لزيادة فعاليتها ضد محطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ المضادة للطائرات على ضوء نجاح الدفاع الجوى المصرى خلال حرب اكتوبر ٧٣ فى التغلب على وسائل ومعدات الاعاقة الالكترونية الحالية . كما تحظى الابحاث الخاصة بتطوير اجهزة الانذار التى تزود بها الطائرات باهتمام خاص نتيجة لنجاح المصريين فى اعاقتها وخداعها . وتجدر الاشارة فى هذا المجال الى الجهود المكثفة التى تبذل حاليا لابتكار الوسائل التى تقاوم الصواريخ المضادة للطائرات التى توجه بالأشعة تحت الحمراء . وجميع هذه الجهود التى تستهدف اضعاف فاعلية وسائل الدفاع الجوى يقابلها جهود موازية فى الاتجاه المعاكس لزيادة قدرة أسلحة الدفاع الجوى على مقاومة الاجراءات الالكترونية والحرارية المضادة ، ويبرز فى هذا الشأن زيادة الاعتماد على وسائل التنشين التليفزيونى واستخدام أشعة الليزر ، وان كنا نضيف من واقع خبرتنا العملية الى هذه الاجراءات التكنولوجيةالأهمية القصوى التى تلعبها الابتكارات والمبادرات الخلاقة فى اساليب الاستخدام التكتيكى والفنى لمقاومة الاجراءات الالكترونية والحرارية المضادة .

ـ كانت الخسائر الفادحة التى تكبدتها اسرائيل فى الطائرات والطيارين على وجه الخصوص الدافع الرئيسى وراء الاهتمام البالغ الذى تحظى به حاليا الطائرات الموجهة بدون طيار « RPVs » والتى يؤكد الخبراء العسكريون على ضرورة استخدامها بكثافة كبيرة للميزات العديدة التى تحققها فهى رخيصة التكاليف وتوفر الطيارين ويمكن استخدامها فى جميع الأغراض سواء للاستطلاع بالتصوير أو للقصف وخاصة القصف الانتحارى« Kamikaze Missions » أو للاعاقة الالكترونية وتتميز هذه الطائرات بصعوبة اكتشافها وتدميرها بوسائل الدفاع الجوى لصغر حجمها مما يجعلها وسيلة للمشاغلةواستنزافنيران عناصر الدفاع الجوى وتشتيتها . وتتركز الابحاث الآن للعمل على تصغير حجمها

« Mini RPVs » وزيادة السرعة والقدرة على المناورة وتحسين وسائل التحكم فيها ويتطلب التعامل مع هذه الطائرات ضرورة أن يتوفر لمحطات توجيه الصواريخ المضادة للطائرات قدرة عالية على الالتقاط والتتبع بالاضافة الى توفير نوعيات خاصة من الصواريخ ذات طابات على درجة عالية من الحساسية ، وعلاوة على ذلك بل وفى المقام الأول أطقم قتالية جيدة التدريب .

- تتركز الجهود حاليا لتطوير وانتاج ما اصطلح على تسميته باسلحة الخمد « Suppression Weapons » وهى اسلحة تتميز بالقدرة على احباط الدفاعات الجوية الأرضية ومعداتها وتكتيكاتها وهى على أشكال متعددة وتختلف فى وسائل توجيهها الى اهدافها ، فمنها ما يستخدم اشعة الليزر ، وما يستخدم أسلوب التنشين التليفزيونى ، وبعضها يستخدم الأشعة الكهرومغناطيسية التى تشعها وسائل الدفاع الجوى المعادية ، بينما انواع منها تستخدم الاشعاع الحرارى المنبعث من معدات الخصم ، ولكن الاتجاه السائد فى تطوير جميع هذه الأنواع هو امكان اطلاقها من مسافات بعيدة خارج مدى نيران وسائل الدفاع الجوى الأرضية . ويتطلب ذلك ضرورة توفير أجيال جديدة من أسلحة الدفاع الجوى تتميز بطول المدى واتساع عمق منطقة التدمير علاوة على أهمية المناورة واعمال الاخفاء والتمويه لخداع العدو عن الحدود الفعلية لهذه المناطق بالاضافة الى الدور الرئيسى الذى ينبغى أن تقوم به المقاتلات فى مقاومة الطائرات المعادية التى تحمل هذه الأسلحة .

- تحظى الطائرات الهليكوبتر بنصيب وافر من الاهتمام فى مجال التطوير والأبحاث ، فقد أصبحت الطائرات الهليوكوبتر الهجومية Advanced Attack Helicopter احدى الركائز الاساسية لأى جيش مقاتل حديث وتتجه الأبحاث الآن لزيادة قدرتها على المناورة وتقليل حجمها لتصبح بعد تسليحها بالصواريخ المضادة للدبابات المسلاح

الرئيسى ضـــد المدرعات والبحريـة ، خاصـة وانها تمثل بالنسبة للدفاع الجوى صعوبات متعددة لقدرتها الفائقة عـلى استغلال طبيعة الأرض فى الاقتراب المستتر الى اهدافهـا وزمن تعرضـها المتناهى فى الصفـر علاوة على ما تمثله السرعة البطيئة من صعوبـة بالنسبة لاجهزة الرادار المصممه خصيصا للكشف المنخفض . كما تتركزالأبحاث حاليا لتقليل الناتج الحرارى من الماكينة ليصعب اصابتها بالصواريخ المضادة للطائرات التى توجـه على المصدر الحـرارى .وفى مقابل ذلـك تتجه الأبحاث العسكرية لانتاج أنظمة صاروخية مضادة للطائرات قادرة على مواجهة التحدى الذى تمثله الطائرات الهليكوبتر الهجومية ، ويبرز فى هـذا المجـال الاتجـاه الى ابتكار طرق جديدة فى توجيه المقذوفات سواء باستخدام أشعة الليزر أو بالاعتماد على درجة التباين«Contrast» فى شدة الاضاءة بين الهدف الجوى والارض الخلفية . كمـا يعتبر التطوير فى مجال استخدامها الهليكوبتر منطلقـا جديدا لتطوير مقابل فى المدفعية المضادة للطائرات لرفع قدرتها على التعامل مع هـذا النـوع من الأهداف الجوية بزيادة المدى المؤثر لها ليمكنهـا تدمير الطائرات الهليوكبتر الهجومية خـارج مدى الصواريخ المضادة للدبابات المسلحة بها هذه الطائرات .

ـ ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نشير الى اتجاه بعض الخبـراء العسكريين للتركيز على اسلوب ازدواج العمليات الجوية والبرية فـى نفس الوقت ضد وسائل الدفاع الجوى باعتباره أسلوبا ثبت نجـاحه فى فيتنام وكان من الممكن أن ينجح فى الجبهـة المصرية عندمـا نجحت عناصر مدرعة اسرائيلية فى التسلل الى الضفة الغربية لقناة السويس ، لولا أن هذه العناصر أهدرت مجهودها ونيرانها ـ بسبب عـدم دقـة المعلومات لديها ـ فى ضرب مواقع الضح فيما بعد انها هيكلية . هذا علاوة على الكفاءة غير العادية التى ابداها المصريون فى المناورة بالقواعد الحقيقية الى مواقع تبادلية خارج منطقة الجيب الاسرائيلى . وهـذا

الاتجاه يفرض ضرورة التركيز على تأمين الدفاع والامن المحليين لمواقع الرادار وقواعد الصواريخ لتكون قادرة على التعامل مع العدو الجوى والأرضى فى نفس الوقت .

.. والآن قد يتساءل القارىء .. وماذا نحن فاعلون فى مواجهة كل هذه التطورات ؟

وبالطبع لن نجيب على هذا التساؤل بشكل محدد حتى لا نعلن على الملأ خطتنا واتجاهات تفكيرنا . ولكن سنكتفى بأن نستعرض فى ايجاز المطالب الرئيسية التى ان توفرت لأى نظام دفاع جوى كفلت له التصدى بكفاءة لأحدث وسائل الهجوم الجوى وأكثرها تطورا .

وتتلخص هذه المطالب فيما يلى :

ـ أن يبنى النظام على قادة وضباط وأفراد جيدى الاعداد والتدريب والمعنويات ، حيث ان النجاح يتوقف أساسا على مدى كفاءة الفرد الذى يقف خلف المعدة .

ـ أن يحق النظام مبدأ التكامل ، أى يتحقق مبدأ استخدام عائلة من الأسلحة المتباينة الخواص ، نظرا لانه يتعذر على أى سلاح بمفرده صد التهديد الجوى المعادى وبالتالى يجب أن يشتمل نظام الدفاع الجوى على نوعيات مختلفة من الأسلحة والمعدات التى تضمن تنفيذ مهام الدفاع الجوى بكفاءة .

ـ أن يشمل النظام ، علاوة على ذلك ، نظاما آليا للقيادة والسيطرة وارسال المعلومات وتحليلها وتصفيتها ، مما يساعد القادة مركزيا ولا مركزيا على اتخاذ القرارات المناسبة فى التوقيتات المناسبة لمجابهة التطور المطرد فى سرعات وتكتيكات وسائل الهجوم الجوى ، بالاضافة الى أن ذلك يحقق الاشتباك مع جميع الطائرات المعادية مع تأمين سلامة الطائرات الصديقة .

ـ أن يتسم نظام الدفاع الجوى بالمميزات الآتية :

* الاستعداد الكافى للاستجابة لأقل زمن انذار ممكن .

* السرعة فى التعامل مع الأهداف الجوية المعادية للتغلب على مشكلة القصر المتناهى فى الوقت المتيسر لنظام الدفاع الجوى لتنفيذ مهامه القتالية .

* مرونة كافية فى استخدام عناصر الدفاع الجوى بالشكل الذى يحقق الاستغلال الكامل لخواص اسلحة الدفاع الجوى المختلفة النوعية .

* القدرة على الاستمرار فى القتال اثناء الهجمات الجوية المعادية وتحت ظروف استخدام العدو لكافة أشكال الاعاقة الالكترونية .

* قوة وقدرة فائقة على تدمير العدو الجوى أو تحييده لمنعه من تنفيذ مهامه القتالية لما تتميز به الأسلحة الجوية الحديثة من قوة تدميرية هائلة

* امكانية استخدام أسلحة الدفاع الجوى بالكثافة والحشد الكافيين فى الاتجاهات الرئيسية مع امكانية المناورة الى الاتجاهات الأخرى طبقا للموقف ، مع الاصرار على مبدأ التكامل فى جميع المناطق الدفاعية لتغطية كافة الارتفاعات ومواجهة مختلف اساليب الهجوم الجوى ..

ـ أن تتمشى الأسلحة مع المهام المخصصة لها ، فمثلا يجب أن تتميز اسلحة الدفاع الجوى المكلفة بمهمة توفير الوقاية للقوات البرية بخفة الحركة وبقدرة على المناورة تتناسب مع خفة حركة هذه القوات .

ـ أن تتميز أسلحة نظام الدفاع الجوى بالقدرة على العمل بكفاءة تحت ظروف التطور المنتظر لأسلحة الخمد المعادية مع ضرورة الاشتراك الفعال للمقاتلات المزودة بأسلحة جـو / جـو متطورة فى صد الهجمات على طرق الاقتراب البعيدة خارج مدى نيران وسائل الدفاع الجـــوى الأرضـــية .

خاتمة

.. بهذا نكون قد سجلنا نشأة « القوة الرابعة » وابرزنا الخلفية الصلبة التى دفعت بها من نجاح .. الى نجاح وما حققته خلال حرب اكتوبر المجيدة من بطولات وامجاد سجلها لها التاريخ بأحرف من نور وبمداد من العزة والفخار لكل جندى يستظل بسماء هذا الوطن الفسيح الأرجاء ، الوطن العربى ، ولكل مواطن يعيش على تراب هذه الأرض الطاهرة .

.. وفى الختام نرجو ان نكون قد وفقنا فى سرد وبلورة افكارنا وخبراتنا التى اكتسبناها نتيجةالعرق والجهد والدم على مدى مايقرب من الأربعين عاما فى مجال الدفاع الجوى فى هذا الكتاب وبذا نكون قد نجحنا فى اضافة سفر جديد الى المكتبة العسكرية العربية يرقى الى مستوى خدمة أهدافنا فى تحرير الأرض واستعادة الحق المغتصب .

وان أملنا فى المستقبل كبير ، فاننا نسير بخطوات ملؤها العزة والثقة بالنفس وحافزها روح ٦ اكتوبر والنظرة المشرقة الى مستقبل لتحقق فيه بعون الله الآمال ونفوز فيه بالنصر المبين بقيادة رئيسنا المؤمن وقائد مسيرتنا محمد أنور السادات .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

« والله ولى التوفيق »

تعريف المختصرات

م/ط : مختصر « مضاد للطائرات »

سمت : مختصر « فى ساعة .. وتاريخ .. »

د/جو : مختصر « دفاع جوى »

سطع : مختصر « استطلاع »